الفكر الديني في مواجهة الاضطهاد

عند

كلمنت السكندري

دكتورة

أميرة قاسم عبد المنعم الحديني

المكتب العربي الحديث

تليفاكس : ٤٨٤٦٤٨٩ إسكندرية

إهـــداء

إلى رمز العطاء أمي الحبيبة . . .

وإلى والدي الذي طالما ساعدني كثيراً

المقدمــة

المقدمـــة

تنبع أهمية الفكر الديني عند كلمنت من عاملين رئيسيين أحـــدهما يتـــصل بالفترة التى يدور حولها وثانيهما هو الشخصية التى قامت بالدور الفكـــرى الـــدينى فى هذه الفترة وفيما يخص الفترة التى نتحدث عنها، وهى الفترة التى تمتـــد عبـــر النصف الثانى من القرن الثانى وبدايات القرن الثالث الميلادى فإنها كانـــت فتـــرةً شهدت فيها مجتمعات الإمبراطورية الرومانية تغيّراً وصل إلى قـــدرٍ كبيـــر مـــن الأهمية. ذلك أن المجتمع كان يمر بفترةٍ من عدم الاستقرار الذى تمثل فى ما يمكن أن نسميه الفوضى العسكرية والسياسية، فقد ساد فيها الصراع بين القادة العسكريين لكى يفوزوا بالعرش الإمبراطورى وكان لهذا الصراع آثاره ليس فى روما وحـــدها ولكن فى بقية ولايات الإمبراطورية كذلك، ففى روما ساد هناك بطبيعة الحال عـــدم الاستقرار فى كافة جوانب الحياة وبخاصة الجانب الاجتماعى الذى لـــم يعـــد فيـــه الشخص العادى، فى ظل الفوضى العسكرية، يأمن على أى جانـــب مـــن جوانـــب ممارساته فى الحياة اليومية سواءً أكانت عملاً أو قيماً أو علاقات أو الحياة نفـــسها فى بعض الأحيان.

وزاد من سوء الوضع فى بعض الأحيان أن حدود الإمبراطورية الرومانية نفسها بدأت تتعرض لهجمات البرابرة الذين كانوا يحيطون بالحدود الـــشمالية لهـــذه الإمبراطورية من جهة ولهجمات البارثيين الذين كانوا يحيطون بحدودها الـــشرقية من الجهة الأخرى، ولم يكن الأمر قاصراً على روما كما ذكرت وإنما كـــان مـــن الطبيعى أن يترك أثراً على الولايات الرومانية ذاتها فقد بدأت تعـــانى بالـــضرورة من نتائج سوء الأوضاع التى سادت روما سواءً تمثل ذلك فى عدم عناية حكومـــة الإمبراطورية بأحوال هذه البلاد أو فى زيادة الضرائب المفروضة عليهـــا أو فـــى تدهور القيمة الشرائية للعملة الإمبراطورية التى كانت تتعامل بها.

وقد كانت إحدى نتائج هذا الوضع هو أن الفرد العادى والفرد المثقف فـــى المجتمعات التى كانت تضمها حدود الإمبراطورية الرومانيـــة بـــدأ يبحـــث عـــن الخلاص الذى كان يعنى بالنسبة له الاستقرار فى حياته اليومية وفى مستقبله.

وهكذا بدأنا نجد الحديث عن المعجزات ينتشر كما سنرى فى أثناء البحث وهو أمر يشير إلى أن أفراد المجتمع بدأوا ييأسون من المستقبل الذى ينتظرهم، وينتظرون معجزةً من المجهول لتحل لهم مشكلاتهم اليومية التى استعصى عليهم حلها. كذلك تمثل البحث عن حل لهذا الوضع غير المستقر فى انتشار العقائد الشرقية بين مجتمعات روما والإمبراطورية الرومانية — وهو أمرٌ نلمسه فى انتشار عبادة إيزيس وسيرابيس المصريين وعبادة الإله مثرا الفارسى، ثم بدأ انتشار عقيدة شرقيةٍ جديدة، وهى المسيحية.

وفيما يخص هذه العقيدة الأخيرة، وهى المسيحية، فإنها كانت قد بدأت قبل الفترة التى أتحدث عنها بقرنٍ ونصف، ولم تتخذ منها الحكومة الإمبراطورية موقفاً قلقاً أو حاسماً فى البداية حتى أواسط هذا القرن حين انتشرت فى روما بقدرٍ جعل من الممكن للإمبراطور نيرون فى العقد السابع من القرن الأول الميلادى أن يتهم المسيحيين بالحريق الذى شب فى هذه المدينة وأصابها بقدر من الخسائر (بغض النظر عن السبب الحقيقى للحريق المذكور). بعد ذلك تعرضت المسيحية والمسيحيون لقدر متقطع من الاضطهاد الحكومى من جهة، ولقدرٍ من التعرض من جانب الوثنيين من جهة أخرى. ولكنه كان حتى ذلك الوقت لم يكن تعرضاً فكرياً يتصل بأسس العقيدة الجديدة وأهدافها والدور الذى تقوم به فى التوصل إلى الخلاص الذى يهدف إليه المجتمع، وإنما كان هذا التعرض يظهر إلى حد كبير فى شكل سباب ومهاترات من جانب الوثنيين ويقابله سباب ومهاترات من جانب المدافعين عن العقيدة المسيحية.

ولكن تطوراً كان قد بدأ يحدث فى المجتمع الرومانى فى بدايات الفترة التى نتحدث عنها وهى النصف الثانى من القرن الثانى الميلادى، كانت نتيجته أن أحد المفكرين الوثنيين وهو الفيلسوف الوثنى كلسوس كتب فى حوالى عام ١٨٥م، رسالةً هاجم فيها المسيحية بعنفٍ شديد، ليس فى صورة سباب أو شتائم كما كان يحدث قبل ذلك، ولكن فى صورةٍ فكريةٍ تهاجم الأسس التى تقوم عليها المسيحية وتتحدث عن المجتمع الرومانى وعن القيم التى ينبغى على الرومان أن يتمسكوا بها

لسلامة هذا المجتمع واستقراره سياسياً واجتماعياً وفى كافة الجوانب الأخرى من حياته اليومية.

وأستطيع، استنتاجاً من هذه الرسالة التى كتبها كلسوس، أن أقول إن المجتمع الرومانى كانت دعائمه الاجتماعية قد بدأت تهتز إلى حد كبير وأن الاستقرار المفترض فى هذا المجتمع كان هو الآخر قد بدأ يهتز كذلك، وأنه من الناحية السياسية التى تربط الفرد بالدولة كان قد بدأ يعانى بشكل واضح كذلك من عدم الاستقرار.

واعتمد فى استنتاجى هذا على عدة عوامل وأحد هذه العوامل هو عنوان الرسالة التى كتبها كلسوس، ففى هذا العنوان نجد أنه لا يذكر الوثنية أو المسيحية ولكنه يتحدث عن الطريق الصحيح (ο αληθης λογος) بشكل عام وهو أمرٌ يدل على أنه كان فى المجتمع الرومانى فى ذلك الوقت توجه جديد غير التوجه الذى كان يسود هذا المجتمع حتى ذلك الوقت وأن هذا التوجه الجديد كان من الممكن أن يحدث تغيراً خطيراً فى المجتمع الرومانى يتصل بمستقبله. كذلك نجد أن كلسوس يتحدث عن أسس الحياة الاجتماعية السياسية فى المجتمع الرومانى فهو يتحدث عن عبادة الإمبراطور التى اعتبرها رابطةً بين المجتمع والإمبراطور تمثل وحدة هذا المجتمع التى لا يجوز المساس بها.

بينما تنكر العقيدة المسيحية هذه العبادة وبالتالى تزعزع العلاقة بين المجتمع والإمبراطور، كذلك يتحدث كلسوس عن العقائد الوثنية التى تسود المجتمع الرومانى على أنها تمثل استقرار هذا المجتمع، وأن العقيدة المسيحية لا تعترف بهذه العقائد التى يمثل التمسك بها نوعاً من الترابط بين أفراد المجتمع، وهو ترابطُ يؤدى فى النهاية إلى الاستقرار وإلى جانب ذلك فنحن نجد أن كلسوس لا يتحدث بشكل عام بحيث نعتبر ما يقوله حديثاً عادياً ولكنه يعتمد فى أفكاره على آراء الفلسفة فى المدارس الفلسفية المختلفة مثل الفلسفة الأفلاطونية والفلسفة الرواقية، ومعنى هذا أنه ينظر إلى المسألة على أنها أمرٌ خطير لابد أن يجمع له أكبر قدر من الأدلة والبراهين التى لا تكتفى بالكلام العادى والمهاترات العادية وإنما

تستخدم ما وصل إليه الفكر الجاد حتى ذلك الوقت.

وأنتقل الآن إلى الحديث عن العامل الآخر الذى يؤدى إلى أهمية البحث الحالى، وهذا العامل هو شخصية تيتوس فلافيوس كلمنس والمعروف بكلمنت السكندرى ذاته التى نتجت عن تكوينه العلمى والفكرى الذى أدى فى النهاية إلى أن يستطيع الرد على الآثار التى تركتها أفكار كلسوس (دون أن يذكر هذا المفكر الوثنى بالاسم) والتى كان من الممكن أن تُحدث أثراً كبيراً على انتشار المسيحية بحيث تعوق هذا الانتشار، فقد كان كلمنت وثنياً ثم تحول إلى المسيحية، وهذا إن دلّ على شئ فإنما يدل على أن تحوله هذا كان عن طريق اقتناع فكرىّ بالمسيحية، فهو لم يولد مسيحياً بحيث يكون مسيحياً بالولادة فقط، فهو لم يعتنق المسيحية عن تسرع ولكنه ارتحل كثيراً وشاهد كثيراً قبل أن يعتنق المسيحية فقد ارتحل كلمنت فى بداية حياته من أثينا بحثاً عن العلم المتطور وذلك لأنه كان من طبقة اريستقراطية، ولديه المال وهو ما شجعه على أن يرتحل إلى بلدان كثيرة حتى وصل إلى الإسكندرية واستقر فيها. وفى مدرسة الإسكندرية درس العديد من المذاهب الفلسفية المختلفة فقد كان على اتصال دائم بعلماء هذه المدرسة، كما تتلمذ على يد بانتاينوس الذى أسس مدرسة الإسكندرية التعليمية (Catechetical School) وهى مدرسة غير رسمية كانت تقدم التعليمات للذين تحولوا إلى هذه العقيدة، وما عرفه كلمنت فى هذه المدرسة ليس مجرد اكتساب للمعلومات ولكنه كذلك تدرب على توصيل المعلومة التى يحصل عليها إلى (طالبى العلم)، وقد كان من أهم ما يميز هذه المدرسة كذلك هى أنها لا تدرب الطالب على تلقى المعلومة وتوصيلها فحسب ولكنها كذلك تقدم الرد على كل التساؤلات التى يمكن أن تطرح. وهو أمر انتفع به كلمنت كثيراً فى دعوته.

وقد كان كلمنت على معرفة واسعة بالتراث اليونانى سواء من ناحية الأفكار الفلسفية، فهو كان دارساً للفلسفة اليونانية وبصفة خاصة كان متعمقاً فى فلسفة أفلاطون وهو ما جعله يناقش أفكار الفلاسفة اليونانيين أمثال أفلاطون وأرسطو حيث أنه تحدث عن أفلاطون واقترابه من فكرة التوحيد، كما اهتم كذلك

بالفكر الفلسفى الخاص بالرواقيين وغيرهم، ولم تقتصر كذلك ثقافة كلمنت على الجانب الدينى أو الفلسفى فحسب ولكنه كان يهتم كذلك بالتاريخ والأدب بما يحتوى عليه من أدب مسرحى وشعر فقد كان يستشهد فى حديثه بمقتطفات كثيرة من هوميروس وهزيودوس، وأعمال المسرحيين اليونان أمثال سوفوكليس واريستوفانيس وغيرهم. ومعرفة كلمنت لهذا التراث اليونانى جعلته فى موقف يؤهله للرد على ما جاء عند كلسوس من هجوم على المسيحية من ناحية، وإقناع اليونانيين الذين كانوا يهتمون كثيراً بالفلاسفة والشعراء والكتاب المسرحيين من ناحية أخرى.

وللوصول إلى هدف هذا البحث بأهميته التى ذكرتها وجدت من المناسب أن أقسم موضوع البحث على النحو التالى:

لكى نعرف الخلفية التى أحاطت بالموضوع وضعت مدخلاً، تحدثت فيه عن ظروف العصر الذى ظهر فيه كلمنت من حيث فترة عدم الاستقرار التى كانت توجد فى المجتمع الرومانى فى ذلك الوقت، وكان عدم الاستقرار هذا، كما ذكرت فى بداية هذه المقدمة يتمثل فى صراع القادة العسكريين على العرش الإمبراطورى من ناحية وتهديد البرابرة والبارثيين لحدود الإمبراطورية الرومانية واختراقها لحدود إيطاليا من ناحية أخرى، وقد تعرضت فى هذه النقطة إلى ذكر وصول العقائد الشرقية ووصول المسيحية إلى روما نتيجة لعدم الاستقرار الذى أشرت إليه ثم تحدثت فى نقطة أخرى عن موقف روما من المسيحية، وذكرت كذلك عبادة الإمبراطور التى كانت تقف عائقاً أمام قبول روما للمسيحية، كما ذكرت المواجهة الكلامية التى بدأت تظهر بين أنصار المسيحية والوثنية قبل كلمنت، وفى هذه النقطة تحدثت عن موقف الحواريين الذين كانوا يحاولون نشر العقيدة المسيحية، عن طريق التحذير من عدم الوصول إلى الخلاص وما يمثله من استقرار، وفى نقطة أخرى تحدثت عن أول احتكاك بين الوثنيين والمسيحيين والذى كان فى صورة اتهامات متبادلة، أو ما نستطيع أن نسّميه مرحلة المهاترات، وكنقطة أخيرة فى هذا المدخل تحدثت عن شخصية كلمنت ذاته وهى تلك الشخصية التى نتجت

عن تكوينه العلمى والفكرى التى أثرت إيجابياً فى قدراته المتصلة بنـشر الـدعوة المسيحية.

ولكى نتتبع أفكار كلمنت بعد أن عرّفت فى المدخل بالظروف التى مهّـدت لها، كان لابد، فى البداية، الحديث عن نقده للعبادات الوثنية وهو موضـوع البـاب الأول من هذا البحث، وفى سبيل إبراز هذا النقد قسمت نقد كلمنت للعبادات الوثنية إلى ثلاثة أقسام أو فصول، تحدثت فى الفصل الأول عن نقده (كلمنـت) لعبـادات الأسرار، وما يحتويها من نقده للأقداس والنبوءات المتصلة بهـا عنـد اليونـانيين، وقدمت كذلك الأسباب التى ذكرها كلمنت ليفند بها تلك العبادات. ثـم انتقلـت فـى الفصل الثانى من هذا الباب للحديث عن نقد كلمنت لجانب آخر من العبادات الوثنية وهى عبادات الأشخاص والآلهة اليونانية، حيث قـدمت رأى كلمنـت فـى نـشأة العبادات الوثنية والأسباب التى قدمها ليفند بها عبادة الآلهة المتصلة بهذه العبـادات وفى الفصل الثالث والأخير من هذا الباب قدمت نقد كلمنت للجانـب الأخيـر مـن العبادات الوثنية ــ حسب تقسيم كلمنت ــ وهو نقده لعبادة التماثيل، حيـث ذكـرت الأسباب التى قدمها ليفند بها هذه العبادة، وإشارته بعد ذلك إلى أن سحر الفن هـو الذى أدى إلى عبادة التماثيل، فهو الذى جعل اليونانيين يقعون فـى حـب التماثيـل ويعبدونها.

وبعد ان قدمت فى الباب الأول نقد كلمنت للعبادات الوثنيـة انتقلـت فـى الباب الثانى لنظرة كلمنت إلى التراث القديم كممهد لظهور المسيحية حيث قـسمت هذا الباب إلى فصلين، تحدثت فى أولهما عن شـهادة الفلاسـفة والـشعراء علـى العبادات الوثنية ونقدهم لها، فبالنسبة للجزء الخاص بالفلاسفة تحدثت عـن إشـارة كلمنت لتدرج الفلاسفة بالنسبة لفكرة الإله بداية من فكرة التعددية الإلهية ثم الثنائيـة حتى وصلت إلى الاقتراب من الوحدانية التى ظهرت عند العديد من الفلاسفة أمـا بالنسبة للشعراء ابتداءاً من طاليس وحتى أفلاطون فقد تحدثت عن إشـارة كلمنـت للشعراء الذين عظّموا الله وذكروا صفاته والشعراء الذين نقدوا عبـادة الآلهـة ثـم انتقلت إلى الفصل الثانى من هذا الباب وهو الذى تحدثت فيه عن النبوءات اليهودية

وفى هذا الفصل تحدثت عن إشارة كلمنت للنبوءات التى تتحدث عن صفات الله الخالق والنبوءات التى تنقد عبادة الآلهة الوثنية. وأخيراً قدمت فى هذا الفصل عرض كلمنت للأفكار المسيحية التى تتميز، فى تفاصيلها، عن الأفكار التى وردت فى اليهودية مثل فكرة الأبوة، وفكرة السيد، والوحدانية، وغيرها من الأفكار الأخرى. ونظراً لأن هذا الباب يتحدث عن التراث اليونانى القديم والمتمثل فى الفلسفة والأدب، وهو ما تأثر بهم كلمنت كثيراً ختمت هذا الباب بحديثى عن الأساليب التى اتبعها كلمنت فى تقديم دعوته، والتى كان يراعى دائماً أن يتخذها كطريقة له فى إقناع اليونانيين بدعوته للمسيحية، ومن هذه الأساليب استخدامه لأسلوب الجناس، والتخريج، والانتقاء، واللجوء إلى العاطفة والإيمان.

بعد ذلك وجدت أنى أستطيع أن انتقل إلى الباب الثالث والأخير فى هذا البحث، وهو الذى قدّم فيه كلمنت المفاهيم التى تقوم عليها العقيدة المسيحية حول تدعيم المسيحية، وقد رأيت أن أقسم هذا الباب إلى ثلاثة فصول كل فصل يحمل اسم أحد المفاهيم الرئيسية التى قامت عليها المسيحية: ففى الفصل الأول طرحت مفهوم التحمل فتناولت حديث كلمنت عن العادة وكيف أنها تحول دون استجابة الوثنيين للدعوة المسيحية، وأوضحت ذلك على المستوى الشخصى، وعلى مستوى الأسرة، وعلى مستوى المجتمع.

ثم قدمت فى نقطة أخرى المزايا التى أشار إليها كلمنت وهى التى يحصل عليها كل من يعتنق المسيحية وأهم هذه المزايا ميزة الخلاص.

وفى الفصل الثانى تحدثت عن المفهوم الثانى من المفاهيم المسيحية وهى الموقف من الثروة وقد أشرت فى هذا الفصل إلى حديث كلمنت عن موقف الرجل الغنى إزاء الخلاص وكيف أنه يمكن أن يكون الاستغناء عن الثروة شرط من شروط الخلاص، وتحدثت فى نقطة تالية عن الفرق بين "امتلاك الثروة" و "حب الثروة"، وفى نقطة أخرى تحدثت عن الدعائم التى ينبغى أن يقوم عليها مفهوم الثروة من حيث واجب المسيحيين إزاء أصحاب الثروة وواجب أصحاب الثروة، إزاء المجتمع المسيحى، وأوضحت فى نقطة تالية ما أشار إليه كلمنت من أن الفقر

ليس مرتبطاً بالفضيلة ولا الثروة بالرذيلة، وكذلك ذكرت فى نقطة تالية تقديم كلمنت حلاً لكيفية تسخير المال لخدمة المجتمع والأفراد، وفى نقطة أخيرة قدمت خلاصة لرأى كلمنت فى الثروة، وموقفه منها وإشارته إلى أن الثروة ليست شيئاً سيئاً فى حد ذاتها ولكن استخدامها ينبغى أن يكون لمساعدة المجتمع.

ثم انتقلت إلى الفصل الثالث من هذا الباب، وهو الذى تحدثت فيه عن المفهوم الثالث والأخير من المفاهيم التى قامت عليها المسيحية وهى مفهوم المسيحية فيما يخص فكرة الخلاص، وقد قدمت فى هذا الفصل عن فترة عدم الاستقرار التى كانت تسود الإمبراطورية الرومانية والمحاولات التى سبقت المسيحية والتى كانت تهدف إلى وصول المجتمع الرومانى إلى الاستقرار، وقد ظهر فى هذه الفترة الإيمان بتفسير الأحلام والمعجزات، ومحاولات المدارس الفلسفية هى الأخرى فى إيجاد حل للوصول للاستقرار، وهذا ما أعطى فرصة كذلك لإيجاد مجال للديانات الشرقية مثل عبادة إيزيس وسيرابيس المصريين والإله مثرا الفارسى، وكل هذه كانت محاولات للوصول بالمجتمع الرومانى إلى مرحلة الاستقرار. ثم انتقلت إلى نقطة أخرى للحديث عن الخلاص، وهو الحل الذى تقدمت به العقيدة الجديدة وهى العقيدة المسيحية كحل للوصول للاستقرار والذى بدأ يجد صدىً له بين أفراد المجتمع الرومانى فقد تحدثت عن إشارة كلمنت لنوعين من الخلاص: أحدهما هو الخلاص فى الحياة الدنيا، وهو الذى ذكر فيه كلمنت نقطتين مرحلة القضاء على التنافر فى المجتمع، ثم مرحلة تماسك المجتمع، حيث ذكر أن هناك وسيلتين تساعدان للوصول إلى هذا الخلاص وهما الأخّوة والمحبة. والثانى هو الخلاص فى الحياة الأخرى، حيث ذكر كلمنت عدة وسائل للوصول إلى هذا الخلاص وهى التعليم والقدوة المثالية والإيمان والسلام. وأخيراً تحدثت فى نقطة أخيرة عن الخلاص وفكرة المعرفة حيث تعرضت لهذه الفكرة من ثلاثة جوانب: الجانب الأول وتحدثت فيه عن الغنوصية قبل العصر المسيحى والجانب الثانى تحدثت فيه عن المسيحية والغنوصية قبل كلمنت. والجانب الثالث تحدثت فيه عن الغنوصية فى فكر كلمنت.

وقد اعتمدت فى هذا البحث على مصادر بعضها سـابق لعـصر كلمنـت ولكنه اعتمد عليها فى تقديم دعوته مثل أعمال هوميروس، هيزيودوس، هيرودوت، سوفوكليس، اريستوفانيس، ميناندروس، أفلاطون، أرسطو، سترابون وبعض هـذه المصادر لاحق لعصره مثل يوسيبيوس وذلك لأن يوسيبيوس كان كاتبـاً مـسيحياً وكان مهتماً بالكتابة عن تاريخ الفكر المسيحى، ولذلك تحدث عـن كلمنـت حـديثاً مطولاً فى كتاباته. أما كلمنت ذاته فقد اعتمدت على عملين أساسيين مـن أعمالـه وهما: خطاب وعظى لليونانيين وخطاب إلى المعمدين حديثاً وذلك لأنى وجدت بين ما هو متوفر من أعماله أن هذين العملين يحتويان على الجوانب الأساسية من فكره الدينى.

وقد انتفعت كذلك بالآراء التى وجدتها فى العديد من المراجع الحديثة التى تحدثت عن بعض النقاط التى عالجها كلمنت فى عملـه الأساسـى وهـو خطـاب وعظى لليونانيين. فقد ساعدتنى هذه الآراء فى توضيح بعض الجوانب التى تعرّض لها كلمنت فى فكره الدينى، سواء اتفقت مع الآراء المذكورة أو اختلفت معها.



مدخل

ظروف العصر الذى ظهر فيه كلمنت

١-عدم الاستقرار فى المجتمع الرومانى يمهّد لوصول المسيحية إليه.

(أ) صراع القادة العسكريين على العرش الإمبراطوري، يؤدى إلى عـــدم الاستقرار.

(ب) تهديد حدود الإمبراطورية وولاياتها يزيد من عدم الاستقرار.

٢-ظهور المسيحية وموقف روما منها.

(أ) وصول المسيحية ضمن العقائد الشرقية إلى روما.

(ب) موقف روما من المسيحية.

(ج) عبادة الإمبراطور تعرقل قبول روما للمسيحية.

٣- المواجهة الكلاميّة بين أنصار المسيحية وأنصار الوثنيـــة قبـــل كلمنت.

(أ) موقف الحواريين.

(ب) الاتهامات المتبادلة بين الوثنيين والمسيحيين.

٤-شخصية كلمنت.



كان تيتوس فلافيوس كليمنس (كلمنت السكندرى) (١٥٠- ٢١٥م)، واحداً من أهم المدافعين عن الدين المسيحى فى الفترة التى جاءت فى أعقاب المرحلة الأولى من انتشار المسيحية، وكانت من أهم المراحل التى أثرت بعد ذلك فى انتشار الدين المسيحى ورسوخه، حيث ظهرت طريقة جديدة لنشر الديانة، قائمة على التفكير العقلانى، لا على الإيمان وحسب. وقبل أن أتعرّض إلى ما ذكره كلمنت عن المسيحية، ودفاعه عنها أجد من اللازم أن أعرض أولاً للظروف التى مهّدت لفكره الدينى، وأثرت فى توجهاته. والملاحظ فى هذا المجال أنّ هذه الظروف تتصل بالعلاقة بين المسيحية والإمبراطورية الرومانية، وما كان يجرى فى عاصمتها روما، والسبب فى ذلك هو أنّ التفكير الدينى عند كلمنت كان يدور حول الصراع بين المسيحية والوثنية، وكانت روما هى الراعية الأولى للعقائد الوثنية بما فى ذلك عبادة الإمبراطور. أما فيما يخصّ الظروف ذاتها فسوف أتحدث فى البداية عن الظرف الذى هيأ للمسيحية أن تصل إلى روما ثم أنتقل إلى ظهور المسيحية فيها وموقف أهل المدينة منها. بعد ذلك سأتكلم عن تطور المواجهة الجدلية بين المدافعين أو المهاجمين من الجانبين؛ جانب المسيحية وجانب الوثنية حتى الفترة التى يمثلها الفكر الدينى لكلمنت. وأخيراً سوف أعرض الخطوط الرئيسة لشخصية كلمنت، صاحب الفكر الذى يدور حوله هذا البحث.

١- عدم الاستقرار فى المجتمع الرومانى يمهّد لوصول المسيحية إليه:

(أ) صراع القادة العسكريين على العرش الإمبراطورى يؤدى إلى عدم الاستقرار:

كانت الإمبراطورية الرومانية فى بدايتها تنعم بالسلام والاستقرار والرخاء، لكن هذا الاستقرار لم يكتب له الاستمرار، فقد ظهرت عوامل عدة كان من شأنها أن تبدده ومن ثم تبدد السلام الاجتماعى وتؤدى إلى ما يمكن وصفه بالقلق الروحى فى ذلك المجتمع، ومن هذه العوامل الاضطرابات التى واكبت تطلعات القادة العسكريين الرومان السلطة ممّا أدى إلى الصراع بينهم.

وكانت فترة حكم الإمبراطور أغسطس من الفترات التى نعمت فيها الإمبراطورية بالسلام، واستمر الأمر على ذلك فى عهد الأباطرة التالين لأغسطس،

إلا أن هذا السلام انتهى فى نهاية عهد الإمبراطـور نيـرون[١]، إذ قامـت ثـورة عسكرية كان من ضحاياها القائد فيندكس Vindex [٢]؛ وبدأت الحرب الأهلية عام ٦٩م (عام الأباطرة الأربعة). وببدايتها انتهـى عـصر الـسلام، الـذى عاشـته الإمبراطورية الرومانية حوالى قرن من الزمان.

وأصبح العرش الإمبراطورى فى تلك الأثناء تحت سيطرة الجيش، وكانـت النتيجة ظهور أربعة أبـاطرة فـى ٠٠عـامى ٦٨م، و ٦٩م، واسـتطاعت جيـوش الإمبراطورية فى الراين وأسبانيا والدانوب، وفى الـشرق الـسيطرة علـى مجـرى الأحداث السياسية فى روما. بل أصبحت هـذه الجيـوش بالتعـاون مـع الحـرس الإمبراطورى، هى التى تصنع الأباطرة وتضعهم فوق العرش. كما أثبتـت أحـداث عامى ٦٨م و ٦٩م، كيف أن مصير الإمبراطورية أصبح يعتمد أساساً على جيوشها، وكيف أن قادة تلك الجيوش أصبحوا هم المحركين الأصـليين للأحـداث. والـسادة الحقيقيين للموقف السياسى فى روما. وقد واتتهم الفرصة عندما اندلعت حركتان مـن أخطر الحركات الثورية. أولاهما ثورة اليهود فى فلسطين، والثانية ثورة بلاد الغـال الكبرى[٣]. ووسط هذه الصراعات أخذ كل جيش من جيوش الحـدود يرشـح قائـده إمبراطوراً على البلاد. وفى أبريل عام ٦٨م، قام نيمفيديوس (Nymphidius) قائد الحرس الإمبراطورى وجنوده بتأييد جالبا فى محاولته لتولى عرش الإمبراطوريـة، وقد انتهى الأمر بمقتله على أيدى قوات الحرس الإمبراطورى[٤].

---

(١) حول الصراعات العسكرية التى حدثت بعد فترة حكم نيرون انظر:
Cary, M. and Scullard H., *A History of Rome*, (3rd. ed.), London, 1979, p. 402.

(٢) سيد أحمد على الناصرى: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى، دار النهضة العربية، ١٩٧٥، ص ١٤٤.

(٣) حول تفاصيل كل من ثورة اليهود فى فلسطين وثورة بلاد الغال الكبـرى، اللتـين أتاحتـا الظروف الملائمة للقواد للتأهب والاستيلاء على السلطة. انظر: سـيد أحمـد الناصـرى، المرجع نفسه، ص ص ١٥٣: ١٥٦.

(٤) حول ارتقاء جالبا عرش الإمبراطورية انظر: سيد الناصرى، المرجع نفسه، ص ص ١٥٦: ١٥٨.

كما دفعوا اوتو[٥] للانتحار بعد تسليم فرقه العسكرية، واعتقلوا فيتيلـوس[٦] الذى لم يكن على دراية كبيرة بالحكم ويفتقد إلى القوة التى تمكنه من السيطرة على الحرس الإمبراطورى، وقواته المنتشرة فى أنحاء الإمبراطوريـة جميعـاً، وظلـوا يساندون فيسبسيانوس[٧] حتى ارتقى العرش ووضع حداً لهذه الفوضـى العـسكرية المؤقتة، لكن التحرش استمر من قبل هذه الفـرق العـسكرية. ونلاحـظ أن عـام الأباطرة الأربعة هذا الذى تميز بعدم الاستقرار الذى أثر على المجتمع الرومانى[٨] وعلى العرش الإمبراطورى، وعلى الأمن والرخاء الذى كانت تحققه الإمبراطورية الرومانية فى أوقات الاستقرار، ومن ثم حاول الشعب البحث عن بديل آخـر يعيـد تلك العوامل الثلاثة التى كانت توفرها الإمبراطورية من قبل (كما كان مـثلاً فـى فترة السلام الأوغسطى)؛ وقد وجد الشعب ضالته فى الـديانات الـشرقية، التـى ظهرت فيها فكرة العالم الآخر حيث يستطيع الإنسان فى النهايـة أن يـصل إلـى السعادة التى لم يحصل عليها فى الحياة الدنيا؛ وقد ظهرت المسيحية بجانـب تلـك الديانات وبدأت تجد سبيلاً لها بين بعض طبقات الشعب. بينما استمر الصراع بـين القواد العسكريين على العرش الإمبراطورى؛ حيث قام الإمبراطـور فيسبـسيانوس بتوريث العرش لابنه تيتوس (٧٩- ٨٠م) الذى كان قائد الحرس البراتيورى. ومـا إنْ توفى تيتوس حتى تولى الحكم من بعده أخوه دوميتيانوس[٩]، بمساعدة وترشـيح

---

(٥) سيد أحمد الناصرى: المرجع نفسه، ص ص ١٥٨، ١٥٩.

(٦) المرجع نفسه، ص ص ١٥٩، ١٦٠.

(٧) وحول ارتقاء الإمبراطور فبسبسيانوس للعرش انظر:
Cary, M., and Scullard, H., op.cit., pp. 407, 418.
سيد الناصرى: المرجع نفسه، ص ١٤٤.

(٨) Yehya, Lutfi, A.W., *Clement of Alexandria Versus*, Rome, An Historical Introductory Note, p. 171.

(٩) وقد كان حكم الإمبراطور دوميتيانوس يشكل خطراً على المدارس الفلسفية وغيرها من الـديانات والمذاهب التى كانت منتشرة فى عصره. وعلى الرغم من ذلك تسربت الديانة المسيحية فى هذه الفترة إلى عائلة الإمبراطور واعتنقتها دوميتيلا زوجة ابن عمه. لكن سرعان ما قضى على هذا الانتشار وذلك بنفى دوميتيلا. انظر سيد الناصرى، المرجع نفسه، ص ١٩١.

الحرس الإمبراطورى له. وبموت الإمبراطور دوميتيانوس سقطت الأسرة الفلافية. على أن فترة الاستقرار لم تستمر دون انقطاع، فقد عاد تطلع القادة العسكريين وصراعهم فى سبيل الحصول على العرش الإمبراطورى مرة أخرى فى عامى ١٩٢ و ١٩٣م، حيث استطاع سبتميوس سيفيروس تولى العرش فى ذلك العام بالقوة العسكرية محدداً بداية الأزمة خلال القرن

الثالث الميلادى[١٠]، ومعيداً عدم الاستقرار، وتراجع الرخاء، وتدهور الأمن.

وفى النهاية فإن غلبة النزعة العسكرية فى الوصول إلى العرش الإمبراطورى قد أثرت بوضوح على أسلوب تعامل الأباطرة مع رعيتهم. وخلقت بعيداً عن الأساليب التقليدية فى الوصول إلى العرش كالوراثة أو التبنى — جواً من عدم الثقة بين الحاكم والمحكوم، وأفقد هذا بدوره عبادة الإمبراطور مصداقيتها وقدسيتها. وجعل الوصول إلى العرش قائماً على صراعٍ فى القوة بين قادة عسكريين كلٌ حسب إمكاناته العسكرية وعدد الفرق التى تؤازره وكان هذا أحد العوامل التى أفسحت الطريق، ومهدت السبيل أمام ظهور المسيحية فى العلن بدليل ظهور آراء مسيحية تحرم الالتحاق بالجيش وتحرض الجند الرومان من المسيحيين على ترك الخدمة.

---

(١٠) تبدأ أزمة القرن ٣م بأول اقتحام عسكرى للسلطة الرومانية، وذلك عندما أعلن جيش منطقة بأنونيا قائدهم سيفيروس إمبراطورا عام ١٩٣م، مما أدى إلى إحلال الفوضى العسكرية محل الحكم الوراثى، ومن ثم اتجهت الرؤية العامة لأسلوب الحكم نحو القوة والعنف.
انظر: محمد عبد الفتاح، المتغيرات التاريخية فى مصر خلال القرنين ٣، ٤م وأثرها فى الفن المصرى، (رسالة دكتوراه)، ١٩٩٨، الإسكندرية، ص١١؛ روستوفتزف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعى والاقتصادى (مترجم)، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٤٦٤ وما بعدها. وحول اهتمام الإمبراطور سبتميوس سيفيروس بمصر التى كانت مخزناً للحبوب ولها أهمية كبيرة بالنسبة لروما وزيارته لها راجع:
Milne, J. Grafton, M., *A History of Egypt under Roman* Rule, London, 3rd, ed., 1924, pp. 59: 62.

(ب) تهديد حدود الإمبراطورية واختراق حدود إيطاليا يزيد من عدم الاستقرار:

وكان لتهديد حدود الإمبراطورية دور كبير فى زيادة عدم الاستقرار فى المجتمع الرومانى مما كان يمثل ــ بلا شك ــ تمهيداً لوصول المسيحية إليه، فقد كانت الهجمات التى قام بها البرابرة على حدود الإمبراطورية، وليس البرابرة فقط، والثورات الكثيرة التى نشبت فى الولايات الرومانية ضد الإمبراطورية؛ كان لتلك الأشياء دورٌ سلبيٌ كبير على استقرار المجتمع الرومانى فى أنحاء الإمبراطورية الرومانية جميعاً.

فقد شُغلت روما بتلك الهجمات المختلفة عليها سواء من الشرق أم الشمال، وتشتتت جهودها، وأهملت الناحية الداخلية فلم تعد توفر للمجتمع الرومانى العوامل الثلاثة التى كانت توفرها له من قبل، وهى الاستقرار والأمن والرخاء. وظهر عدد كبير من الصراعات حول العرش الإمبراطورى، مما جعل حدود الإمبراطورية الرومانية مطمعاً لكثير من الشعوب والقبائل الأخرى. أى أننا إذا أردنا أن نجمل التهديدات التى تعرضت لها الإمبراطورية لوجدناها تنقسم إلى ثلاثة أقسام: هجمات البرابرة، وهجمات البارثيين (الإيرانيين)، والثورات التى كانت تنشب فى الولايات المختلفة ضد الإمبراطورية الرومانية.

ـ هجمات البرابرة

هددت قبائل البرابرة حدود الإمبراطورية الرومانية مرات ومرات منذ القرن الأول الميلادى، وقد بدأت هذه الهجمات فى عهد دوميتيانوس[١١] (٨١-٩٦م) عندما ظهرت بعض التمردات من قبل القبائل والشعوب البربرية، كان أخطرها ما قامت به قبائل الداكيين (Dacians)، التى كانت تسكن شرق أوروبا فى المنطقة المعروفة الآن باسم رومانيا والمجر. والتى اندفعت عام ٨٥م ــ بعد أن وحدت صفوفها ــ وعبرت نهر الدانوب، واستطاعت سحق القوة الرومانية وقتل حاكم الإقليم الرومانى[١٢].

(١١) حول سياسة دوميتيانوس الدفاعية والعسكرية ضد قبائل البربر المتمردة انظر:
سيد الناصرى: المرجع نفسه، ص ص ١٨٧: ١٩٢.

(١٢) سيد الناصرى: المرجع نفسه، ص ١٨٨.

ومن الهجمات التى قام بها البرابرة كذلك تلك التى كانت فى عـام ١٦٧م. وقامت بها قبيلتان مـن الجرمـان همـا الكواديـون (Quadi)، والماركومـانيون (Marcomanni)، حيث اخترقت هاتان القبيلتان الحدود الـشمالية للإمبراطوريـة على نهر الدانوب، ونفذتا خلال إيطاليا حتى أكويليا[١٣] (Aquileia)، وقـد نجـح الرومان فى عام ١٧١م – ١٧٢م، فى الانتصار علـى هـاتين القبيلتـين، وحـاز الإمبراطور ماركوس لقب المنتصر على الجرمان (جرمانيكوس)، لكن التغلب على الكواديين بصورة نهائية لم يتم إلا فى عام ١٧٤م[١٤]، وقد كان لهذه الهجمات أثـر كبير على المجتمع الرومانى، فقد تراجع الأمن بداخلـه، لأن القبائـل الجرمانيـة استطاعت أن تصل إلى داخل حدود إيطاليا (الجزء الشمالى الشرقى منهـا)، وهـذا يعنى أنها تخطت حدوداً كثيرة لكى تصل إلى هذه المنطقة، واقتربت لحد كبير مـن قلب إيطاليا مما يعنى أن الخطر الذى يتعرض له أفراد المجتمع الرومـانى أصـبح محققاً، ولم يعد هناك أمنٌ ولا استقرار، وقد أثّر هذا بدوره علـى الحالـة النفـسية للشعب الرومانى، الذى فقد الثقة فى حكام روما، الذين لـم يـستطيعوا أن يـوفروا الأمن له، ويصدوا تلك الهجمات، وكان خروج الجرمان من أراضى رومـا عـام ١٨٠م. وهو عام وفاة الإمبراطور أوريليوس، ولكن على الرغم من ذلك ظل أمـن الإمبراطورية الرومانية مختلاً، وفى هذا الجو من الاضطراب وعـدم الاسـتقرار داخل الإمبراطورية، ومع سياسة التسامح التى نهجها الأباطرة فى أحيـان كثيـرة تبلورت المسيحية وظهرت فى شكل عقدى واضح الملامـح، وبـدأت الجماعـات المسيحية المبكرة والكنائس المستقلة تتحد فيما بينها ضد الخطر الوثنى، ومـن هنـا نلاحظ أن الأوضاع كلها ساعدت على انتشار المسيحية حيث كانت الملجأ والمـلاذ لأفراد المجتمع الرومانى. من الاضطرابات التى كانت تـسود الإمبراطوريـة وأن تلك الفترة كانت تمهيداً لانتشار الديانات الشرقية، وعلى رأسـها المـسيحية علـى حساب الوثنية فى الإمبراطورية.

---

(١٣) Yehya. Lutfi. A.W., op.cit., p. 173; Cary. M. and Scullard. H., op.cit., p. 435.

(١٤) Cary. M. and Scullard. H., op.cit., p. 444.

وهناك هجمات أخرى كثيرة تعرضت لها حدود الإمبراطورية الرومانية، منذ عهد ماركوس أوريليوس ومَنْ بعده حتى أوريليانوس الذى استطاع طرد البالميريين خارج آسيا الصغرى، وهى إحدى أهم الولايات الرومانية. ثم طاردهم حتى أنطاكية.

وكان من أخطر الهجمات البربرية التى تعرضت لها حدود الإمبراطورية الرومانية تلك التى كانت فى عصر الإمبراطور سيفيروس. حين بدأت المسيحية فى الانتشار السريع فى قرطاجة ومصر. ونتج عن ذلك أعمال عنف وتمرد مختلفة فى تلك المناطق. وهى المناطق التى كان يُنظر إليها نظرة خاصة لكونها تمثل المستقبل الذى سوف تعتمد عليه الإمبراطورية فى ظل الخطر الجرمانى القادم على الأجزاء الغربية من الإمبراطورية[١٥].

ـ هجمات البارثيين:

ولم يقتصر الخطر الذى هدّد حدود الإمبراطورية الرومانية وأثّر على استقرار المجتمع الرومانى على هجمات البرابرة، بل كان هناك خطر آخر لا يقل عند حدودها هو خطر الهجمات البارثية (البارثيون هم الإيرانيون) ففى عهد الإمبراطور أنطونينوس، كانت هناك بعض الهجمات من قبل البارثيين، لكن الإمبراطور أنطونينوس سرعان ما استطاع القضاء على هذه الهجمات.

ثم واجهت الحدود الإمبراطورية خطر هجمات البارثيين مرة أخرى ولكن بصورة أشد فى عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس عام (١٦٤- ١٦٥م) حين غزا البارثيون أرمينيا، واجتاحوا ولاية سوريا، ثم عاودوا الهجوم مرة أخرى، واحتلوا ما بين النهرين وأرمينيا، ولم يتمكن الرومان من استرجاعهما حتى عام ١٦٦م[١٦].

---

(١٥) محمد عبد الفتاح: المرجع نفسه، ص ١٢، وعن اهتمام الإمبراطور سيفيروس بتأمين المنطقة الشرقية، راجع: روستوفتزف، نفسه، ص ص ٤٧٣- ٤٧٤.

(١٦) سيد الناصرى: المرجع نفسه، ص ١٥٤.

- الثـــورات:

هذا ولم تقتصر الأسباب التى أدت إلى عـــدم الاســـتقرار فـــى المجتمـــع الرومانى على ما تعرّض له نتيجة تهديد حدود الإمبراطورية ســـواء مـــن جانـــب البرابرة أم من جانب البارثيين بل زاد عليهما عامل آخر قوى هو الثـــورات التـــى كانت تقوم بها — فى أحيان كثيرة — شعوب الإمبراطورية ضـــد الإمبراطوريـــة، وهناك أمثلة كثيرة على تلك الثورات.

مثل الثورة التى شنها اليهود فى فلسطين عام ٦٦م، كانوا يطـــالبون فيهـــا بالمساواة فى الحقوق السياسية مع باقى المواطنين من غير اليهود[١٧] مما أثر بدوره على الأمن الداخلى فى الإمبراطورية.

وتمرد أهل بتافيا وهم من العنصر الجرمانى ضد الاســـتعمار الرومـــانى، ولم يكتفوا بذلك بل حرضوا الغاليين أيضاً على الوقوف معهم، والمناداة باســـتقلال بلاد الغال عن الإمبراطورية، وتدفقت القبائل الجرمانية المعادية لروما عبر الراين، ومعها قبائل الغال معلنين أن هدفهم الاستقلال عن الإمبراطورية الرومانية[١٨].

كما قامت بعض الثورات فـــى عهـــد الإمبراطـــور دوميتيـــانوس ضـــد الإمبراطورية الرومانية منها على سبيل المثـــال تلـــك التـــى قامـــت بهـــا قبائـــل الناسامونيين (Nassamones) الليبية التى كانت تسكن شرق طرابلس عـــام ٨٥م. وكان من أقوى الثورات تلك الثورة التى اندلعت فى عهد الإمبراطور تراجان عـــام ١١٥م، وشب نارها اليهود وعُرفت باسم ثورة اليهود الكبرى فى مدينـــة قورينـــة، تحالف فيها اليهود الذين يسكنون المقاطعات مع يهود فلسطين[١٩]، وقـــد اســـتمرت الثورات من جانب اليهود المتمردين فـــى فلـــسطين (١٣٤– ١٣٥م)، فـــى عهـــد الإمبراطور هادريان، والسبب فى ذلك هو إثارة الرومان لهم.

---

(١٧) المرجع نفسه، ص ١٥٤.

(١٨) المرجع نفسه، ص ١٦٢.

(١٩) المرجع نفسه، ص ص ٢٠٨، ٢٠٩،

Cary, M., and Scullard, H., op.cit., p. 439.

وكان لهذه الثورات أثر كبير على الإمبراطورية الرومانية ثم المجتمع الرومانى بوجه خاص فقد أدت إلى تراجع الأمن والاستقرار فى الإمبراطورية، مما أدى بدوره إلى شعور شعوب الإمبراطورية بالخوف وعدم الأمان فى ظل حكم الرومان.

وفى النهاية نلاحظ أن تلك الهجمات البربرية، والحروب البارثية والثورات قد أنهكت الإمبراطورية الرومانية إنهاكاً شديداً مما أتاح الفرصة للديانة المسيحية للتغلغل فى أنحاء الإمبراطورية الرومانية.

٢ـ ظهور المسيحية وموقف روما منها:

(أ) وصول المسيحية ضمن العقائد الشرقية إلى روما:

كانت الظروف السابقة من صراع القادة العسكريين على العرش والتهديد الذى تتعرض الإمبراطورية الرومانية سواء من جانب البرابرة أم البارثيين أم الثورات التى كان لها دور كبير فى عدم الاستقرار فى المجتمع الرومانى، أدت هذه الظروف كلها إلى نوع من التخلخل فى الشعور بالسلام ومن ثم مهدت لوصول المسيحية لروما، ولننتقل الآن للحديث عن وصول المسيحية ضمن العقائد الشرقية إلى روما، ثم عن موقف روما من هذه العقيدة، وأخيراً سأتحدث عن عبادة الإمبراطور، ومدى تأثرها بظهور المسيحية. بدأ وصول العقائد الشرقية إلى روما فى القرنين الأول والثانى الميلاديين، وأضيفت طقوس وعبادات إلى عبادات الآلهة التى كانت توجد فى تلك الفترة فى الإمبراطورية[٢٠]، وبدأت آلهة الشعوب الأوروبية والشرقية تختلط مع الآلهة الرومانية، فعلى سبيل المثال ظهر الإله بعل آمون القرطاجى، والإله بعل السورى الذى تحول إلى جوبيتر، وكان اندماج تلك الآلهة مع الآلهة الرومانية بدرجة كبيرة فاقت مجرد التغيير فى الاسم[٢١].

---

(٢٠) Cary. M. and Scullard. H., op.cit., p. 483.

(٢١) وفى مصر وهى إحدى الولايات التابعة للإمبراطورية الرومانية نجد الإله أبوللو يعرف بأنه حورس، وقد أظهر فى أكثر من شكل وكان من أشهر الآلهة فى مصر.

راجع: Milne. J. Grafton, op.cit., p. 196.

ونلاحظ أنه فى هذه الفترة بدأت تظهر المعجزات، والأفكار عن العالم الآخر (العالم السفلى) مرة أخرى فى المجتمع الرومانى، وقد سجل بلوتارخ أمثلة كثيرة للكتب التى ألفت فى تفسير الأحلام، وبينما رفضت رسمياً الأعمال السحرية الخاصة بعبادة الآلهة الرومانية، انتشرت معجزات الشفاء بواسطة المعبودات الشرقية فى المجتمع الرومانى، وتم قبولها بإيمان وتصديق تامين[٢٢]. وفى عهد الإمبراطور دوميتيانوس اشتهر أحد الجوالة وهو أبوللونيوس التيانى، الذى اشتهر بأعماله الخارقة ومعجزاته.

من هنا نستطيع القول بأن الديانات الشرقية ابتلعت الديانات التقليدية، فقد استطاعت تلك الديانات جذب عدد كبير من مواطنى الإمبراطورية. ومن هذه العبادات، عبادة الإلهة إيزيس[٢٣]، التى انتشرت فى أواخر القرن الأول الميلادى، وأوائل القرن الثانى الميلادى، وانتشرت معها أيضاً عبادة الإله سيرابيس، فى المناطق الشمالية للمقاطعات الرومانية. واستمرت هذه العبادة (عبادة إيزيس) مزدهرة حتى عصر الإمبراطور أنطونينوس، حيث بدأت تتراجع أمام عبادة أخرى بدأت تظهر وتنتشر بدرجة كبيرة فى المجتمع الرومانى، وهى عبادة الإله مثرا الفارسى، التى استمرت بشكل واضح فى المجتمع الرومانى حتى تحولت فى النهاية إلى شكل أساسى من أشكال عبادات الأسرار الرومانية[٢٤].

وقد ماثلت عبادة الإله مثرا عبادة إيزيس فى بعض النواحى، ومنها أنها تتشابه معها فى الطقوس الدينية التى يقوم بها الكهنة، كما أنها تتشابه معها فى أنها تعِد بالخلود فى المستقبل، ولكنها تجاوزت عبادة إيزيس واقتربت أكثر من المسيحية عندما مجدت الأعمال الصالحة، والبعد عن الخطايا، والإعلاء من شأن الأخوة بين الفضائل. كما أنها تقترب من المسيحية فى تعليم المبتدئين للرحلة التى تتبعها الروح الخالدة، وما الطرق التى يجب أن يتبعوها لكى يخلصوا أرواحهم من

---

(٢٢) Cary. M. and Scullard, H., op.cit., p. 483.

(٢٣) Ibid., op.cit., p. 483.

(٢٤) Ibid., p. 483.

الرذائل، وقد انتشرت تلك الديانة بين الطبقات المختلفة للشعب الرومانى، فقد وصلت إلى الطبقات الدنيا، وخاصة الجنود، وإلى التجار وبمساندة الأباطرة انتقلت تلك العبادة (عبادة مثرا) بواسطة الجنود من معسكر لآخر، ومن الشرق حتى وصلت لإسبانيا وشمال أفريقيا[٢٥].

ووصلت المسيحية إلى روما مع تلك العقائد الشرقية، وكان ظهور المسيحية وانتشارها السريع فى الإمبراطورية الرومانية يرجع إلى تعدد مميزاتها التى تفوقت بها على الديانات الأخرى المنافسة لها، ومن هذه المميزات أن ما وضعه المسيحيون لأنفسهم من نظام، فاق ما عند أتباع عبادات الأسرار[٢٦] (الديانات الأخرى)، وقد كان واجباً على الكنيسة أن تفعل ذلك حتى تصبح عقيدتها منفصلة عن اليهودية التى كان يُظن فى البداية أنها إحدى طوائفها. وفى أواخر القرن الأول الميلادى بدأت المسيحية تنتشر فى أنحاء الإمبراطورية كلها بشكل منظم عن طريق الحواريين، والمعلمين، والقديسين، وأعضاء الكنيسة الذين بدأوا يؤسسون لأنفسهم أكليروس منظماً خاصاً بهم. ونلاحظ أنه وردت الإشارة إلى ذلك فى خطابات إجناتيوس Ignatius عام ١١٥م، والتى يشير فيها أن كنيسته فى أنطاكية تشبه الكنائس الأخرى التى فى آسيا الصغرى، وكما تشبه تلك التى فى روما مما يدل على مدى الدقة والنظام الذى كانت تنتشر به المسيحية على مستوى الإمبراطورية الرومانية كلها، وقد أكد ذلك أحد أعداء المسيحية وهو الكاتب الوثنى كلسوس Celsus، الذى أشار إلى أن المصدر الأساسى لقوة المسيحية يكمن فى التقارب الشديد بين مجتمعاتهم[٢٧]. وقد كان السبب الأساسى وراء انتشار المسيحية بهذه السرعة فى الإمبراطورية الرومانية هو ظهور نوع معين جديد من الأدب هو الأدب الدفاعى[٢٨]،الذى استخدمه المسيحيون الذين هم خارج الكنيسة لكى يفسروا

---

(٢٥) Ibid., p. 483.

(٢٦) Ibid., p. 484.

(٢٧) Ibid., p. 484.

(٢٨) Ibid., p. 485.

عن طريقه الديانة المسيحية لمن يريد أن يعتنقها، كما كانوا يستخدمونه فى الدفاع عن هذه العقيدة وحمايتها من اعتداءات الآخرين (والمقصود بهم الوثنيين)، وكانت التعاليم المسيحية شفهية فى البداية، ثم تم تسجيلها بعد ذلك فى القرن الأول الميلادى ثم وصلت عن طريق الأناجيل الثلاثة الأولى(٢٩).

وكان الآباء الأوائل فى أمس الحاجة إلى هذا الأدب الدفاعى Apology — الذى يرجع للفترة من ١٢٠ إلى ٢٢٠م — واستخدموه فى الدفاع عن المسيحية، وكان أحد هؤلاء كوادراتوس Quadratus الذى أرسل أحد الخطابات الدفاعية إلى الإمبراطور هادريان، وأوضح له فيه التعاليم المسيحية والاضطهادات التى تلاقيها من الوثنية، والقديس جستين الذى أسس المدرسة المسيحية فى روما عام ١٥٠م، وأرسل خطابات دفاعية إلى الإمبراطور أنطونينوس، وماركوس أوريليوس(٣٠)، وعلى الرغم من الهجوم الشديد على المسيحية أثناء حكم الإمبراطور أوريليوس من قبل اثنين من الأدباء هما كورنيليوس فرونتو Cornelius fronto، وكلسوس Celsus، وعلى الرغم من الصعوبات التى واجهتها المسيحية إلا أنه لا تتح الفرصة لأية ديانة من الديانات القديمة مثلما أتيحت للمسيحية فى التعبير عن نفسها فقد كان على هؤلاء الآباء أن يوضحوا لكل من الأباطرة والشعب ماذا تعنى المسيحية، التى لا يفهمونها حق الفهم ويعتقدون أنها تمثل خطراً على الإمبراطورية الرومانية، لهذا حاولت المسيحية أن توضح مدى بساطتها وسهولة طقوسها(٣١)، كما

---

(٢٩) أحد هذه الأناجيل وهو إنجيل القديس بولس اعتمد على الفلسفة الرواقية والأفلاطونية، وقد انتقلت كتاباته فيما بعد إلى آباء الكنيسة الأوائل ومعظمهم من اليونان ومن بينهم الأسقف السكندرى كلمنت ومن بعده تلميذه أوريجين (عام ٢٠٠م).

Cary. M. and Scullard. H., op.cit., p. 485.

(٣٠) Ibid., p. 485.

(٣١) وصف بلينى كيف كان المسيحيون البيثيون يتجمعون معاً فى يوم محدد قبل شروق الشمس ويغنون الشعر والترانيم، إلى السيد المسيح، ويقسمون على ألا يرتكبوا أية خطايا ثم يتناولون بعد ذلك طعاماً طاهراً.

Cary. M. and Scullard. H., op.cit., p. 485. apud. Pliny, Natura, Historiae, X, 96.7

حاولت ـــ من ناحية أخرى ـــ أن تجتذب إليها عدداً كبيراً من الشعب، وربما يرجع انتشار المسيحية بدرجة سريعة بين طبقات الشعب الرومانى أيضاً إلى أنها لم تميز بين الغنى والفقير ولا بين الرجل والمرأة، وكانت تنادى بالمساواة، وكان لهذا أثره العميق فى الشعب فى ظل الظروف القاسية التى كان يعانى منها من عدم الاستقرار وتراجع الأمن، وفقدان الثقة فى آلهتهم. التى لم تستطع أن تحقق لهم الأمن والاستقرار، وقد انتشرت المسيحية من فلسطين إلى سوريا، وآسيا الصغرى واليونان وحتى حدود الإمبراطورية، وكانت هناك جماعة مسيحية فى المدينة العاصمة إديسا Edessa خلال القرن الثانى الميلادى[٣٢]، كما انتشرت أيضاً فى مصر وفى شمال أفريقيا وموريتانيا وتونس، لكنها انتشرت ببطء فى كل من الغال وبريطانيا وأسبانيا، وعلى الرغم من انتشار الديانة المسيحية منذ بداية القرن الأول الميلادى إلا أنها لم تصل إلى الأسرة الإمبراطورية قبل نهاية هذا القرن، ثم تغلغلت فى القرن الثانى الميلادى فى طبقات الشعب الرومانى قاطبة.

ننتقل بعد ذلك إلى العامل أو (الظرف) التالى الذى مهّد لفكر كلمنت السكندرى وهو:

(ب) موقف روما من المسيحية

كانت المسيحية فى البداية تُعد إحدى الطوائف اليهودية الخارجة على الديانة المعروفة[٣٣] فى ذلك الوقت، والتى لم تكن تمثل أى خطر على السياسة الإمبراطورية فى القرنين الأول والثانى الميلاديين[٣٤]، وليست المسيحية وحدها هى التى كانت تدعو إلى عبادة الإله الواحد، فقد كانت اليهودية تدعو إلى ذلك أيضاً، وكانت كلتاهما ترفض الشرك أى عبادة آلهة أخرى أو عبادة

---

(٣٢) Ibid., p. 486.

(٣٣) انظر: رأفت عبد الحميد، الفكر المصرى فى العصر المسيحى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠، ص ص ١٠٤، ١٠٥.

(٣٤) Sordi Marta, *Christians and The Roman Empire*, New York, 1994, p 23

الإمبراطور(٣٥).

وكانت المسيحية كاليهودية تحارب عبادة الآلهة أى الإلحاد أو "الكفر" وقد استاء من هذا الهجوم الوثنيون، والذين كان من أهم مبادئهم أن نحيا ونترك شئون الدين جانباً(٣٦). فتصدوا للأفكار التى تنادى بالإله الواحد، ولم يستطع المسيحيون أن يواجهوا هذا الهجوم بمفردهم، أو أن يبتعدوا عن هذا المجتمع الوثنى. فتعرضوا لمصاعب جمة من الوثنيين حتى إن أحد المؤرخين وهو تاكيتوس هاجم كلاً من اليهود والمسيحيين لطريقتهم الخاطئة فى العبادة، وكان ينظر للمسيحيين نظرة ازدراء، واستهجان لأن المسيحية فى رأيه "خرافة مهلكة" " Exitiabilis Superstitio"، أو "خرافة تافهة ومتطرفة "Parvaetimmodica supers"، أو كانت ــ عنده ــ "عناداً جامحاً" "Inflexibilis obstinatio"، بمعنى أن المسيحيين جماعة من المتعصبين للخرافات ممن استسلموا للحماس الزائد المتهور وأنهم كارهون للبشرية كما يصفهم تاكيتوس(٣٧).

وكانت المجتمعات المسيحية فى القرنين الأول والثانى عُرضة لهجمات الغوغاء الساخطين، يشبهون هؤلاء الذين كانوا يضطهدون اليهود فى القرون الوسطى(٣٨)، أما موقف الأباطرة الرومان فلم يكن محدداً من المسيحيين حتى حكم

---

(٣٥) Cary. M. and Scullard. H., op.cit., p. 486؛ مصطفى العبادى، الإمبراطورية الرومانية (النظام الإمبراطورى ومصر الرومانية)، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨، ص ٢٣٨.

(٣٦) Cary. M. and Scullard. H., op.cit., p. 486؛ ارتبطت الحياة الرومانية بطريقة كبيرة باحترام المعبودات وطاعتها، لكن كثيراً من الرومان لم يكترثوا بتلك العبادة، فقد كانوا يرفضون عبادة الإمبراطور، على أنه معارض للآلهة، وقد سبب ذلك تصادماً مع الحكومة الرومانية، ومن المحتمل أن هذا تسبب فى قتل عدد من المسيحيين فى آسيا (وخاصة فى برجامة) فى عهد الإمبراطور دوميتيانوس.

(٣٧) محمد عبد الغنى: أضواء على المسيحية المبكرة، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٧،ص ص ٣١، ٣٢.

(٣٨) Cary M and Scullard H., op.cit., p. 487.

تراجان[٣٩]، وقد تركز اضطهاد الأباطرة الرومان للمسيحيين على أهل مصر في الغالب، خاصة الإسكندرية ويرجع هذا للأسباب التالية:

١- نجاح كنيسة الإسكندرية ومدرستها فى جذب أتباع من المستويات كافة حتى الفلاسفة، للعقيدة الجديدة.

٢- أن الإسكندرية تمثل مركزاً حيوياً لمد العاصمة الرومانية بالمحاصيل، لذلك كان الأباطرة يخشون دائماً حدوث أية ثورة فى مصر[٤٠].

ويسجل المؤرخون المسيحيون أن نيرون كان أول من اضطهد المسيحيين ويشنون هجوماً ضارياً عليه ويذكرون فظائعه؛ فالمؤرخ ترتليانوس يذكر مخاطباً معارضى المسيحية من الرومان قائلاً "ولسوف تجدون — إذا ما راجعتم تواريخكم — أن نيرون هو أول من استشاط غضباً وسلّ سيفه الإمبراطورى ضد هذه الطائفة (المسيحيين)، عندما ارتفع شأنها فى روما. لكننا نباهى ونفاخر بأن يكون مثل هذا الرجل قد كرّس نفسه لإدانتنا، ولعلنا لأن من يعرف ذلك الرجل يمكن أن يفهم أنه ما لم يكن الشئ طيباً عظيماً فلن يدينه نيرون"[٤١]. لقد كان اضطهاد نيرون للمسيحية مجرد أمر طارئ أراد به الإمبراطور أن يُبعد عن نفسه شبهة حرق روما فألقى التهمة على هؤلاء المسيحيين الذين كانوا فى تلك الفترة (القرن الأول الميلادى) طائفة جديدة لا يعرف عنها الناس الكثير[٤٢].

---

(٣٩) حول انتشار المسيحية فى عهد الإمبراطور تراجان انظر: محمد عبد الغنى، المرجع نفسه، ص ص ١٨، ٢١، ٢٣، ٢٤؛ وحول موقف تراجان وهادريان من المسيحية انظر: توفيق الطويل، قصة الاضطهاد الدينى فى المسيحية والإسلام، الزهراء للإعلام العربى، ١٩٩١، ص ٤٩؛ Bell. H. Idris, op.cit., p. 82.

(٤٠) حول أسباب اضطهاد الأباطرة الرومان للمسيحية انظر: تادرس يعقوب ملطى، الكنيسة القبطية الأرثوذكسية والرومانية، كنيسة الإسكندرية، ١٩٨٦، ص ١٩.

(٤١) سيد الناصرى: المرجع نفسه، ص ص ١٣٨: ١٤٠؛ محمد عبد الغنى، المرجع نفسه، ص ١١.

(٤٢) حول اضطهاد نيرون للمسيحيين انظر: Cary. M. and Scullard. H., op.cit., p. 359؛ توفيق الطويل، المرجع نفسه، ص ٤٨؛ Sordi. Marta, op.cit., pp. 30-34.

ولم يقضِ هذا الاضطهاد على الديانة الجديدة؛ على الرغم من أن أعداء المسيحية المحليين شجعهم موقف نيرون الذى وجدوا منه أذناً مصغية، فألصقوا بالمسيحيين كل تهمة وعلى رأس ما اتهموهم به تهديد أمن روما، وعلى الرغم من نفى عدد من المسيحيين فى نهاية القرن الميلادى الأول على أنهم طائفة يهودية منشقة، ووضع الرومان النواة الأولى ــ بهذا الصنيع ــ لاضطهاد المسيحيين(٤٣) بعد أن كانوا يعاملونهم برفق فى النصف الأول من القرن الأول الميلادى.

على الرغم من تعرض المسيحية إلى تلك الاضطهادات كلها من جانب الأباطرة الرومان إلا أننا نلاحظ أنها استطاعت أن تغرس فى نفوس أتباعها الاتحاد والمحافظة على الكيان الواحد لمجتمعهم الصغير، وقد أشار ترتلليانوس إلى ذلك فى دفاعه عندما كان يتحدث عن المجتمعات المسيحية التى كان كل منها "مجموعة تربط بينها ممارسة دينية واحدة، ونظام واحد، وأمل واحد"، أسست هذه الجماعة صندوقاً يعتمد على "الهبات" التى يستخدمونها فى دفن الفقراء، ومساعدة اليتامى، وكبار السن الذين لا يستطيعون ضرباً فى الأرض"(٤٤).

ونلاحظ من كلمات ترتلليانوس أن المسيحية كانت جماعة منظمة وهذا إن دلّ على شئ فإنما يدل على أنها ظهرت قبله بفترة طويلة، ووجود صندوق تُجمع فيه الأموال التى يساعدون بها الفقراء والأطفال والمسنين، شئ يحتاج إلى ترتيب وتنظيم يلزمها زمن طويل مما يعنى أن المسيحية ديانة عريقة ومنظمة.

وكان المبدأ الذى كانت تدعو إليه المسيحية من أهم المبادئ التى جعلت عدداً كبيراً من المواطنين الرومان وغير الرومان يدخلون فيها، وذلك لما كان يفتقده المجتمع الرومانى فى تلك الفترة من أمن واستقرار. وليس صعباً أن نستنتج من ذلك أن هذا المبدأ نفسه ــ مبدأ الانتماء إلى جماعة واحدة مترابطة ــ هو الذى استثار روما ضد المسيحية وجعلها تقلع عن نهج التسامح الذى اتبعته تجاه أنصار العقائد الأخرى كاليهودية مثلاً، كما أن هناك اعتقاداً قوياً لدى بعض الباحثين بأن

(٤٣) حول اضطهاد المسيحية انظر: Cary. M. and Scullard. H., op.cit., p. 359

(٤٤) Yehya, Lutfi, A.W., op.cit., p. 173.

هذا الاضطهاد غير المألوف من الإمبراطورية الرومانية للديانة المسيحية واتباعها إنما يعود إلى أسباب سياسية أو أخلاقية أو كلتيهما معاً، ومن هذه الأسباب أن المسيحية تهدد الأمن والنظام العام فى المجتمع الرومانى، على أساس أن أتباعها أقلية خارجة على الإجماع ومارقة لا تشارك فى عقائد الدولة. وكان حكام الإمبراطورية حساسون حساسية مفرطة تجاه المجتمعات الخاصة المغلقة ويرون فيها بؤراً للإزعاج. ولذا كانت الدولة تُصر على أن تحصل تلك الجماعات على تراخيص أو تصريح منها أولاً. ومن يعاود الاجتماع دون ترخيص يعرض نفسه لأشد العقوبات(٤٥).

ولم يكن الصراع بين المسيحية والإمبراطورية مقتصراً على الإمبراطور نيرون بل توالى بعده أباطرة اختلفوا ما بين مضطهد للمسيحية، ومتسامح معها، حيث يذكر المؤرخ سويتونيوس أن الإمبراطور كلاوديوس طرد من روما اليهود الذين كانوا يثيرون الاضطرابات بإيعاز من المسيح، ولايخفى ما فى هذه العبارة من خلط بين المسيحيين واليهود. والاعتقاد بأن المسيحيين طائفة من اليهود، ثم جاء تيتوس بن فيسبسيانوس الذى يذكر المؤرخ سولبيكيوس أنه عقد مجلساً للحرب لكى يقرر ما إذا كان سيدمر المعبد اليهودى فى أورشليم أم لا وفى ذلك يقول سولبيكيوس:

"يقال إن تيتوس استدعى مجلسه الاستشارى ــ قبل أن يفعل أى شئ ــ وأخذ يتدبر الأمر وما إذا كان سيدمر معبداً بمثل هذه الصنعة الرائعة أم لا"(٤٦) وهنا يظهر أن تيتوس كان يدرك أن اليهودية والمسيحية ديانتان مختلفتان بل متعارضتان إلا أنه كان يرى المسيحية ــ بصورة أو أخرى ــ طائفة من اليهود خارجة عن الديانة الأم أو بمعنى آخر إحدى الهرطقات اليهودية. واستمر

---

(٤٥) Sulpicius. Chron, 2.30.6 (Apud) محمد عبد الغنى: المرجع نفسه، ص١٢؛ Sordi. Marta, op. cit., p.4

(٤٦) Tacitus, Historiae, Fragmenta, Opud Sulpicius Severus Chron. 2.30.6; مقتبس من: محمد عبد الغنى، المرجع نفسه، ص ص ١٣، ١٤

الاضطهاد فى عهد الإمبراطور دوميتيانوس(٤٧) (٨١- ٩٦م)، حيث يذكر يوسيبيوس ذلك مشيراً إلى الإمبراطور دوميتيانوس قائلاً عنه إنه كان خليفة لنيرون فى حملة العداء للرب وكان ثانى من يحرك الاضطهاد ضد المسيحيين. ومن الواضح هنا أن دوميتيانوس تأثر بفكر تيتوس ورأى أن الأصل والفرع (اليهودية والمسيحية) على القدر نفسه من الخطورة من حيث عدم مشاركتهما فى طقوس العبادات الرومانية وخصوصاً عبادة الإمبراطور.

ولا يعنى هذا أن الأباطرة الرومان كانوا جميعاً يضطهدون المسيحيين؛ فقد كان منهم من ينهج نهج التسامح ومن هؤلاء الأباطرة الإمبراطور تراجان (٩٨-١١٧م) حيث ظل مبدؤه فى التعامل مع المسيحيين سارياً لفترة طويلة حتى حوالى منتصف القرن الثالث الميلادى. وهو ألا تسعى الحكومة الرومانية إلى إشعال نار الاضطهاد، مع عدّ اعتناق المسيحية خروجاً على القانون. ومع ذلك كان الاضطهاد يحدث خلال هذه الفترة بشكل متقطع وبصورة عارضة إلى حد ما، حين كانت تحركه أهواء العامة والغوغاء أو رغبة حكام الولايات فى نيل الحظوة لدى الأباطرة والتقرب إليهم باضطهاد المسيحيين[٤٨].

هكذا شهدت هذه الفترة صراعاً شديداً بين الديانة المسيحية من جهة والوضع السياسى الرومانى من جهة أخرى. لكن القائمين على أمر المسيحية آنذاك بذلوا جهوداً كبيرة لإظهار الفرق بين المسيحية واليهودية من خلال تفسير غموض المسيحية ووضعها بصورة دائمة موضع مقارنة مع اليهودية. وترسيخ ذلك فى أذهان الأباطرة. وقد كان ترتليانوس[٤٩] (١٦٠- ٢٢٥م) من المدافعين عن

---

(٤٧) حول اعتلاء الإمبراطور دوميتيانوس العرش، واضطهاده للمسيحيين انظر: يوحنا النيقيوسى، تاريخ العالم القديم ودخول العرب مصر، مكتب النسر للطباعة، ١٩٩٦، ص ٥٨.

(٤٨) حول اضطهاد الإمبراطور تراجان للمسيحيين انظر: محمد عبد الغنى، المرجع نفسه، ص ص ١٨: ٢٣؛ يوحنا النيقيوسى، المرجع نفسه، ص ٥٩.

(٤٩) كان ترتليانوس قد تعلم البلاغة والخطابة والفلسفة والقانون. وفى حوالى عام ١٩٧م ألف فى الدفاع عن المسيحية. Apologeticus فى صورة حديث موجه من محامٍ إلى حكام

المسيحية الواقفين ضد اضطهاد الإمبراطور. وكان يسعى من وراء دفاعه هذا إلى أن يكفل للمسيحيين الحماية من هجمات العامة والدهماء ومن الإجراءات غير القانونية عند مثولهم أمام المحاكم، واستخدم فى ذلك مزيجاً من عاطفته المسيحية المتأججة وسخريته اللاذعة. وقد أثبت فى دفاعه أن "الأباطرة فوق الناس جميعاً لكنهم فى المرتبة الثانية بعد الله". وقد ورد فى دفاع ترتلليانوس حديث عن التفرقة فى المعاملة التى يمارسها الأباطرة بين المسيحيين وغيرهم. وكانت هذه التفرقة تأخذ صوراً مختلفة تتمثل فى التفرقة فى التعامل، والتفرقة من الناحية القضائية وغير ذلك. ومن أمثله ذكره للتفرقة فى المعاملة بين المسيحيين وغيرهم قوله فى إحدى الفقرات: "ربما كنا مجرد فلسفة جديدة، لكنكم لا تضطهدون الفلاسفة، إنهم يهدمون آلهتكم صراحة ويهاجمون خرافاتكم فى أطروحاتهم وأنتم تصفقون لهم. وكثير منهم ينبحون ضد أباطرتكم فتدعمونهم، وتكونون أميل لمكافأتهم بالتماثيل والمنح بدلاً من إدانتهم وإلقائهم للضوارى، حقاً ! فهؤلاء يسمون فلاسفة لا مسيحيين"[٥٠].

ويأتى بعد ذلك الإمبراطور هادريان[٥١] (١١٧– ١٣٨م) الذى حذا حذو سلفه الإمبراطور تراجان فى التعامل مع المسيحيين، ثم الإمبراطور أنطونينوس الذى أمر بألا يتدخل أحد فى شئون المسيحيين إلا فى حالة ثبوت تآمرهم ضد الحكومة الرومانية وأنه لو أصر أحد بعد ذلك على أن يتخذ أى إجراء ضد أى من هؤلاء الأشخاص لأنه مسيحى فيجب أن يطلق سراح المتهم حتى لو ظهر أنه كذلك (أى أنه مسيحى) ويتعرض من وجَّه له الاتهام للعقاب، ويبدو أن الإمبراطور ماركوس أوريليوس (١٦١– ١٨٠م)، وكذلك لوكيوس فيروس (١٦١– ١٦٩م) ابن

الولايات الرومانية. وحول دفاع ترتلليانوس عن المسيحية ضد عبادة الإمبراطور انظر: محمد عبد الغنى، المرجع نفسه، ص ص ٤٣: ٤٦.

(٥٠) محمد عبد الغنى: المرجع نفسه، ص ٤٤.

(٥١) عن اضطهاد الإمبراطور هادريان للمسيحيين راجع:

Tollinton. R.B., Clement Alexandria, *A Study in Christian Liberalism*, Vol. I, 1914, pp. 72-73.

أنطونينوس بيوس بالتبنى قد احتذيا حذوه فى التعامل مع المسيحية والمسيحيين، كما لم يتوقف الاضطهاد فى عهد الإمبراطور سبتميوس سيفيروس(٥٢) الذى أصدر مرسوماً عام ٢٠٢م يمنع الرعية من الدخول فى اليهودية أو المسيحية، مبرراً ذلك بأنهم قوم مثيرون للشغب(٥٣)، ونخرج من هذا بأن اضطهاد سيفيروس لليهودية والمسيحية كانت غايته الأولى التصدى لتلك العقائد الجديدة. لا لمفهومهما الدينى وحسب، بل لمعناهما السياسى ورغبته فى فرض نوع من التوحيد وتأمين مستقبل الولايات وضمان خضوع شعب الإمبراطورية ذى العقائد والديانات المختلفة لحكومة الإمبراطورية المتمثلة فى شخص الإمبراطور. وبهذا فإننا لا يمكن أن نؤكد على وجود عداء سياسى من آل سيفيروس للمسيحية وهناك بعض الدلائل من الحياة الاجتماعية ولعائلة سيفيروس تؤكد ذلك إذ يخبرنا ترتلليانوس أن لسيفيروس موقفاً رائعاً حينما مرض وطلب أحد المسيحيين لعلاجه كما طلب إحدى الممرضات المسيحيات لكى ترعى ابنه كاركلا(٥٤). وقد كانت فترة حكم الإمبراطور كاركلا فترة هدوء نسبى للمسيحيين. وعندما تولى الإمبراطور الإسكندر سيفيروس الحكم عام ٢٢٢م، كان متسامحاً مع المسيحيين، ومرد ذلك فى رأى يوسيبيوس أن أم الإمبراطور (جوليامامايا) كانت متدينة وتقية على العقيدة المسيحية. وأنها قد سمعت بأوريجين وشهرته فطلبته لتناقش معه بعض القضايا اللاهوتية(٥٥). ولكن عندما قتل الإسكندر سيفيروس واغتصب العرش القائد مكسيمينوس، عمل على إشعال نار الاضطهاد مرة أخرى؛ فأصدر مرسوماً عام

---

(٥٢) حول اضطهاد الإمبراطور سبتميوس سيفيروس للمسيحيين انظر: تادرس يعقوب ملطى، المرجع نفسه، ص ٢٠؛ Tollinton, R.B., op.cit., Vol. II, p. 314.

(٥٣) ويصف كل من يوسيبيوس، وترتلليانوس بشاعة تنفيذ قرار الإمبراطور، حيث وصفوا أنواع التعذيب التى يمارسها الولاة مع أتباع المسيح، راجع:
Eusebius, Historia Exclesiastica, VI., 5;
منسى يوحنا: تاريخ الكنيسة القبطية، مكتبة المرقسية، ١٩٨٣، ص ٥٢.

(٥٤) Cary. M. and Scullard. H., op.cit., p. 546.

(٥٥) Eusebius, Historia. ECC, VI. 21.؛ وعن أحوال الإمبراطورية فى تلك الفترة راجع: روستوفتزف: المرجع نفسه، ص ص ٤٩٠، ٥٠٠

٢٣٥م، يأمر فيه بقتل رؤساء الكنائس. على أساس أنهم المسئولون عن نشر هذا الدين، وبخلاف هذا الحادث فإن الفترة ما بين عامى ٢١٧م، و ٢٤٩م تميزت بالهدوء النسبى من المسيحيين. وتغير بالتالى الموقف السياسى الرومانى تجاههم. بل وصل الأمر إلى حد الاعتماد عليهم فى القصر الإمبراطورى نفسه. فى عهد الإمبراطور فيليب العربى. ثم أتى بعد ذلك الإمبراطور دقيوس[٥٦] حكم لعامين فقط إلا أنه ترك ذكرى مؤلمة فى نفوس المسيحيين لا سيما المصريين منهم، فقد كان هذا الإمبراطور الذى خلف فيليب العربى كارهاً له تماماً، فقام بعملية تصفية بدأت بمن فى القصر الإمبراطورى، وانتهت برفضه التام للمسيحيين، وكان مرسوم دقيوس عام ٢٥٠م موجهاً لسكان الإمبراطورية جميعاً يأمرهم بتقديم القرابين للآلهة الوثنية ولتماثيل الإمبراطور[٥٧].

مما سبق كله ندرك أن الإدارة الرومانية أو بمعنى أصح من كانوا يتبوأون مكان الصدارة منها وهم أباطرة الرومان لم يتخذوا موقفاً متشدداً من المسيحية فى القرن الثانى الميلادى بل غضوا الطرف عن أتباعها طالما لم يصدر عنهم ما يهدد الحكومة الرومانية. وكان لهذا الموقف الرسمى المتسامح أثره فى سرعة انتشار المسيحية فى أرجاء الإمبراطورية على الرغم مما كان يعترضها أحياناً من اضطهاد لأتباعها على أيدى الجماهير الوثنية.

(جـ) عبادة الإمبراطور تعرقل قبول روما للمسيحية

وإذا كانت العبادات الوثنية عموماً قد أدت إلى قيام صراع مع العقيدة الجديدة، فإن عاملاً آخر كانت له آثار واضحة على هذا الصراع، هذا العامل هو

---

(٥٦) حول اضطهادات القرن الثالث الميلادى فى عهد الأباطرة دقيوس وفالريانوس انظر:
Sordi. Marta, op.cit., pp. 179.

(٥٧) حول مرسوم دقيوس انظر: Cary. M. and Scullard. H., op.cit., pp. 223, 546.؛
وحول تعذيب دقيوس للمسيحيين انظر، يوحنا النيقيوس، المرجع نفسه، ص ٦٢؛ تادرس يعقوب ملطى، (المرجع نفسه)، ص ٢١؛
Hardy, E.R., *Christian Egypt, Church and People*, New York, 1952, p. 214; Bell. H. Idris, op.cit., pp. 85-86; Milne, op.cit., p. 70.

عبادة الإمبراطور، فقد كانت هذه العبادة من أهم العوامل التى أثرت فى الفترة التى سبقت ظهور كلمنت السكندرى، كمـا كانـت مـن أكثـر الأشـياء بـروزاً فـى الإمبراطورية الرومانية ويقصد بها تكريم الأباطرة بعد موتهم وضـمهم لـصفوف الآلهة بواسطة مجلس الشيوخ الرومانى وهو السلطة الدينية المختصة، وذلك لعمـل عظيم أنجزوه أو ما شابه ذلك[٥٨].

ويصف لنا بلوتارخ روما بأنها "كانت بمثابة منزل للبـشرية كلهـا" وأن المسيحيين لم يكونوا يستثنون من ذلك[٥٩]، وقبل الحديث عن بداية ظهـور عبـادة الإمبراطور فى الإمبراطورية الرومانية أود أن أوضح أن عبادة الإمبراطـور لـم تكن قاصرة على المجتمع الرومانى ومجتمعات الإمبراطورية الرومانية، فقد عرفها المجتمع المصرى فى عهد الفراعنة، كما ألّه الإسكندر الأكبر فـى حياتـه وبعـد مماته، وألّه بطلميوس الأول وزوجته بعد مماتهما وأله بقية الحكّـام البطالمـة فـى حياتهم. وإذا تتبعنا ظهور عبادة الإمبراطور فى المجتمـع الرومـانى فـسنجد أن الإمبراطور أغسطس هو أول من حاول إدخالها إذ كان يحاول أن يلـصق اسـمه باسم كل ربة من ربات الرومان فظهر اسم الربـة فورتونـا أوغـسطا Fortuna Augusta، وباكس أوغسطا، وهما ربتّا الحظ والسلام، ومركوريـوس أغـسطس، وهو رب الخير الوفير، محاولاً إقناع الرومان بطريقة غيـر مباشـرة بـأن كلمـة أغسطس كلمة مباركة ومقدسة ومرادفة للخير والرفاهية[٦٠].

هكذا جعل أغسطس التيارات الدينية تنبع من قصره لتتفرع إلـى أجهـزة الدولة كافة، وتمتزج بتفكير الناس. أو بعبارة أخرى كانـت الجماعـات والقنـوات

---

(٥٨) حسين الشيخ: ديانات الأسرار والعبادات الغامضة فى التاريخ، دار العلوم العربية، بيروت، ١٩٩٦، ص ٥٠.

(٥٩) Yehya. Lutfi. A.W., op.cit., p. 167، وعن موقف الأباطرة من المسيحيين راجع: حسين الشيخ: المرجع نفسه، ص ٥١.

(٦٠) سيد الناصرى: المرجع نفسه، ص ص ٧٤، ٧٦، وعن عبادة الأباطرة راجع أيضاً:
Ferguson. John, *The Religious of The Roman Empire [Aspects of Greek and Roman Life]*, (Thomas and Hudson), London, 1970, pp. 88-97.

الدينية كلها تصب فى مصب واحد هو أغسطس. وهكذا يمكن القول بأن أغسطس لم يترك تياراً دينياً واحداً إلا وجنده لتدعيم مركزه، وفرض صورته المقدسة على المجتمع الرومانى، وقد نجح فى أن يقنع الناس بأنه مؤله[٦١]. وحقق ما أراد إبان حياته كما جنى خلفاؤه ثمار الصنيع كما تذكر المصادر المسيحية اللاحقة والمتأخرة عن فترة المسيحية المبكرة، ومن هذه المصادر مؤلف الكاتب المسيحى ترتليانوس[٦٢]. وكتاب الأسقف المسيحى يوسيبيوس أسقف قيصرية[٦٣]. حيث يذكر ترتليانوس فى مواضع متفرقة من مؤلفه ما حل بالمسيح على أيدى اليهود وموقف الإمبراطور الرومانى تيبيريوس حينذاك. وموقف مجلس السيناتو من تلك الأحداث التى وقعت فى فلسطين[٦٤]، فقد رفض السيناتو رأى الإمبراطور بهذا الشأن (وهو أنه أعطى صوته الأول وصدق على ألوهية المسيح) لأنه "كان هناك مرسوم قديم يقضى بألا يرسم الإمبراطور إلهاً (جديداً) بغير موافقة السناتو". وهو أمر يثير استهجان ترتليانوس وسخريته إذ كيف تعتمد ربوبية رب أو ألوهيته على قرار من بشر؟ إن معنى هذا أنه "إذا لم يرض البشر عن هذا الرب فلن يكون إلهاً بحال من الأحوال"[٦٥].

وينبغى أن نشير هنا إلى أن عبادة الإمبراطور لم تشكل أهمية كبيرة فى عهد الإمبراطور تيبيريوس[٦٦]، لكنها استمرت بعد ذلك ففى عهد الإمبراطور

---

(٦١) المرجع نفسه، ص ٧٩.

(٦٢) ولد ترتليانوس فى قرطاجة حوالى منتصف القرن الثانى الميلادى، وقد كتب دفاعاً عن المسيحية ضد هجوم الوثنى عليها.

(٦٣) محمد السيد عبد الغنى: المرجع نفسه، ص ٥.

(٦٤) حول موقف الإمبراطور تيبيريوس من تلك الأحداث انظر: محمد عبد الغنى، المرجع نفسه، ص ص ٥، ٩٣.

(٦٥) محمد عبد الغنى: المرجع نفسه، ص ٦.

(٦٦) لقد ظلم التاريخ فى الحقيقة الإمبراطور تيبيريوس كثيراً، حيث عُدَّ لقرون طويلة شريراً بل إن خلفاءه من أمثال كاليجولا ونيرون حذو حذوه، وربما يرجع سبب هذه الكراهية له إلى تأثير الثقافة المسيحية الذى شكّل تفكير العصور الوسطى؛ لقد ظلم المسيحيون هذا

جايوس كاليجولا (٣٧- ٤١م) تظهر عبادة الإمبراطور بشكل مبالغ فيه؛ حيث قـام الإمبراطور بدعوة الناس إلى عبادته جهراً، بل أعلن تأليه شقيقته أيضاً، وقـد أدى إصرار الإمبراطور على أن تعبده شعوب الإمبراطورية إلى اصطدامه مع اليهـود الذين كانوا أعفاهم الأباطرة السابقون من هذا الإلزام؛ فقد أجبر الإمبراطور هـؤلاء على عبادته والمثول أمام تماثيله وتقديم القرابين لها، ولما قاومه اليهود اتهمهم بعدم الولاء للإمبراطور وراح الجنود يهاجمون منازلهم ويحرقونها(٦٧)، وربما كان هـذا الصراع صراعاً مع المسيحية أيضاً على أساس أن الأباطرة كانوا يعدون المسيحية فى البداية إحدى الطوائف اليهودية.

أى أن كانت الديانة اليهودية لم تكن تشكل خطـراً علـى الإمبراطوريـة الرومانية فى البداية ولا على عبادة الإمبراطور، لكن عندما ظهرت المسيحية التـى كانوا يظنونها إحدى الطوائـف اليهوديـة، وكـان معتنقوهـا يرفـضون عبـادة الإمبراطور، شعر الأباطرة بالخطر على سلطتهم السياسية وبـدأوا فـى اضـطهاد هؤلاء الذين يرفضون الرضوخ لعبادة الإمبراطور، وانتبهـوا أولاً لليهـود عنـدما رفضوا إتباع الإمبراطور وتأليهه، وقاموا باضطهادهم وتعـذيبهم، ثـم اضـطهدوا معهم المسيحيين الذين ظنوا أنهم إحدى طوائفهم، وربما يرجع السبب فى إصـرار الأباطرة الرومان على الاستمرار فى تعبيد الناس للإمبراطور إلى الانتشار السريع والملحوظ للمسيحية على مستوى الإمبراطورية كلها. مما أثار المخاوف فى نفـوس الأباطرة الرومان، ولهذا نجد الإمبراطور كلاوديوس على سبيل المثـال عـام ٤٩م ينفى من روما اليهود الذين كانوا يثيرون الاضطرابات باسم المـسيح(٦٨)، بعـد أن ظهر فيها القديسان بولس وبطرس محاولين التبشير بالدين المسيحى الجديـد. وقـد اعتقد الإمبراطور كلاوديوس أن المسيحيين طائفة من اليهود المتمردين لذلك أخـذ

الإمبراطور الذى قام السيد المسيح فى عهده بتبليغ رسالته السماوية فى فلسطين. انظر: سيد الناصرى: المرجع نفسه، ص ١١٨.

(٦٧) سيد الناصرى: المرجع نفسه، ص ١٢٣.

(٦٨) محمد عبد الغنى: المرجع نفسه، ص ١٣؛ وحول خطاب كلاوديوس للسكندريين بمناسـبة النزاعات الحامية بين السكندريين واليهود فى المدينة انظر: المرجع السابق، ص ١٧.

يبعدهم عن روما.

ولعل أول صدام رسمى بين الأباطرة الرومان وتلك الديانة الجديدة هو الذى حدث عام ٦٤م، حينما اتهم الإمبراطور نيرون المسيحيين بحرق روما، محاولاً التخلص منهم ويرجع ذلك إلى التأثير القوى عليه من جانب محظيته اليهودية بوبايا (Poppaea)[٦٩]. وفى أواخر القرن الأول الميلادى ومع بداية القرن الثانى أصبحت نظرة الحكام الرومان للمسيحيين مختلفة؛ حيث بدأ الأباطرة فى اضطهادهم بطريقة عنيفة ومستمرة، ويظهر ذلك فى عهد كل من الإمبراطور تيتوس الذى كان يضطهدهم مثلما كان يفعل سلفه الإمبراطور نيرون[٧٠]، والإمبراطور دوميتيانوس (٨١- ٩٦م) الذى اضطهد اليهود والمسيحيين جرياً على عادة أخيه تيتوس، حيث كان يجبى الضريبة من اليهود بغاية الشدة والحزم لأنهم كانوا يرفضون المشاركة فى تقديم القرابين لتمثاله، واضطهد الإمبراطور دوميتيانوس أيضاً أتباع المسيح، ولم يكن عداؤه هذا مقتصراً على المسيحية فقط بل كان عدواً للمدارس الفلسفية التى كانت موجودة فى هذه الفترة[٧١]، ويأتى بعد ذلك اضطهاد الإمبراطور تراجان اليهود[٧٢]، والأحداث الدامية التى وقعت ضدهم فى مصر وسوريا وأورشليم وآسيا الصغرى منذ عام (١١٥- ١١٧م) كرد فعل على الشغب اليهودى داخل الإمبراطورية[٧٣].

---

(٦٩) محمد عبد الغنى: المرجع نفسه، ص ٤٩ وحول وصف تاكيتوس لحريق روما واضطهاد المسيحيين انظر: المرجع نفسه، ص ص ٩، ١٠؛ انظر أيضاً، محمد الفتاح، المرجع نفسه، ص ص ٣، ٤.

(٧٠) محمد عبد الغنى: المرجع نفسه، ص ١٥.

(٧١) سيد الناصرى: المرجع نفسه، ص ١٨٩.

(٧٢) حول اضطهاد الإمبراطور تراجان للمسيحيين واليهود انظر:
Bell. H. Idris., op.cit., p. 83.
وحول خطاب بلينى الأصغر إلى تراجان (٩٨- ١١٧م) عن المسيحية وانتشارها فى بيثينيا فى آسيا الصغرى انظر: محمد عبد الغنى، المرجع نفسه، ص ١٨.

(٧٣) Sordi. Marta., op.cit., p. 174.

ومن هنا نلاحظ تطور وضع المسيحية فى تلك الفترة، حيث بدأت ملامـــح الدين المسيحى فى الظهور، وفى مقابل ذلك الاضطهاد من الأباطرة، الذين شـــعروا بضعف موقفهم وسلطتهم، وأن المسيحية تمثل خطراً سياسياً عليهم لأنهـــا لا تقبـــل التعايش مع أية عبادة أخرى، فالمسيحية بـــدعوتها إلـــى التوحيـــد كانـــت تـــسلب الإمبراطور صفته المقدسة وهى من ألزم مقومات سلطانه(٧٤).

وقد واجه الأباطرة هذه الديانة الجديدة، حيث استمرت عبادة الإمبراطـــور، ولم تتوقف بنهاية القرن الثانى الميلادى، كما استمر هجوم الأباطرة الرومان علـــى المسيحيين حتى نهاية القرن الثانى الميلادى، ومع بداية القرن الثالث المـــيلادى لـــم تتوقف تلك الهجمات. كما لم تتوقف عبادة الإمبراطور، ولكن فى مقابل ذلـــك بـــدأ دور المدافعين عن المسيحية يظهر حيث لعبوا دوراً بـــارزاً فـــى تثبيـــت العقيـــدة وتوضيحها للأباطرة. وقد ظهر ذلك فى عهد الإمبراطور سيفيروس الذى حاول ـــ منذ أن تولى العرش عام ١٩٣م بالقوة العسكرية ـــ الحفاظ على الوحـــدة الـــسياسية والعسكرية للإمبراطورية. وبدأ سيفيروس حكمه باضطهاد رسمى لليهود. وأتبـــاع المسيح أو أتباع الفلسفات الروحية التى ترفض المشاركة السياسية أو العـــسكرية أو فى الخدمة الإمبراطورية(٧٥)، وفى عـــام ٢٠٢م أصـــدر الإمبراطـــور ســـيفيروس مرسوماً يمنع الرعية من الدخول فى اليهودية أو المسيحية، مبرراً ذلك بـــأنهم قـــوم مثيرون للشغب ويتضمن المرسوم أوامر للولاة فـــى أقـــاليم الإمبراطوريـــة كافـــة بمتابعة عملية تقديم القرابين والأضحيات من قبل الفئتين لتماثيل الإمبراطور وكـــل من يخالف ذلك يتعرض لأنواع التعذيب كافة، ويصف لنـــا بـــشاعة تنفيـــذ قـــرار الإمبراطور كلٌ من يوسيبيوس وكلمنت وأوريجينيس وترتليانوس، حيـــث وصـــفوا أنواع التعذيب التى يمارسها الولاة مع أتباع المسيح. وهكذا ظلـــت العلاقـــة بـــين المسيحيين والأباطرة الرومان بين شد وجذب، بين الاضطهاد تارة والتسامح تـــارة أخرى حتى استطاعت فيما بعد أن تصبح عقيدة قوية راسخة.

---

(٧٤) مصطفى العبادى: المرجع نفسه، ص ٢٣٨.

(٧٥) محمد عبد الفتاح: المرجع نفسه، ص ١٤.

وفى النهاية نلاحظ أن غرض الأباطرة من دفع الناس بالقوة إلـــى عبـــادة الإمبراطور لم يكن إلا غرضاً سياسياً هو الحفـــاظ علـــى وحـــدة الإمبراطوريـــة الرومانية وقوتها. ونلاحظ أن تصدى المسيحيين لعبادة الإمبراطور قد أضعف منها بعد أن أوضحوا أن تلك العبادة تشكل تسلطاً وعنفاً من قبل الأباطرة الرومـــان دون داع قوى، مما أضعف من سلطة الإمبراطور وما ترتب على ذلـــك مـــن ضـــعف للسلطة الحاكمة فى أنحاء الإمبراطورية جميعاً.

٣- المواجهة الكلاميّة بين المسيحيين والوثنيين قبل كلمنت

ولم يقتصر الصراع بين الوثنية والمسيحية على جانب الدولة أو ما يمكـــن أن نسّميه بالجانب الرسمى، وإنما تخطّى ذلك إلى جانب آخر هو مـــا نـــستطيع أن نصفه بالمواجهة الكلامية أو المواجهة الجدلية (مع شئ من التجاوز) بين الطـــرفين وقد ظهرت فى شقين: الشق الأول هو التحذير الذى استخدمه الحواريون حيث إنهم كانوا يحذرون الوثنيين من عاقبة أتباعهم لتلك العبادات الوثنية والشق الثـــانى هـــو الاتهام المتبادل الذى ظهر عند المدافعين المسيحيين ضد أعدائهم الـــوثنيين. وهـــى مواجهة أدت، حين تطورت بشكل ناضج إلى ظهور الفكر الدينى عند كلمنت كنوع متبلور ومؤثر من هذه المواجهة. ويمكن أن نقسم المواجهة الوثنية ـــ المسيحية قبل كلمنت إلى مرحلتين، الأولى منهما كانت زمن الحواريين.

(أ) موقف الحواريين:

الحواريون[٧٦] هم تلاميذ السيد المسيح الذين عاصروه وتعلموا منه. وقـــد كان غرض الحواريين التبشير بالدين المسيحى الذى يؤدى إلـــى الخـــلاص لكـــنّهم قوبلوا بهجوم شديد من جانب الوثنيين، فألجأهم ذلك إلى التصدى لليونانيين الوثنيين

---

(٧٦) وهم يمثلون أول مرحلة لظهور الديانة المسيحية. ومنهم (متى ويوحنا)، وقد كانوا يتحدثون بكلام عام عن قدسية الدين المسيحى، وكان حديثهم يدور فى إطار ثلاث نقاط أساسية هى:

١- وحدانية الله. ٢- نهاية العالم. ٣- الخلاص

وقد ظهرت هذه الأفكار فى الأناجيل الأربعة. وعن موقف الحواريين راجع:
رأفت عبد الحميد، المرجع نفسه، ص ص ٩٣، ٩٤.

بسلاحهم نفسه، فقد كانوا يأخذون من الثقافة الهيللينية ما يناسب عقيدتهم المسيحية حتى يستطيعوا أن يقنعوا الطبقة المثقفة من الجمهور الهيلليني(٧٧)، وكانت الفلسفة أحد الأسلحة التى تصدى بها الحواريون لأعدائهم، وقد ظهر ذلك فى بعض الأعمال المبكرة مثل إنجيل يوحنا (فى مقدمته)، ورسائل بولس إلى اليونان، ويبدأ إنجيل يوحنا — على سبيل المثال — باستخدامه لمصطلح (λογος) الذى يعنى الكلمة، وذلك فى قوله: "فى البدء كانت الكلمة"(٧٨)، وهذا المصطلح موجود عند الفلاسفة. وهناك مثال آخر على اهتمام الحواريين بالفلسفة فى التصدى للوثنيين، هو ما ورد فى رسائل القديس بولس حين يقول: "فانظروا كيف تسلكون بالتدقيق لا كجهلاء بل كحكماء"(٧٩). ويقصد بولس بالحكماء هنا أن يكونوا مثل الفلاسفة الذين امتازوا بالحكمة والعقل فى بحثهم للأمور، وهذا إن دلّ على شئ فإنما يدل على محاولة الحواريين إظهار اهتمامهم بالحكمة والعقل أمام الوثنيين من الفلاسفة، لكن على الرغم من ذلك ظلت الأولوية عند كلا الرسولين (بولس ويوحنا) للمسائل اللاهوتية.

وكانت الفترة التى ظهر فيها أولئك الرسل — والتى كانت بداية لانتشار المسيحية فى أرجاء الإمبراطورية جميعاً — فترة غاية فى الصعوبة؛ فقد كانت هناك صعوبة فى تقبل مفهوم الديانة الجديدة، التى بدأت تنتشر على أيدى هؤلاء الرسل(٨٠)، وكان يُنظر لها على أنها موضوع شاذ أو حدث شاذ فى الإمبراطورية(٨١)، لذلك كان على هؤلاء الرسل أن يتبعوا طريقة خاصة فى توصيل التعاليم المسيحية إلى عقول الناس، خاصة وأن هناك فئة من الشعب

---

(٧٧) Nock (A.D.), *Early Gentile Christianity and its Hellenistic Background*, New York, 1964, p. 101.

(٧٨) العهد الجديد، القديس يوحنا، الإصحاح ١، الآية ١.

(٧٩) العهد الجديد، رسالة القديس بولس إلى أهل أفسس، الإصحاح ٥، الآية ١٥.

(٨٠) Griggs, W., Early Egyptian Christianity from its origins to 451- C.E., Leiden, 1993, p. 13 ff.

(٨١) Yehya, Lutfi, A.W., op.cit., p. 167.

اليونانى كانت تهتم بالفلسفة، وتعتمد على العقل فى الوصول إلى المفهوم الحقيقـــى للإله، ولذلك تحول موقف الحواريين إلى الرد على هجمات الوثنيين، واعتمد ردهم فى معظمه على رد الفعل الدفاعى فى المقام الأول وذلك بتركيز ردودهم على إدانة الوثنيين والإشارة إلى عدم صلاحهم واتهامهم بالضلال والجهل وعلى سبيل المثـــال نجد الرسول بولس يردّ على ما يقوله اليونانيون من أن اعتقاد المسيحيين بـــأن الله أرسل المسيح إنّما هو نوع من الجهالة والضعف قائلاً إنّ هؤلاء اليونـــانيين الـــذين يدعون الحكمة لن يستطيعوا أن يعرفوا حكمة الله من إرسال للمسيح ولذلك ســـوف يبقون فى الجهالة طوال حياتهم وستظل الحكمة عند الله. "لأن جهالة الله أحكم مـــن الناس وضعف الله أقوى من الناس"[٨٢].

كذلك نجد الحواريين — فى ردّ فعلهم الدفاعى — يحـــاولون تفـــادى الـــردّ المباشر فى بعض الأحيان. ومن أمثلة ذلك ردّ القـــديس بـــولس ردّ علـــى بعـــض الوثنيين الذين سخروا من إيمان المسيحيين بنهاية العالم قائلاً: "الحق أقول لكـــم إن من القيام ها هنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله قد أتى بقوة"[٨٣].

كما نلاحظ أن رد المسيحيين (الرسل) على اضطهاد الوثنيين كان يعتمـــد فى معظمه على رد الفعل الدفاعى، فقد ركزوا موضـــوعاتهم علـــى الـــرد علـــى التساؤلات الموجهة لهم من قبل الوثنيين محاولين فيها إثبات أن عقيدتهم المـــسيحية هى العقيدة الصحيحة وأنها ليست — كما يقال عنهـــا — عقيـــدة مليئـــة بالـــضلال والفساد، كما أنهم كانوا يؤكدون دائماً على فضائلهم (فضيلة المـــسيحية)، مـــشيرين إلى أن الوثنية هى التى تتسم بالضلال، وقد ظهر ذلك فى أحـــد التـــساؤلات التـــى وجهها الوثنيون للمسيحيين (الرسل)؛ عن نهاية العالم حين كانوا يسألون المسيحيين متى نهاية العالم؟

وهنا تفادى بولس الرد على هذا التساؤل عن موعد نهاية العالم، بقولـــه أن

---

(٨٢) العهد الجديد، رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثه، الإصحاح ١، الآيات ٢٢: ٢٥.

(٨٣) العهد الجديد، القديس مرقس، الإصحاح ٩، الآية ١.

الله سوف يبيد هؤلاء الحكماء(٨٤)، ويقصد بهم الوثنيين فلم يقُل متى سيكون هذا اليوم لكنه ذكر شيئاً مما سيحدث فيه، وربما قصد أيضاً إلى إرهاب (تخويف) هؤلاء الوثنيين.

وحين يصّر المتشكّكون على تساؤلهم فيما يخّص تحديد موعد نهاية العالم، نجد الرسول، في موقفه الدفاعي، يحاول أن يتفادى الردّ المباشر فيردّ قائلاً: "أما تذكرون أنّي وأنا بعد عندكم كنت أقول لكم هذا، والآن تعلمون ما يحجز حتى يُستعلن في وقته... وحينئذ سيستعلن الأثيم الذى يُبيده الرب بنفخة فمه ويبطله بظهور مجيئه(٨٥).

أى أن بولس يرد على هذا التساؤل عن موعد نهاية العالم ولكن بطريقة أخرى فهو يذكر أن الله قد أخبر عباده بهذا اليوم وما سوف يحدث فيه وأن الله سوف ينتقم فيه من هؤلاء الكافرين به ويقضي عليهم بنفخة منه.

كما ورد عند مرقس فى حديثه عن هذا اليوم قوله: "وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن إلا الأب، انظروا، اسهروا لأنكم لا تعلمون متى يكون الوقت"(٨٦).

وها هو مرقس أيضاً يرد على هذا التساؤل بطريقة مباشرة فهو يذكر أن الله وحده هو الذى يعلم متى يكون هذا اليوم، وذلك يدل على مدى قوة هذا اليوم وعظمته لدرجة أن الله اختص بمعرفته وحده دون أن يخبر به أحداً حتى ملائكته، لكنه أخبر عباده بما سوف يحدث فيه من عقاب للكافرين به الذين لم يطيعوه؛ لكي يحثهم على طاعة الله واتباع تعاليمه والخوف منه.

هكذا كانت محاولات الرسل للرد على تساؤلات الوثنيين ونشر العقيدة

---

(٨٤) العهد الجديد، رسالة القديس بولس إلى أهل كورنثه، الإصحاح ١، الآية ١٩ "لأنه مكتوب سأبيد حكمة الحكماء وأرفض فهم الفهماء".

(٨٥) العهد الجديد، رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكى، الإصحاح ٢، الآيات ٥: ٨.

(٨٦) العهد الجديد، القديس مرقس، الإصحاح ١٣، الآيات ٣٢، ٣٣.

المسيحية وإيضاح معالمها من خلال هذه الردود، وانتهى هذا العصر بوفـاة آخـر الحواريين؛ لتأتى بعد ذلك جماعة أخرى هم الآباء الذين عاشوا فى القرون الأولى، وواصل هؤلاء الآباء الدفاع عن العقيدة المسيحية ونشرها كذلك(٨٧)، وقـد وضـع هؤلاء الآباء المدافعون نصب أعينهم هدفين: الهدف الأول هو الرد على الاتهامـات الكثيرة التى كانت منتشرة فى عصرهم ضد الكنيسة، وكـانوا يجاهـدون بـصفة خاصة للرد على الاتهام الموجه من الوثنيين إلى المسيحيين والقائل بـأن الكنيـسة خطر يهدد الدولة، حيث أكدوا على أن الإيمان المسيحى قوة مهمة لازمـة لـسعادة العالم وحفظه وحفظ الإمبراطور والدولة.

أما الهدف الثانى: فقد كان الكشف عـن الأعمـال والممارسـات الوثنيـة المنافية للعقل، والفساد الأخلاقى السائد فـى تلـك الأعمـال، والبرهنـة علـى أن المسيحية وحدها تقدم فهماً صحيحاً عن الله والكون(٨٨).

وبعد أن بدأت الديانة المسيحية فى الظهور والانتشار، بدأت الـصراعات بينها وبين الوثنية التى تصدت بعنف لانتشار المسيحية، فأصبح لزاماً على القائمين على نشر المسيحية أن يدافعوا عنها ومن هنا ظهرت خطابات القديس بـول إلـى المسيحيين يدعوهم للتمسك بإيمانهم والدفاع عن أنفسهم ضد اليهود والوثنيين، وقـد ظهرت أعمال كلٍ من يوحنا ومرقس التى حثوا المسيحيين فيها على التمسك باتباع للمسيح الذى جاء من أجل خلاصهم(٨٩).

(ب) الاتهامات المتبادلة بين الوثنيين والمسيحيين:

ثمّ تأتى المرحلة الثانية لما أسميناه بالجـدل الكلامـى، بـين المـسيحيين والوثنيين. وتتميز هذه المرحلة بالاتهامات المتبادلة بين الفـريقين ورد المـسيحيين على هذه الاتهامات أى ما يمكن أن نطلق عليه (مرحلة الـشتائم)، وقـد تركـزت

---

(٨٧) حنا جرجس الخضرى: المرجع نفسه، ص ص ٤٠٧، ٤٠٨.

(٨٨) أنطون فهمى جورج: القديس يوستين والآباء المدافعون، سلسلة آباء الكنيسة، ص ١٦.

(٨٩) Hoffmann. R. Joseph, Celsus (on the true Doctrine), New York, 1987, pp. 5:8.

الاتهامات التى وجهها الوثنيون للمسيحيين فى ثلاث اتهامات رئيسة:

١- اتهام أخلاقى: هو الادعاء بأن المسيحيين يحيون حياة فاسدة فاجرة.
٢- الاتهام الدينى: وهو أن المسيحيين كفرة بلا دين.
٣- الاتهام السياسى: وهو أنهم غير أوفياء للإمبراطور وأنهم جماعة سرية(٩٠).

وكرّس بعض الكتّاب والفلاسفة جهدهم للهجوم على المسيحية والمسيحيين، واتهموهم بالكفر والإلحاد، ونسبوا إليهم نقائص أخلاقية، إلى جانب اتهامهم بخيانة الإمبراطور(٩١) فاتهموهم بأنهم يشربون دماء الأطفال الأبرياء(٩٢)، لكن المسيحيين ردوا على هذا الاتهام بأنهم لم يمارسوا أبداً مثل هذه الممارسات الشاذة وقال مرقس فى إنجيله: "إن ابن الإنسان ماضٍ كما هو مكتوب عنه، ولكن ويلٌ لذلك الرجل الذى يُسلِّمُ ابن الإنسان، كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد، وفيما هم يأكلون أخذ يسوع خبزاً وبارك وكسر وأعطاهم وقال خذوا كلوا هذا هو جسدى، ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم فشربوا منها كلهم وقال لهم هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يُسفك من أجل كثيرين(٩٣) والمقصود هنا أن ما أكله المسيحيون على مائدة العشاء الربانى إنما هو الخبز وشربوا النبيذ لكن السيد يقدم الخبز على أنه لحمه والنبيذ على أنه دمه، وكأنه يقصد بذلك أنه يُضحى بلحمه ودمه (أى يضحى بنفسه) من أجل إنقاذ المسيحيين، هكذا كان على الآباء المسيحيين الذين لُقبوا بالآباء المدافعين، أن يدافعوا عن تلك العقيدة وشرحها وإظهار الفارق الكبير بينها وبين عبادات الأسرار الوثنية(٩٤)، هذا بالإضافة إلى أنهم أثبتوا إلى جانب ذلك أن كلاً

(٩٠) أنطون فهمى جورج: المرجع نفسه، ص ٩.
(٩١) تادرس يعقوب ملطى: آباء مدرسة الإسكندرية الأولون، سلسلة علم الباترولوجى، الكتاب السادس، ١٩٨٠، ص ص ٢٦، ٢٧.
(٩٢) Hoffmann. R. Joseph., op.cit., p. 23.
(٩٣) العهد الجديد، القديس مرقس، الإصحاح ١٤، الآيات ٢١-٢٤.
(٩٤) حنا جرجس الخضرى: المرجع نفسه، ص ص ٤١١، ٤١٢.

من الوثنيين واليهود مخطئين فى اعتقاداتهم، وأنهم أضعف من أن يمثلــوا تهديــداً للمسيحية[٩٥]، ولم يكتف المسيحيون بالرد على هذه الاتهامات بل كـــانوا يفـسرون كذلك الأعمال التى يمارسونها[٩٦]، والتى يـــتهمهم بهـــا الوثنيـــون زاعمــين أنهـــم يمارسون أعمالاً مشينة وكان معظم المسيحيين الذين يتولون الرد على الاتهامـــات الوثنية يحصلون على تدريب لغوى (بيانى) قوى حتى يستطيعوا الرد علـــى تلـــك الاتهامات[٩٧]، وقد استمرت تلك المرحلة من الاتهامات المتبادلـــة بـــين الـــوثنيين والمسيحيين لفترة طويلة[٩٨].

ظهر عدد كبير من المدافعين المسيحيين فى تلك الفترة، لعل مـــن أهمهـــم ترتليانوس وجستين الشهيد، وسوف أعرض فيما يلـــى صـــورة مختـــصرة لأهـــم المدافعين المسيحيين الأوائل:

- جستين الشهيد (حوالى ١٠٠- ١٦٤م):

يُعد القديس جستين[٩٩] من أهم مدافعى القرن الثانى الميلادى، وكانت له كتابات[١٠٠] كثيرة فى مجال الدفاع عن المسيحية[١٠١] اتخذ فيها الفلـــسفة وســـيلة للتبـــشير

(٩٥) Hoffmann. R. Joseph, op.cit., p. 21.

(٩٦) Yehya, Lutfi, A.W., op.cit., p. 168.

(٩٧) Cary. M., and Scullard. H., op.cit., pp. 482, 485.

(٩٨) Ibid., p. 487.

(٩٩) وقد اتخذ القديس جستين الفلسفة وسيلة للتبشير بالمسيحية والدفاع عنها، راجع:
تادرس يعقوب ملطى: المرجع نفسه، ص ٢٩؛ أنطون فهمى جورج، المرجع نفسه، ص ص ١٩، ٢٠؛ حنا الخضرى: المرجع نفسه، ص ص ٤٤٤، ٤٤٦؛
Catholic Encyclopedia, St. Justin Martyr;
Tollinton. R.B., op.cit., Vol. I, p. 86.

(١٠٠) Catholic Encyclopedia, St. Justin Martyr.

(١٠١) تادرس يعقوب ملطى: المرجع نفسه، ص ٢٩؛ حنا الخضرى: المرجع نفـــسه، ص ص ٤٤٧، ٤٤٨؛ أنطون فهمى جورج: المرجع نفسه، ص ٢٨.
وقد كان جستين كاتباً خصباً، ولكن لم يصلنا إلا ثلاثة من أعماله هى:
١- دفاعان عن المسيحية ضد الوثنية. ٢- حواره مع تريفون اليهودى.

بالمسيحية والدفاع عنها.

قام جستين بالرد على الاتهامات التى كان الوثنيون يوجهونها للمسيحيين فى عهد الإمبراطور ترايانوس وأول هذه الاتهامات الممارسة اللاأخلاقية للمسيحيين فى اجتماعاتهم وفى مسألة العشاء الربانى الذى اجتمع فى السيد المسيح بتلاميذه رد جستين على هذه النقطة على سبيل المثال واصفاً العشاء الربانى "بأنه طعام مبارك بالصلاة عليه،..."(١٠٢) وكانت الاتهامات تقول بأن المسيحيين يقومون بعقد اجتماعات يمارسون فيها أعمالاً شاذة، وقد ورد ذلك فى الخطاب الذى أرسله بلينى الأصغر حوالى عام ١١١م للإمبراطور ترايانوس(١٠٣)، وذكر فيه أنه بات مشهوراً فى المجتمع إفراط المسيحيين فى أعمالهم الشاذة فى اجتماعاتهم، التى تشابه الطقوس الباخية التى كانت تقام فى الغابات، والتى وصفها الكاتب ليفيوس (Livius) أثناء فترة حكم الإمبراطور أغسطس (٢٧ ق.م- ١٤م)، وكان منها السُكر والعربدة الجنسية وغيرها من الأعمال اللا أخلاقية، وذكر بلينى أنه سمع كثيراً عن تلك الممارسات السرية للمسيحيين حتى ليقال إنهم يأكلون الصغار ويمارسون الخلاعة، ولكن يبدو أنه لم يصدق تلك الاتهامات الموجهة للمسيحيين تماماً حيث قال:

"إنهم يتقابلون لكى يتقاسموا الطعام، لكنه طعام طاهر ونقى"(١٠٤).

وكان من الاتهامات اللا أخلاقية التى وجهها الوثنيون للمسيحيين أيضاً ذلك الاتهام الذى وجهه الكاتب ماركوس كورنيليوس فرونتو (Marcus Cornelius Fronto) (١٠٠- ١٦٦م)، والذى يصف فيه الولائم التى يقيمها المسيحيون قائلاً إنهم "يغطون طفلاً صغيراً بالدقيق، ويقدم فى طقوسهم،... ثم يلاحقونه بالطعنات القاتلة، وعندما تسيل دماؤه يلعقونها، ويوزعون أعضاءه بينهم بشغف بالغ، وبذلك

---

(١٠٢) Hoffmann. R. Joseph, op.cit., p.16 (Apud) Justin Martyr, First Apology, 66.

(١٠٣) Hoffmann. R. Joseph, op.cit., p. 16.

(١٠٤) Ibid., p. 16.

القربان (الطقس) يختمون احتفالهم"[١٠٥].

كما يصف فرونتو Fronto احتفالات المسيحيين ويشرح من خلال كتاباته الأعمال اللا أخلاقية التى تشيع فى المجتمع المسيحى قائلاً: "إنهم يجتمعون فى يوم محدد مع أبنائهم وأخواتهم وأمهاتهم، كل الأجناس والأعمال، وفى تلك المآدب يسكرون ويعاشرون المحارم، وبذلك يكونون جميعاً متساويين فى الذنب (أى ارتكاب تلك المحرمات)، بعضهم بارتكابه لتلك الأعمال والآخرون الذين لم يفعلوا شيئاً يكونون مذنبين كذلك بالتواطؤ معهم"[١٠٦].

وقد تصدى الكتّاب المسيحيون الأوائل لتلك الاتهامات بغيرة وحماسة بالغتين، وعلى رأس هؤلاء جستين الشهيد الذى أصر على إثبات التهمة على هؤلاء الوثنيين وأنهم يرمون المسيحية بدائهم هم؛ " قائلاً: "نحن نطالب أن هؤلاء الذين يتهموك (يوجهون اتهام لك) أن يحكموا أن أى شخص مُدان، ربما يُحاكم (يُعاقب) على أنه مرتكب شر وليس كمسيحى"[١٠٧]. ومن التهم التى ألقاها الوثنيون على المسيحيين أيضاً قتلهم الأطفال، ورد جستين على هذا الاتهام قائلاً: "إن الأشياء التى تفعلونها جهراً وتصفقون لها، ثم تتهموننا بها لن تضيرنا فى الواقع لأننا نشمئز من أن نفعل تلك الأشياء، ولكن من يفعلها حقيقة هم من يشهدون زوراً ضدنا[١٠٨]. ونلاحظ من دفاع جستين أن المسيحيين لم يكتفوا بالرد على اتهامات الوثنيين، بل وجدوا فيها أيضاً فرصة ثمينة لكى يثبتوا مدى تفوق إيمانهم على خرافات العقائد الوثنية، كما نلاحظ أن جستين لم يفرق فى كتاباته هذه بين اللاهوت والفلسفة بطريقة دقيقة[١٠٩]، حيث كان متأثراً بالنظريات الفلسفية المتعددة، مثل

---

(١٠٥) Hoffmann, op.cit., p. 16; C.F. Fronto, quoted by Minucius Felix in Octavius, IX, 5-6 (In Ancient Christian Writers, 39, ed. G.W. Clard, New York, 1974).

(١٠٦) Hoffmann. R. Joseph, op.cit., p. 17. C.F. Octavius, IX. 5-6.

(١٠٧) Ibid., op.cit., p. 18. Apud. Justin, 1 Apology, 7.

(١٠٨) Hoffmann, op.cit., p. 23; Apud. Justin, 1 Apology, 27.

(١٠٩) وهيب عطا الله، الفلسفة المسيحية، بدون تاريخ، ص ٦.

الرواقية والأفلاطونية، لا سيما الأخيرة[110]، وكان يحب دائماً أن يقارن بينها وبين المسيحية، وكانت الفلسفة الوثنية تغلب دائماً على مسيحية جستين.

ـ ترتلليانوس

كان ترتيلليانوس من أشهر المدافعين الأوائل عن المسيحية[111]، وإذا كان من الصعب تحديد درجة السوء في العلاقة بين المسيحيين والوثنيين قبل ترتلليانوس ، فإنه مع مجيئ ترتلليانوس (١٤٥- ٢٢٠م) كانت العقيدة الجديدة (المسيحية) محل هجوم وانتقاد شديد من قبل الوثنية وهو ما عبر عنه ترتلليانوس فى أحد دفاعاته بقوله "لم تزل الهجمات التى دارت ضدنا راسخة بقسوة فى العقل البشرى،..." كما يذكر ترتليانوس أيضاً مدى الهجوم على المسيحية قائلاً: "إذا السماء فاضت بالأمطار وأغرقت الأنهار ضفافها، وإذا حدثت الكوارث فى الأرض، وإذا انتشر الطاعون، وضرب الجدب (القحط) فاقذف بالمسيحيين إلى الجحيم"[112]. كذلك من بين الاتهامات الأخلاقية التى وجهها الوثنيون للمسيحيين، ارتكابهم لجرائم القتل، وأكلهم للحوم البشر، والخيانة بالإضافة إلى تدنيس الأشياء المقدسة، وممارساتهم الشاذة.

أما الاتهام الثانى الذى وجهته الوثنية للمسيحية فكان التكتل، (الذى يشبه التكتل العشائرى)؛ فقد اعتبرت الإمبراطورية الرومانية تكتل المسيحيين وعدم اشتراكهم فى التجمعات ووسائل الترفيه التى تقيمها الإمبراطورية للتسرية عن

---

(١١٠) عبد الرحمن بدوى: فلسفة العصور الوسطى، الطبعة الثالثة، الكويت، ١٩٧٩، ص ص ٦، ٧، ٩.

(١١١) من أعماله الدفاعية التى كتبها للدفاع عن المسيحية كتابان الأول باسم "للأمم" "to the Nations"، والثانى يسمى "دفاع" "Apology".

حنا الخضرى: المرجع نفسه، ص ص ٥٢٠: ٥٢٦.

وقد اتخذ ترتلليانوس موقفاً معادياً للفلسفة: راجع: رأفت عبد الحميد: المرجع نفسه، ص ص ٧٣، ٧٤.

(١١٢) Hoffmann, op.cit., p. 18. Apud. Tertullian, *to the Nations*, 7.8; Apology, 11.

مواطنيها بمثابة الجريمة[١١٣]، ورد ترتلليانوس على هذه الاتهامات في دفاعه واصفاً المجتمعات المسيحية بأنها: "مجموعة تربط بينها ممارسة دينية واحدة، ونظام واحد، وأمل واحد، يصلون ويتضرعون إلى الله في صعيد واحد، والله يبتهج لصلاتهم (لابتهالاتهم)، كما يصلّون أيضاً من أجل الأباطرة، ووزرائهم وكل مَنْ في السلطة، ومن أجل رخاء العالم، ولإحلال السلام،... وفي هذه الاجتماعات يقدمون النصائح..." ويستمر ترتلليانوس في الوصف فيذكر أن تلك الجمعيات أسست "صندوقاً" يعتمد على "الهبات" التي يستخدمونها "في دفن موتى الفقراء، ويساعدون بها الأبناء والبنات اليتامى، وكبار السن الذين لا يستطيعون الخروج من منازلهم"[١١٤].

ونلاحظ من وصف ترتلليانوس أن المسيحية لم تكن على عهده ديانة همجية أو غير مرتبة لكنها كانت منظمة، والدليل على ذلك وجود مثل هذا الصندوق الذي تُجمع فيه الأموال التي يساعدون بها الفقراء، وهو شئ يحتاج إلى ترتيب وتنظيم خاص، وهو ما يلزم له فترة طويلة من الزمن حتى يتم عمله مما يعني أن المسيحية ديانة عريقة ومنظمة، وبريئة مما تتهمها به الوثنية من الهمجية، والممارسات الشاذة وأنها ديانة غير أصيلة أي غير عريقة وقد كان ترتلليانوس خير شاهد لصالح المسيحيين فقد سجل تعليق أحد الوثنيين على المسيحيين إذ يقول: "انظر كيف يحب المسيحيون بعضهم بعضاً !"[١١٥].

كما يصف ترتلليانوس في دفاعه أيضاً ما يعرف عند المسيحيين بعيد الحب ويذكر "أن ثمة احترام كبير لهذا العيد، فهو نوع من أنواع الخدمة الدينية، وهو يبتعد تماماً عن أي أعمال دنيئة أو دنسة، ومن يشترك في هذا الاحتفال ينحني أولاً صلاةً لله..

فهم يتحدثون وكأن الله يستمع لهم وبعد أن يغسلوا أيديهم، ويُحضروا

---

(١١٣) Ibid., p. 18.

(١١٤) Tertullian, Apology, 39.

(١١٥) Cary. M. and Scullard. H., op.cit., p. 486.

شموعاً يقفون ويغنون، ترنيمة لله...، ومثلما يبدأ الاحتفال بالصلاة ينتهي أيضاً بالصلاة، فهم يخرجون من هذا الاحتفال لا كما يخرج مرتكبو الشرور أو من يمارسون الأعمال الدنسة، ولكن يخرجون من هذا الاحتفال لكى يحافظوا أكثر على وقارهم وعفتهم كأنهم كانوا فى ندوة للفضيلة لا فى مأدبة (حفلة)"(١١٦).

ونلاحظ هنا أن وصف ترتليانوس لعيد الحب والممارسات التى تمارس بداخله، وما بها من أعمال حماسية لم يبتعد كثيراً عما كان يحدث فى احتفالات الباخيين، وعُبّاد سيرابيس حيث إن تلك الاحتفالات كانت أيضاً تتسم بممارسة بعض الأعمال اللا أخلاقية ونلاحظ أن رد ترتليانوس يحتوى على اعتراف ضمن منه بأن بعض المسيحيين يمارسون بصفة شخصية فردية أموراً تشبه ما يفعله الباخيون على الرغم من أن عامة المسيحيين لا يمارسونها إخلاصاً منهم لكونهم مسيحيين وهو يعتقد أن تلك الولائم التى تقام فى الاحتفالات نافعة وليست ضارة بالرغم من تكلفتها، وهو يقول إن المسيحيين فى احتفالاتهم هذه مثل الميجاريين (Megarians) فهم "يحتفلون وكأنهم سوف يموتون غداً"، وعلى أية حال نلاحظ أن ترتليانوس كان يقصد من إشاراته هذه إلى أن يوضح موقف المسيحيين تجاه الممارسات الوثنية الشاذة والانغماس فى الخمر والغناء(١١٧)، ويشير إلى أن هناك فارقاً كبيراً بين تلك الاحتفالات الوثنية والاجتماعات أو الأعياد التى يقيمها المسيحيون.

- أما الاتهام الثالث الذى وجهته الوثنية للمسيحية فهو عدم توافق المسيحيين مع المجتمع والديانات المعترف بها؛ فالمسيحية منذ بدأت وهى مُصرة على هدف واحد عام هو الخلاص كما أن المسيحيين يحافظون على هويتهم، وعظمة أخلاقهم، وقد أشار ترتليانوس إلى أن هذا الاضطهاد الوثنى لا يؤثر فى المسيحية قائلاً: كلما زاد حصدكم لنا، زاد نموّنا"(١١٨).

---

(١١٦) Tertullian, Apology, 39.

(١١٧) Hoffmann, op.cit., p. 20.

(١١٨) Tertullian, Apology, 50.

ورد ترتليانوس على هــذا الاتهــام قــائلاً: "إنهــم (المــسيحيين) لا يــأبهون للإمبراطور، إنهم يؤمنون بالعقيدة الحقيقية ويفضلون الاحتفال بأيام أعيادهم بــشكل جيد وبقناعة بدلاً من ممارسة الخلاعة والفجور"[(١١٩)]. وبذلك يجب ألا يُنظــر لهــم على أنهم أعداء".

وهناك اتهامات أخرى متفرقة وجهها الوثنيون للمسيحيين ومن هذه الاتهامــات أنهم يقتلون الأطفال[(١٢٠)]، ويعبدون الحمار[(١٢١)]. وكان رد ترتليــانوس علــى هــذا الاتهام قوله: "نحن وحدنا بلا جريمة (لا نرتكب الجرائم)... نتعلم من الله نفسه مــا هو الخير (الصلاح)، نحن نحصل على المعرفة الكاملة من السيد الكامــل، وننفــذ إرادته بإيمان قوى، كما فرضه علينا بحكم لا نجرؤ على احتقاره (ازدرائــه) لكــن أفكاركم (يقصد الوثنيين) عن الفضيلة التى تحصلون عليها من مجرد سلطة بشرية، وتطبقونها على البشر مجرد التزامات: ومن هنا يصبح نظــامكم (أســلوبكم) عــن الممارسة الأخلاقية ناقصاً (غير كامن)"[(١٢٢)]، ومن ردود ترتليانوس علــى الاتهــام القائل بأن المسيحيين يشربون دماء الأطفال قوله: "إذا كان الباخيون، أحيانــاً، فــى احتفالاتهم الصاخبة (المجنونة)، يأكلون الأغراب، فإن المسيحيين بــدورهم يعكفــوا فى احتفالاتهم أيضاً على شرب دماء الأطفال الأبرياء[(١٢٣)].

ونلاحظ من تلك الاتهامات الوثنية الموجهة للمسيحيين أنها اتهامــات مهلهلــة، كما أنّها لا تقوم قائمة على أسس عقلانية أو فكرية فى تلك المرحلة بل كانت مجرد اتهامات يتقاذفها كلا الطرفين ولم تصل إلى المرحلة العقلانية. وقــد أثــرت تلــك المرحلة فى فكر كلمنت الذى جاء فى فترة تالية لها.

وهى تلك المرحلة التى افتتحها كلسوس من جانب الوثنيين فى رســالة "فكــر

---

(١١٩) Tertullian, Apology, 35.

(١٢٠) Hoffmann, op.cit., p. 21. Apud. Tertullian, *To the Nations*, 15.

(١٢١) Hoffmann, op.cit., p. 21. Apud. Tertullian, *To the Nations,* 14.

(١٢٢) Tertullian, Apology, 45.

(١٢٣) Hoffmann, Apud, op.cit., p. 23; Tertullian, *To the Nations,* 15.

الحقيقة" "Αληθης Λογος" بمعنى الأساس الفكرى للحقيقة أو "القول الـصادق" وكانت الصراعات بين الوثنيين والمسيحيين قد تطورت فى هذه المرحلة عن مجرد قذف الشتائم والاتهامات، ووصلت إلى استخدام الدلائل العقلية، وكان كلا الطـرفين يحاول أن يدحض اتهامات خصمه باستخدام الأدلـة الفكريـة(١٢٤). وكانـت هـذه الصراعات بين الوثنيين والمسيحيين إحدى سمات العصر التى سبقت ظهور كلمنت والتى كان لها كبير الأثر فى تكوين فكره الذى ظهر فيما كتبه داعياً للمسيحية مـن ناحية ومدافعاً عنها ضد الهجمات الوثنية من ناحية أخرى مستخدماً فى ذلك معرفته الواسعة بالتراث اليونانى، سواء من ناحية الأفكار الفلسفية أم التاريخ أم الأدب.

د- شخصية كلمنت: (١٥٠/ ١٥٥- ٢١٥م)

بعد أن تحدثت عن الظروف الاجتماعية والسياسية التى مهّدت لفكـر كلمنـت انتقل الآن إلى الحديث عن شخصيته(١٢٥) التى كان لها أثر كبير فى تكوين فكـره. وقبل أن نتحدث عن شخصية كلمنت لابد أن نعرف فى البداية مـن هـو كلمنـت السكندرى؟ لأن التعرف على شخصيته يساعدنا فى التعرف على فكره.

هو تيتوس فلافيوس كليمنس(١٢٦) (Titus Flavius Clemens)، أثينى الأصل ولد لأبوين وثنيين حوالى عام ١٥٠م، ونلاحظ أن الفترة التى وُلـد فيهـا كلمنـت

---

(١٢٤) Hoffmann, op.cit., pp. 24, 30.

(١٢٥) راجع: رأفت عبد الحميد: المرجع نفسه، ص ١٠٨؛

Chadwick. H. The Early Church, London, 1974, p. 16.

Pierre Valentin, *Clement D'Alexandrie, Eglise D'hier et d'Aujourd'hui*, Paris, 1963, p. 15 ff; Oxford. Classical Dictionary, Clement of Alexandria.

(١٢٦) Griggs, op.cit., pp. 58-59; Butter worth, Clement of Alexandria (Translation), Cambridge, 1968, p. XIV.

تادرس يعقوب ملطى: المرجع نفسه، ص ٢٧.

Tollinton. R.B., op.cit., Vol. I, p.1;

Deiber A., *Clement D'Alexandrie et son Oeuvre, Mémories*, Tome Dixiéme, Le Caire Imprimere De L'institut Française Dé Archeologie Orientale, 1904, p. 2;

Knight, Kevin, Catholic Encyclopedia, Vol. IV, New York, 1999.

وترعرع حتى أصبح شاباً ــ وهى الفترة من ١٥٠: ٢٠٠م ــ كانت تتسم بالصدام بين المسيحية والإمبراطورية الرومانية وربما كان هذا هو السبب الذى دفعه للسؤال عن المسيحية، تلك التى انتشرت فى أنحاء الإمبراطورية قاطبة، والدخول فيها ونحن نجهل تاريخ اعتناقه للمسيحية، كما نجهل أيضاً تفاصيل الدوافع التى دفعته لاتخاذ قراره باعتناق المسيحية[١٢٧]، لكن هذا القرار من جانب شخص مثقف مثل كلمنت معناه أنّ المفاضلة بين الوثنية والمسيحية على أساس فكرى كانت قد أصبحت آنذاك أمراً وارداً. وقد كان دارساً للفلسفة اليونانية، ومتعمقاً بصفة خاصة فى فلسفة أفلاطون، هذا بالإضافة إلى أنه تتلمذ على أيدى الفلاسفة الرواقيين وغيرهم، ومن ثم كان بإمكانه أن يردّ على آراء الوثنيين من أمثال كلسوس بالطريقة العقلانية وبتحليل آراء **هؤلاء الفلاسفة**، كما أن اهتمامه لم يقتصر على الفلسفة وحدها بل قرأ كثيراً فى الأدب الإغريقى[١٢٨] وهو أمر مكّنه من الاقتباس منه فى أحايين كثيرة وهو بسبيل إقناع اليونان بأن ما جاء فى هذا الأدب كان فى الحقيقة ممهداً للمسيحية.

وارتحل من أثينا طلباً لعلم أكثر تطوراً فى بلدان أخرى إذ كان من طبقة ارستقراطية وثرياً وهو ما شجعه على أن يرتحل إلى بلدان كثيرة طلباً للعلم حتى استقر فى الإسكندرية[١٢٩]، ولا نعرف بالضبط موعد حضوره إليها، لكنه كأى

---

(١٢٧) حنا جرجس الخضرى: تاريخ الفكر المسيحى، المجلد الأول، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨١، ص ص ٥٠٠، ٥٠١؛ تادرس يعقوب ملطى، المرجع نفسه، ص ص ٥٤، ٥٥؛ منسى يوحنا: تاريخ الكنيسة القبطية، مكتبة المحبة، القاهرة، بدون تاريخ، ص ص ٢٨، ٢٩؛ Tadros Malaty, *The School of Alexandria, Book one*, Before Origen, Jersey City, 1995, p. 271; Pierre Valentin, op.cit., p. 13; Tollinton R.B., op.cit.,Vol. I, pp.10, 11.

(١٢٨) Bell. H. Idris, op.cit., pp. 96, 97؛ رأفت عبد الحميد، المرجع نفسه، ص ص ١٠٩،١٠٨؛ Dowad Matthew F., *The Attitudes of Clement of Alexandria Towards Greek* Medicine, Notre Dame University, 1996, p.1.؛ مصطفى العبادى، المرجع نفسه، ص ٢٣٥.

(١٢٩) Dowd. Matthew. F., op.cit., p. 1; Kraft. H., *Early Christian Thinkers,* London, p. 32.

طالب قادم للإسكندرية يتعلم دائماً وبصفة مستمرة علـى أيـدى علمـاء مدرسـة الإسكندرية الوثنيين والغنوصـيين آنـذاك، حتـى تعـرف علـى بانتـاينوس[١٣٠] (Pantaenus)، ووجد فى تعاليمه جاذبية خاصة، فلازمه وأصبح المـساعد الأول له. وكان بانتاينوس يعرفه بالتعاليم المسيحية[١٣١] وكان أحد هؤلاء المعلمين الـذين بذروا فى قلوب طلابهم بذور التعاليم المسيحية التى تلقوها من مبشريهم ورسـلهم. وهناك شئ مهم ارتبط بظهور بانتاينوس وكلمنت، هو تأسيس مدرسة الإسـكندرية اللاهوتية[١٣٢].

فبعيداً عن محاولة نسبة تأسيس تلك المدرسة إلى القديس مرقس ـــ كمـا ذكـر ذلك يوسيبيوس، وتبعه كثيرون دون أى إسناد وثائقى[١٣٣] ـــ فإنّ يوسيبيوس نفـسه يؤكد أن بانتانيوس هو أول رئيس لهذه المدرسة اللاهوتية.

وقد كان اهتمام هذه المدرسة اللاهوتية[١٣٤] يتركز فى الفكر اللاهوتى الخـاص بالمسيحية، عن طريق الاجتهاد والإقناع العلمى، وكان بانتاينوس هو أول من أدخل الفلسفة والعلوم المساعدة إلى مدرسة الإسـكندرية اللاهوتيـة لكـسب الهراطقـة

Tollinton. R.B., op.cit., Vol. I, pp. 14, 15, 32.

(١٣٠) رأفت عبد الحميد، المرجع نفسه، ص ص ١٠٧، ١٠٨؛

تادرس ملطى: الكنيسة القبطية الأرثوذكسية والروحانية، ص ٢٦؛

Tollinton. R.B., op.cit., Vol. I, pp. 16, 17.

(١٣١) Kraft. H., op.cit., p. 32.

(١٣٢) وقد بدأت مدرسة الإسكندرية مدرسةً للوعظ تضم طالبى العماد من أمميين ويهود لـتعلم الدين المسيحى، تقدم لهم دراسات تؤهلهم لنيل سر المعمودية، وقد فتحت المدرسة أبوابهـا أمام الناس جميعاً، فالتحق بها أناس من ديانات مختلفة وثقافات متباينة، وقد قـدمت هـذه المدرسة للعالم أول دراسات لاهوتية منهجية، استخدمت الفلسفة سلاحاً لتضرب به الوثنيين. راجع:

تادرس يعقوب ملطى، الكنيسة القبطية الأرثوذكسية والروحانية، ص ٢٥؛

Douglas, Dictionary, *The Christian Church*, p. 26; Milne, op.cit., p. 218; Tollinton. R.B., op.cit., Vol. I, pp. 46, 47.

(١٣٣) Eusebius, V. 10.1.

(١٣٤) تادرس يعقوب ملطى: الكنيسة القبطية الأرثوذكسية والروحانية، ص ٢٦.

والوثنيين المثقفين وكان الفكر الدينى عند بانتاينوس وكلمنت آنذاك يتمثل فى محاولة الحد من سطوة الأعمال اللا أخلاقية والسحر والدجل التى التصقت — عمداً أو عفواً — بالمعرفة (الغنوصية) فى ذلك الوقت، واستطاع أتباعها أن يحققوا رواجاً كبيراً لأفكارهم، وكان اهتمام بانتاينوس وكلمنت متركزاً على تنقية الفكر الدينى من شوائب الغنوصية التى كانت محور اهتمام التعاليم الدينية آنذاك.

وفى الفترة ما بين عامى ١٩٠ و ١٩١م حدث تطوّر أرى أنه أكّد المسار الفكرى الدينى عند كلمنت؛ فقد تولى كلمنت مدرسة الإسكندرية اللاهوتية بعد وفاة بانتاينوس. وقد اهتم كلمنت فى كتاباته بالناحية اللاهوتية ولم يوجه اهتمامه إلى الناحية التاريخية(١٣٥)، وكان معتدلاً فى كل شئ: فى مذهبه ومأكله ومشربه وملبسه(١٣٦)، وهذا يعنى أنه لم يكن زاهداً، ولا متطرفاً أو متعصباً فى تدينه، ومن ثم يمكن أن يقنع الآخرين، كما يمكن أن ينعكس اعتداله فى شئون حياته على أفكاره فيتبع طريقة الأخذ والردّ والحوار بدلاً من التعصب الأعمى للرأى الواحد دون الحوار اللّين مع الطرف الآخر.

وظل كلمنت فى الإسكندرية رئيساً لمدرستها(١٣٧) حتى رحل عنها إلى فلسطين مع بداية الاضطهاد القوى الذى كان فى عهد الإمبراطور سيفيروس عام ٢٠٢م، وعاش متخفّياً فى ظروف لا نعرفها(١٣٨).

---

(١٣٥) ليلى حليم عطية: فن التصوير فى أوائل العصر المسيحى فى مصر، الإسكندرية، ١٩٦٩، ص ٧.

(١٣٦) Bell. H. Idris, op.cit., pp. 96-97.

(١٣٧) Griggs, op.cit., p. 58.

تادرس يعقوب ملطى: المرجع نفسه، ص ٥٦.

Chadwick, op.cit., p. 303.

(١٣٨) محمد عبد الفتاح: ملاحظات عن أسباب هجرة كل من كلمنت وأوريجينيس من مصر إلى فلسطين فى القرن الثالث الميلادى، من أعمال المؤتمر الدولى، فلسطين عبر العصور، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٩٨، ص ص ١: ١٠؛

Dowd. Matthew. F., op.cit., p. 1;

أما بالنسبة لحياة كلمنت وشخصيته فقد تعددت الآراء حولهما(١٣٩)، فقال أحدهما إن "عمل كلمنت هو الأكثر جرأة فى تاريخ الكنيسة"، وهناك رأى آخر يقول "ألا شئ أهمية للقارئ الحديث فى مجال الأدب الآبائى المبكر أكثر من كلمنت فى مجال التعليم المسيحى"، كما أن هناك آراء أخرى تتحدث عن كلمنت وعن مدى أهمية كتاباته فى مجال الدفاع المسيحى والتعليم المسيحى وتقول عنه إنه كان "أول مدرس نظامى للمذهب المسيحى"(١٤٠).

كما قيل أيضاً إن "كلمنت السكندرى كان أبا الفلسفة المسيحية"، وهو ما يظهر مدى اهتمام كلمنت بالفلسفة، ومن هنا يمكن القول بأن كلمنت كان نموذجاً صادقاً لمذهب "الانتقاء الفلسفى" الذى ينتقى من المدارس الفلسفية المختلفة أفضل ما عندها. والذى أصبح عنواناً على مدرسة الإسكندرية(١٤١). وبهذا يضمن كلمنت قدراً أكبر من التأييد، مما لو كان له مذهب واحد قد يؤيده قوم ويعارضه آخرون، كما أن الرجوع إلى مذاهب فلسفية مختلفة يعطيه فرصة أوسع لتدعيم آرائه فى الدفاع عن العقيدة المسيحية، وقد كان كلمنت أيضاً على علم واسع بالأدب الإغريقى الكلاسيكى والإنجيل وقد نسجهما معاً بمهارة فى "نصائحه" و "وعظه" بحيث كانت النصائح التى قدمها للوثنيين اليونانيين اعتماداً على الفكر الفلسفى والأدب، كما سنرى فى معالجة فكره الدينى كان يمكن أن تقنع المثقفين الوثنيين ومن ثم تقودهم إلى اعتناق المسيحية.

وعلى الرغم من أن ما نعلمه عن حياة كلمنت قليل إلا أننا حصلنا على صورة واضحة عن شخصيته من خلال كتاباته، التى أظهرت لأول مرة العقيدة المسيحية وجهاً لوجه مع أفكار العصر وإنجازاته، فقد أظهرت كتابات كلمنت مدى اهتمامه

مصطفى العبادى: المرجع نفسه، ص ٢٣٥.

(١٣٩) Tadros Malaty, op.cit., p. 270.

(١٤٠) Patrick J , *Clement of Alexandria*, London, 1914, p. 13

(١٤١) رأفت عبد الحميد: المرجع نفسه، ص ١١١

بدراسة الثقافة المعاصرة ومزجه بين العلوم والفلسفة(١٤٢) والإيمان وكيف كان يجمع فى كتاباته بين الفلسفة والشعر والأساطير والأدب، ولم يكن يرجع فى الواقع إلى المصادر الأساسية (الأصلية) بل كان فى أمثلة كثيرة يستخدم المختارات الأدبية التى كان على دراية واسعة بها. كما نلاحظ أن أسلوب كلمنت كان نابعاً من ثقافة غنية وشخصية محبة للسلام، ولهذا كان كلمنت يحب أن يتكلم عن جمال الحقيقة ويتحدث عن وجودها، ولم يهتم فى كتاباته بالدعوة إلى الإيمان فقط بل كان يدعو إلى الإيمان المقترن بالعمل لاسيما العمل الكنسى وربط العلوم بالوعظ والخدمة.

هكذا أثرت التجارب التى خاضها كلمنت وتعليمه فى تكوين شخصيته ومن ثم كان لها أثر على أفكاره.

(١٤٢) يرجع اهتمام كلمنت باللاهوت إلى أنه كان فى البداية فيلسوفاً، لأن الفلسفة كانت تهتم بالتعرف على الطبيعة والإنسانية ومعرفة الروابط التى تربط بين الإنسان والإله ولذلك كان على كلمنت أن يمزج بين الفلسفة والدين. راجع:

Deiber. A., *Clement D'Alexandrie et son oeuvre*, pp.1,2.

الباب الأول

نقد كلمنت للعبادات الوثنية

الفصل الأول

نقد كلمنت لعبادات الأسرار اليونانية

١ – نقد كلمنت للأقداس والنبوءات المتصلة بها عند اليونانيين.

٢ – الأسباب التى يفند بها كلمنت عبادات الأسرار:

(أ) الممارسات اللا أخلاقية (الشهوانية التى تتسم بها قصص الآلهة).

(ب) الممارسات الهمجية التى تتسم بها قصص الآلهة.

(ج) ضعف الآلهة التى تتسم بها قصص الآلهة.

(د) الممارسات التى تدعو إلى السخرية التى تتسم بها قصص الآلهة.

(هـ) أشياء قائمة على الخداع فى العبادات السرية.

(ه) شهادة الفلاسفة ضد عبادات الأسرار.

بعد أن استعرضت فى المدخل ظروف العصر الذى ظهر فيه كلمنت، ومـا تميز به من أوضاع سياسية واقتصادية، أصل الآن إلى أول ما قام كلمنت بكتابتـه فى كتابه "خطاب وعظى إلى اليونانيين"، هذا العمل الذى قام مـن خلالـه بـشرح أسس الدين المسيحى الجديد وركائزه، وبجانب ذلك أراد أن يوضح لليونانيين الذين كتب من أجلهم خطابه الوعظى، أخطاء العبادات التى كانوا يتبعونها.

يقوم كلمنت بدايةً بنقد العبادات الوثنية التى تتمثل فى عبـادات الأسـرار، وعبادة التماثيل، والأشخاص والآلهة اليونانية.

وسوف أبدأ بتقديم أول ما نقده كلمنت من تلـك العبـادات وهـى عبـادات الأسرار اليونانية[1]

١- نقد كلمنت للأشياء المقدسة عنـد اليونـانيين وإشارته إلى أنها مجـرد أشياء فانية.

وقبل أن أتحدث عن شخصيات الآلهة أود الحديث عن الأماكن المقدسـة عنـد اليونانيين والتى كانت لها قداسة تقترب عندهم من قداسة الآلهة.

كانوا يقدسون أشياء فانية كثيرة ــ كما يقول كلمنـت ــ مـن ينـابيع وأشـجار بلوط.... إلخ.

وسوف استعرض هذه الأشياء التى كان يعبدها أو يقّدسها اليونـانيين، وكيـف أظهر كلمنت أنها أشياء فانية لا قيمة لها، وهنا ينصح كلمنت الشعب اليونانى بـألا يسعى وراء أقداس المعبودات[2] التى اعتادوها أو وراء فوهات المغـارات، أو مـا

---

(١) كان كلمنت شأنه شأن أى كاتب مسيحى ينقد تلك العبادات ويُظهر ما بها من أعمال مـشينة وفى بعض الأحيان نجده يعقد مقارنة ــ مثل ترتلليانوس ــ بين الطقوس الكنسية وعبادات الأسرار الوثنية؛ فقد كانت المسيحية تُشبِّه بعبادات الأسرار فى اهتمامها بإظهار الفارق بين المبتدئين فيها وغير المبتدئين، وكانت المسيحية مثل عبادات الأسرار تطلب من المبتدئين أن يقوموا بعدد من الاستعدادات أو الطقوس قبل أن يدخلوا فيها. راجع:

Tollinton, R.B., op.cit., Vol. II, pp. 157, 158.

(٢) كانت المدينة اليونانية تهتم بدرجة كبيرة بإقامة أقداس للآلهة وقد ظهرت هذه المكانة بدرجة

أشبه ذلك مثل الكرسي ذو الأرجل الثلاثة أو نحاس دودونا[٣]، فى منطقة إيبـــروس حيث كان هناك مكان للعرافة[٤] وكانوا يذهبون إلى هناك لمعرفـــة التكهنـــات عـــن المستقبل وكان العرّافون هناك يستخدمون فى ذلك اهتزاز النحاس بواسطة الهـــواء إذ كانت تلك المنطقة تتميز بكثرة أشجار البلوط وكان الهواء عندما يمر بها يُحـــدث صفيراً وعندما يرتطم بالنحاس يعطى أصواتاً مختلفة وبُناءاً على هـــذه الأصـــوات كان العرّافون يقومون بالتنبؤ بما سوف يحدث فى المستقبل أما فى دودونـــا فكـــانوا يستخدمون الحمام بجانب النحاس كمصدر للتنبؤ وكانت الحمامة من أهـــم الملامـــح الأولية (البدائية) التى ظهرت فى نبوءة دودونا كما أشـــار هـــوميروس[٥]، وهنـــاك مكان آخر للوحى فى زعمهم هو وحى الإله أبوللو فى دلفى، إذ كان من يذهب إلى ذلك المكان يعتقد أن الإله (أبوللون) هو الذى يتحدث على لسان الكاهنة التى كانـــت تنطق بالنبوءة[٦]، وقد ظهرت إشارة لأهمية النبوءات عند هوميروس وظهـــر ذلـــك فى كتابه الأول من الإلياذة عندما استدعى أخيليس اليونانيين كلهـــم، وســـألهم عـــن سبب غضب الإله أبوللون، بعد أن رأى الطاعون يظهر ويتفشى فى المدينة، وقـــد طلب منهم أن يسألوا الكهنة ويستشيروا أصحاب النبوءات أو حتى أصحاب الأحلام عن حلم أو نبوءة قد تأتى من زيوس أيضاً، وكانت النبوءات تعتمـــد أحيانـــاً علـــى حركة الطيور التى كانوا يتفاءلون بأمر ما أو يتشاءمون تبعاً لها[٧].

كبيرة على سبيل المثال فى مدينة كولوفون. راجع:

Buxton. Richard, Oxford 'Reading in Greek Religious, Oxford University Press, 2000, p. 134.

(٣) Clement, op.cit., II, 10; Hoffmann. R. Joseph, op.cit., p. 21.

(٤) Parke. H.W., Greek Oracles, London, 1972, p. 21 ff.

(٥) Parke. H.W., op.cit., p. 24.

(٦) Buxton. Richard, op.cit., p. 79.؛ وهناك مثال آخر لنبوءة أبوللو (فى دلفى) ومـــدى تأثيرها على اليونانيين، وهو عن نبوءة أوديب الذى أخبرته تلك النبوءة بأنه (أوديب) سوف يقتل أبيه ويتزوج من أمه.

Grant. Michael, Myths of The Greeks and Romans, London, 1969; p. 216; Guerber. H.A., Greece and Rome, London, 1996, p. 246.

(٧) Parke. H.W., op.cit., p. 13.

وبالإضافة إلى ذلك كان هناك معبد شهير لزيوس فى دودونا فيه شجرة بلـوط، وكان اليونانيين يلجأون إلى هذا المكان لمعرفة النبوءات السرية، التى يفترض أنهـا تأتى من ملك الآلهة وعلى الرغم من شهرة هذه النبوءات إلا أن نبوءة دودونـا قـد انقطعت وظيفتها، وكذلك نبوءة دلفى التى توقفت بعد أن انتعشت لفترة مؤقتة تحـت حكم الإمبراطور هادريان[٨]، وكان الصراع بين المسيحيين والوثنيين دائـراً حـول هذه النبوءات، ويرى أحد الكتّاب أنه يمكـن تلخـيص الـصراع بـين الـوثنيين والمسيحيين حول النبوءات فى تعريف القوى الروحية التـى تعمـل المعجـزات، فالفلاسفة الوثنيون يُعرفون هذه القوى بأنها "أرواح حارسـة" (δαιμονες)، أمـا المسيحيون فهم يُعرفونها بأنها شياطين[٩].

والسبب المنطقى الذى قدّمه كلمنت ليوضح أن تقديس اليونانيين لتلك الأشـياء خطأ هو أن تلك الأماكن التى يذهب إليها اليونانيون ويتعبدون فيها لا فائـدة منهـا لأنها فانية[١٠]، وربما كانت قديماً تعنى شيئاً بالنسبة لليونانيين أو يحـصلون منهـا على بعض البركات أو يحققون من خلالها مطالبهم التى يريدونها لكن كلمنت يشير إلى أن تلك الأقداس أصبحت شيئاً لا فائدة منه — بمعنى أنّ هذه الأشياء إذا كانـت مقنعة فى الماضى فهى لم تعد مقنعة فى عصره —.

وكيف يعبدون فانياً؛ هكذا يتساءل كلمنت متعجباً، وقائلاً إنـه إذا كانـت تلـك الأشياء مقدسة بحق فلابد أن تكون خالدة؛ أما وهى فانيـة فيجـب إذن علـيهم أن يتركوها[١١]، لكن هناك ملاحظة على هجوم كلمنت على الوثنيين الذين يقدسون تلك الأشياء لاحظها أحد المؤرخين المعاصرين، هى أن كلمنت حين هاجم تلك الأشـياء لأنها فانية، ولا يجب أن تعبد كان ينظر إليها من زاوية واحدة ولم يـر المنظـور الآخر لها، فقد كانت تلك الأقداس الخاصة بالآلهة ملاذاً أو ملجأ لليونانيين يلجـأون

---

(٨) Ibid., p. 144.
(٩) Ibid., p. 145.
(١٠) Ibid., p. 144.
(١١) Clement, op.cit., II. 10.

لها ويحتمون بها فى وقت الشدة، وهو ما يمُكن مقارنته بالكنائس فى المسيحية، فالكنيسة يلجأ إليها الناس إذا تعرضوا لخطر شديد ويحتمون بها[١٢]، هذا بالإضافة إلى وظائفها الاجتماعية فعلى سبيل المثال كانت الفتيات يلجأن للاحتماء بتلك الأقداس هربا من الزواج بالقوة، حيث كانت الفتيات قديماً يُجبرن فى بعض الأحيان على الزواج بالقوة — هذا بالإضافة إلى لجوء السكان لتلك الأماكن للمطالبة بحقوقهم وهناك أمثلة أخرى على استخدام المواطنين لتلك الأقداس وأهميتها من الناحية الاجتماعية بصورة تثبت عدم اقتصارها على الناحية الدينية[١٣] كما كان لهذه الأقداس أهمية من الناحية السياسية؛ إذ كانت مكاناً مقدساً لا يهاجم ولا يجوز القتال فيه وبهذا تتحقق الحماية من الناحية السياسية لمن بداخله، وهكذا نرى أن لتلك الأقداس أهمية من أكثر من ناحية سياسية واجتماعية ودينية وأنها ليست مجرد أشياء فانية كما يذكر كلمنت، وهناك أمثلة على احتماء المواطنين بتلك الأقداس وردت عند هيرودوت الذى روى أن حوالى ثلاثمائة شاب لجأوا إلى معبد أرتميس ليحتموا به ممن كانوا يتعقبونهم[١٤].

وبجانب تلك الأشياء التى كان اليونانيون يقدسونها هناك أيضاً التكهنات؛ وهى تصورات تقوم على اعتقاد من جانب بعضهم فى قدرة هذه الأشياء، ويصف كلمنت تلك التكهنات بأنها ممارسات شاذة يجب على اليونانيين أن يتركوها، لأنها قائمة على أشياء فانية مثل جذوع الأشجار القديمة، وأشجار البلوط[١٥].

وهناك نماذج وأمثلة أخرى على تلك الأشياء كبعض الينابيع التى كان الشعب اليونانى يقدسها ومنها — على سبيل المثال — ينبوع كاستاليا، وينبوع كولوفون[١٦]، والسبب الذى جعل كلمنت ينقد عبادة تلك الأشياء هو أن هذه الينابيع التى يعبدها

---

(١٢) Buxton. Richard, op.cit., p. 155.

(١٣) راجع: Ibid., pp. 157, 159.

(١٤) Ibid., pp. 164, 165.

(١٥) Clement, op.cit., II. 10.

(١٦) Ibid., II. 10.

اليونانيين جفت ومعنى هذا أنها ليست خالدة، وبجفاف الينابيع يجب أن تجف معها الأساطير التى ارتبطت بها؛ أى أن تلك العبادة المرتبطة بالينابيع غير ذات معنى، ناهيك عن أنها حتى فى الماضى ــ كما يقول كلمنت ــ لم تكن ذات فائدة لأنها أشياء مخلوقة، ويجب على الإنسان أن يبحث عن الخالق ويعبده بدلاً من أن يعبد أشياء فانية خلقها الله وسخرها من أجل خدمة البشر. انتقل الآن إلى ذكر،

٢ـ الأسباب التى يفند بها كلمنت عبادات الأسرار:

لم يقم كلمنت بنقد تلك العبادات السرية لمجرد والنقد أو الهجوم عليها فقط لكنه كان يحاول دائماً فى عمله هذا أن يكون ملتزماً بالرد العقلانى على الهجوم الذى كان يوجهه الوثنيون للمسيحية ولذلك نجده يقدم أسباباً لنقده وتفنيده لتلك العبادات السرية التى سبقت ظهور المسيحية، وكان يحاول من خلال تلك الأسباب التى يقدمها أن يثبت أن تلك العبادات السرية ما هى إلا طقوس وممارسات لم تعد مجدية.

(أ) الممارسات اللا أخلاقية[١٧] (الشهوانية) التى تتسم بها قصص الآلهة:

وأول الأسباب التى قدمها كلمنت بين يدى تفنيده عبادات الأسرار أن هذه العبادات ليست إلا قصصاً للآلهة لا تفيد بشئ وما يمارس بها من طقوس لا فائدة منه كذلك، ويحاول كلمنت ألا يكتفى بنقد تلك العبادات السرية[١٨] لمجرد النقد فقط، لكنه يقدم سبباً مقنعاً لنقده فى كل مرة، وسوف أحاول من خلال عرض قصص

---

(١٧) كان الوثنيون يمارسون أعمال العنف أيضاً ضمن ممارستهم لطقوسهم الدينية هذه، بالإضافة إلى السكر والعربدة، وانظر على سبيل المثال ما كان يحدث فى احتفالاتهم بالإله ديونيسوس فى:

Hoffman. R. Joseph, op.cit., p. 22.

(١٨) لم يكن كلمنت وحده هو الذى ينقد ويتهكم على العبادات السرية ولكن هناك من سخر كذلك من تلك العبادات وهو الكيبياديس ــ وهو قائد أثينى (٤٥١ ق.م) كان له دور كبير فى الحروب البيلوبونيزية، وقد اتهمه كثيرون بتحطيم تماثيل الإله هيرميس فى أثناء ذهابه لحرب الأسبرطيين. راجع: Richard. L. Gordon, Mysteries, O.C.D.

تلك الآلهة إظهار السبب الذى قدمه كلمنت ليفند به تلك العبادات السرية، وذلك فـــى مواجهة الوثنيين الذين كانوا يهاجمون المسيحية.

وقد قدّم كلمنت عدداً لا بأس به من الأمثلة للممارسات اللا أخلاقية التى تتـسم بها قصص الآلهة الوثنية وأول مثال قدمه كان عـن – الإلــه ديونيـسوس الـذى انتشرت عبادته السرية فى جميع أنحاء بلاد اليونان كلها[١٩] ــ وذلك لما تتسم بــه قصة هذا الإله من ممارسات لا أخلاقية كثيرة وقد نعت كلمنت إلههم هذا بعدد مــن النعوت منها غياب الاتزان فى شخصيته مما يجعله أقل من بعــض البـشر، وقــد استخدم كلمنت اسماً يليق بما تتسم به شخصية هذا الإله وهو ديونيـسوس الهــائج (الهاذى)، وهذا يدل على أن هذا الإله وعبادته ليست إلا خرافات وهميــة لا فائــدة منها ربما كان القصد منها الابتهاج فقط، ويشير إلــى أن عبــاد هــذا الإلــه هــم الباخيون[٢٠]. الذين كان من بين طقوسهم أنهم يقيمون حفلة كبيرة يأكلون فيها اللحم النيئ ويتوجون رؤوسهم بتيجان من الثعابين، وفى أثناء الاحتفال يصرخون باســم (Eva)[٢١]، وهى كلمة تشب على أية حال كلمة أخرى كان ينطق بها اليهود هــى

---

(١٩) راجع: حسين الشيخ: ديانات الأسرار، ص ص ٦٩-٧٣، راجع أيــضاً: حــسين الــشيخ: اليونان، ص ٢٣٦؛

Price. Simon, *Religious of The Ancient Greeks*, Cambridge University, 1999, pp. 114... etc.; Groves. Robert, *The Greek Myths*, Vol. I, Bretain, 1983, pp. 57, 103.

(٢٠) وهم عبارة عن مجموعة من الرجال والنساء ويتوجون رؤوسهم جميعاً بتيجان مــن أوراق اللبلاب، ويشربون الخمر ويأكلون العنب ويغنون ويرقصون ويــصرخون أثنــاء أدائهــم لطقوسهم.

Guerber. H.A., op.cit., p. 151.

وفى محاورة أفلاطون (القوانين) حظر دخول أتباع ديونيسوس مدينته المثالية حيث ذكــر أنهم مواطنين غير لائقين بهذه المدينة فهم مجرد راقصين مخمورين يطلقون على أنفــسهم اسم سيلينى، وساتير.

راجع: Price, Simon, op.cit., p. 116.

(٢١) Clement, op.cit., II. 11.

(Hevia) وتعنى أنثى الثعبان[٢٢].

ونلاحظ هنا أن كلمنت يستغل التشابه بين هاتين الكلمتين (Eva) التى يصرخ بها أتباع ديونيسوس و (Hevia) الكلمة اليهودية، ليوضح فكرته ويثبت أن هناك صلة بين (Eve) التى تعنى حواء وبين الحية الباخية[٢٣].

ومن الصفات التى وصف بها كلمنت الإله ديونيسوس أيضاً كان: أنه فى بادئ الأمر طفلاً تلهيه (أو تشغله) ألعاب الأطفال ـــ وهو أمر الذى لا يتناسب وسمت الآلهة.

كما كان تركيز كلمنت دائماً على إظهار الممارسات اللا أخلاقية التى اتسمت بها عبادة ديونيسوس حيث ذكر عدداً من الأشياء المخجلة كالتماثيل التى كانت تُقام لأعضاء الذكورة فى المدن رمزاً لديونيوس، بالإضافة إلى حفلات المجون والشطط التى كان يقيمها المعربدون من الرجال والنساء من أتباعه، وما كان يحدث فيها من أعمال مخجلة مشينة على رأسها ممارسة الجنس.

كما كان من الأشياء التى احتوت عليها قصة ديونيسوس كما قدمها كلمنت ـــ والتى تدل على ما تتسم به هذه القصة من أعمال مخجلة ومشينة ـــ قصة أصل عضو الذكورة الذى كانت تُقام له تماثيل أثناء الاحتفالات وتتلخص هذه القصة فى أن ديونيسوس كان مشتاقاً للنزول إلى هاديس (العالم السفلى)، لكنه لم يكن يعرف الطريق، وعندئذ وجد شخصاً يُدعى بروسومنوس أرشده إلى الطريق، ووعده الإله بمكافأة وهى ممارسة الجنس معه، عندما يعود من رحلته، لكنه عندما عاد كان هذا الشاب قد توفى، حينئذ ذهب ديونيسوس إلى مقبرة هذا الشاب وانهمك فى ممارسة الجنس معه. ثم قطع فرعاً من شجرة تين وقام بعملها على شكل عضو الذكورة (φαλλος) (الفاللوس)، وقام بعمل عرض به ليوضح أنه قد أوفى بعهده مع هذا

---

(٢٢) وكلمة (Eva) أو "ευα , ευαν" هى شكل من أشكال الصراخ الذى كان ينطق به المتعبدون أتباع ديونيسوس Butterworth, Clement of Alexandria (Translation), p. 30, Note (a).

(٢٣) Ibid., p. 30, Note (b).

الشاب، ومنذ ذلك الحين أصبحت تماثيل عضو الذكورة تقام فى المدن فـــى أثنـــاء الاحتفالات بهذا الإله(٢٤).

وهنا نستطيع أن نقول إنّ اليونان ربّما كانوا يقصدون فى الأصل شـــيئاً آخـــر غير مجرّد السكر والعربدة وما أشبهها من الأعمال المشينة.

وربما لم تكن صناعتهم لتماثيل أعضاء الذكورة، وغيرها وعبادتهم إياها أشياء مخجلة فى تلك الفترة وإنما كانت تعبر عن الخصوبة والخلق وهكذا تمسك كلمنـــت فقط بالظواهر وأغفل المغزى الحقيقى وهو استمرار الخلـــق، وأنـــه كـــان رمـــزاً للصراع الدائم بين الحياة والموت، هذا بالإضافة إلى أن هناك مغـــزى آخـــر وراء أسطورة هذا الإله وهو انتشار عبادة كرمات العنب فى أنحاء أوروبا كلها، وآســـيا وشمال أفريقيا، وإن الإله ديونيسوس نجح فى أن يجعـــل النبيـــذ، بوصـــفه رمـــزاً للكروم، يحل محل أى نوع آخر من أنواع المسكرات(٢٥).

لكن كلمنت كان محقاً فى انتهاز الفرصة فرصة وجود طائفة مـــن اليونـــانيين كانت ترى فى تلك الحفلات ممارسات لا أخلاقية انتهز كلمنت ذلـــك فـــى إقنـــاع سامعيه، حيث نلاحظ أنّ الزمن يتطور ويتغير بالضرورة من عصر لآخر، وهو ما يظهر أنّه إذا كانت تلك الممارسات ملائمة لعادات المجتمع فى زمن مضى فهى لم تعد ملائمة فى الزمن الذى كان يعيش فيه كلمنت، وهكذا تكون المسألة فـــى نهايـــة المطاف مسألة تطور عبر الزمن فقدت فيه بعض الممارسات والتّصورات الدينيـــة الوثنية القديمة مصداقيتها فلم تعد ملائمة تمام الملاءمة للعصر الجديـــد، ثـــم يقـــوم كلمنت مثالاً آخر على الممارسات اللا أخلاقية (الشهوانية) التى تتسم بها قـــصص الآلهة اليونانية هى:

قصة أفروديتى(٢٦)، وهى مليئة هى الأخرى بكثير من الممارسات الـــلا أخلاقيـــة،

---

(٢٤) Clement, op.cit., p. 30.

(٢٥) Robert Graves, op.cit., vol. I, p. 107.

(٢٦) وهناك أسماء أخرى لأفروديتى هى ديون Dione، وكيثيريا Cytherea، وهى إلهة الحب والجمال والزواج عندهم. Guerber, H.A., op.cit., p. 82.

بداية من اسمها الذى اشتُق من زبد البحر[٢٧]، وهناك تسمية أخرى لأفرويتى وهـــى فيلوميديس (φιλομηδεα) وعلاقة ذلك بالأجزاء الشهوانية من جـــسم الإنـــسان، وقد سميت أفروديتى بهذا الاسم لأنها نـــشأت مـــن الميـــديا (μηδεων)، وهـــى الأعضاء الشهوانية، التى انفصلت من أورانوس، وبعد الانفصال انتقل هذا العنـــف الذى نتج عن الانفصال إلى الأمواج. ومن الأعمال اللا أخلاقية أيضاً ما نجده فـــى الطقوس التى ترمز إلى ميلادها حيث كانت هناك صورة مجـــسمة مـــن الفـــاللوس (عضو الذكورة) تقدم فى طقوس أولئك الذين يدخلون عبادتهـــا ويمـــرون بطقـــس الممارسة الجنسية. كما كان كل منهم يحضر قطعة من العملة يقدمها للآلهـــة كمـــا يفعل المحب حين يقدم قطعة من العملة لمن يمارس معها الجنس[٢٨].

ويتعجب كلمنت من عابدى تلك الآلهة الذين تصل شـــهوانيتهم لدرجـــة أنهـــم يجعلون أنفسهم من نسل (ذرية) تلك الآلهة وفى أثناء طقوســـهم يحتفلـــون بـــسعادة بالبحر كمركز لمولدها، ومن الواضح أنّ التفسيرات التى قدمها كلمنت كانت شائعة أو متداولة فى ذلك الوقت وإلاّ لتعّرض لتكذيب اليونان خاصة وأن هؤلاء اليونـــان كانوا من المثقفين — وهو أمر تدلّ عليه الأفكار الفلسفية التى استشهد بها من فلسفة أفلاطون وأرسطو والفلاسفة الرواقيين وغيرهم.

والهدف الذى كان يسعى إليه كلمنت من ذكر هذه الأسطورة هو التأكيـــد علـــى استمرار اليونان فى طقوس عبادة أفروديتى هو استمرار فى التقليد الأعمـــى بـــلا تفكير، وهو أمر لا يليق بهم (أو بحضارتهم) وأن أصل أسطورة أفروديتـــى كمـــا يرويها كلمنت أن رجلاً هو كينوراس القبرصى الذى كان مولعـــاً بنقـــل حفـــلات الشطط (οργια) لهذه الآلهة قد أحب امرأة بغيّاً من بنى وطنه فقام بتأليههـــا وقـــام

(٢٧) عن قصة ميلاد الإلهة أفروديتى راجع: Robert Graves, op.cit., pp. 49, 50;

راجـــع أيـــضا: Guerber, H.A., op.cit., pp. 82: 86; C. Kerényi, The Gods of The Greeks, (Thames and Hudson), Great Britain, 1982, p. 69.

(٢٨) Clement. op.cit., II, 13.

اليونانيون بعبادتها — وقد كان البغاء جزءاً من شعائر عبادة تلك الآلهة — دون أن يعرفوا أصلها. ويتعجب كلمنت كيف يعرف اليونانيون تلك القصص المخجلة كلها عن هذه الآلهة وطقوس عبادتها ويظلون متمسكين بعبادتها، وأقول تعليقاً على هذا إن كلمنت ذكر أولاً أن أصل الأسطورة هو أن أحد الرجال أراد أن يؤله امرأة بغيّاً من بنى وطنه — وهنا يلاحظ الإشارة المشينة إلى البغاء التى وردت عند كلمنت — ولم يذكر المصدر الذى أتى منه بتلك المعلومة وهذا يدل على أن كلمنت أراد — بشكل أو بآخر — أن يسئ إلى عبادة تلك الآلهة أو (أن يبرز الصفة اللا أخلاقية لعبادتها)، إذ نظر فقط إلى قصة نشأتها من انفصال الأعضاء الشهوانية من أورانوس وما يمارس فى عبادتها من طقوس مخجلة وأطلق عليها أنها فاسقة لا تصح عباداتها، ولم يذكر أنها — فى رأى عبادها — إلهة الحب والزواج، والزواج أمر جيّد وإنسانى واجتماعى لازم لتكاثر أفراد المجتمع، والحب أمر مطلوب ليقوم الزواج على أساس قوىّ، وفى ظل الزواج والحب يكون الجنس سبباً لازماً ووسيلة ضرورية طبيعية لتكوين الأسرة وهو أمر تدخل فيه الشهوة بالضرورة ولا تصبح الممارسات الجنسية أمراً سيئاً إلاّ حين تمارس خارج إطار الزواج المدعّم بالحب بين الرجل والمرأة. ومن هنا نستطيع أن نقول إنّ كلمنت كان محقاً فى استنكاره للشهوانية المتسيبّة، لكنّه فى سبيل تدعيم نقده للإلهة الوثنية (أفروديتى)، تجاهل النصف المضيئ من الحقيقة.

ومن ناحية أخرى أستطيع أن أقول إن الذى فعله كلمنت هو مقارنة تصوّر قديم للخلق من خلال هذه الأسطورة، بتصّور جديد للخلق يقوم به الله، وإذا كان التصور الأسطورى القديم مناسباً للمجتمع القديم فإن المجتمع الجديد (المعاصر لكلمنت) لم يعد يقبل التصورات القديمة بخصوص هذه المسألة. ومن هنا حاول كشف الجوانب القديمة من منظور جديد يدينها أو يدين ما بقى عالقاً منها بأذهان معاصريه من اليونان المثقفين.

وهناك مثال آخر لواحدة من الآلهة يقدمه كلمنت فى هذا الصدّد هو قصة

(أسطورة) الإلهة ديميتر[٢٩] وهى أسطورة مليئة بالأشياء المخجلة، ومثالاً آخر من أساطير الإلهة التى يجب الابتعاد عن عبادتها. وكانت أسطورة تلك الآلهة وابنتها الإلهة بيرسيفونى فيما بعد مجالاً خصباً للدراما السرية. ويتحدث كلمنت عن عبادة تلك الآلهة حيث يُحيى ذكراها وقصتها المخجلة حيث العناق الشهوانى الذى حدث من جانب زيوس لأمه، ويشير كلمنت لهذه الأسطورة باختصار شديد، ويذكر أن هذه العبادة قامت لتُحيى ذكرى الغضب الشديد لهذه الإلهة بسبب خطف ابنتها، ويذكر كلمنت أنه فى المستقبل لا يعرف ماذا سوف يطلق عليها الأم أم الزوجة[٣٠]، وهذا يُعد نوعاً من أنواع السخرية والاستهزاء من هذه الآلهة لأنها فقدت احترامها فى هذه الأسطورة وهو من هنا يحاول أن يبرهن للشعب اليونانى أن تلك الأساطير ما هى إلا خرافات ولا أساس لها من الصحة أو المنطق. هذا بالإضافة إلى الأعمال المشينة التى قامت بينها وبين زيوس وكيف عاشرها مع أنها أمه.

لكننا نلاحظ أن كلمنت نظر إلى ما فعله زيوس مع الآلهة ديميتر على أنه فعل مشين بينما نلاحظ أن اليونانيين الذين انتشرت بينهم تلك الأسطورة وكانوا يؤلهون صاحبتها هم أنفسهم الذين كانوا يرفضون أن يحدث تزاوج بينهم وبين أى جنس آخر حتى لا يحدث خلط فى الأنساب، كما أن هذا يذكرنا كذلك بموقف اليونانيين أصحاب أسطورة أوديب الذى عاشر أمه دون أن يدرى وكان نتيجة فعله هذا أن حلت عليه اللعنات وعلى المدينة التى يسكن فيها وانتهى الأمر بقيامه بمعاقبة نفسه وخرق عينيه وفقد بصره.

---

(٢٩) ربما يعنى اسم ديميتر "أمّ الحبوب (القمح)" أكثر من (الأرض الأم)، وكإلهة للمحاصيل تم تشخيصها كذلك على أنها هى الأرض كما فعل ذلك هسيودوس فى نظريته، وكذلك ذكر يوريبيديس عنها. وفى أثينا كانت الإلهة ديميتر تتشارك مع الأرض فى المحراب نفسه، كذلك فإن الأرض الأم تعنى أم الآلهة. راجع:

Grant, Michael, *Myths of The Greek & Romans*, p. 144, 145;
Pinsent. John, *Greek Mythology*, U.S.A., 1973, p. 33.

وعن أسطورة ديميتر راجع أيضاً:

Graves. Robert, op.cit., vol. I, pp. 89…. etc.

(٣٠) Clement, op.cit., II, 13.

نلاحظ هنا أن الشعب اليونانى الذى يرفض تلك الظاهرة فـــى أســطورة مثـــل أسطورة أوديب ويرى فيها أن من يمارس مثل هذا الفعل إنما يتسبب فـــى إحـــلال اللعنات لا على نفسه فقط بل على كل من حوله ربّما كان يقصد من تلك الأسطورة الخاصة بالإلهة ديميتر وزيوس ومعاشرته لها شيئاً آخر يمت بصلة إلى أســطورة الخلق وهو ما كان يراه المجتمع القديم مناسباً. أمّـــا المجتمـــع الجديـــد (المعاصـــر لكلمنت) فإنه لم يعد يقبل هذه التصورات القديمة وهو ما أراد كلمنت أن يوضــــحه من خلال عرضه لتلك الأساطير.

وها هو مثال آخر يذكره كلمنت على انتشار قـــصص الآلهـــة بـــين اليونـــان، وخاصة قصة الإلهة ديميتر، يقول إن ميلامبوس أدخل إلى بلاد اليونان من مـــصر أعياد ديميتر التى اشتهرت بأناشيدها ذات الطابع الحزين التـــى تُرتَّـــل أثنـــاء أداء الطقوس الدينية الخاصة بها(٣١)، فلقد كان المصريون يحتفلون هناك بهـــذه الإلهـــة وكان يتم فى هذا الاحتفال ممارسة بعض الطقوس الحزينة إشارة إلى تلـــك الإلهـــة كانت حزينة بسبب خطف ابنتها، كما كانوا ينشدون التراتيـــل الحزينـــة ولا نعلـــم بالضبط ما إذا كان ما يرويه كلمنت عن وجود هذه الطقوس الحزينة فـــى مـــصر صحيحاً بالفعل أم لا.

وبغضّ النظر عن مدى دقة (أو عدم دقّة) ما يذكره كلمنت بشأن هذه الإلهة فى مصر فإنّ الهدف الذى كان يقصده من وراء إشارته هذه هو أن عبادة ديميتر إنمـــا هى مجلوبة من مصر وهذا يعنى أن اليونانيين إنما يقلدون المصريين فقط، وهـــى عادة سيئة، لكن يبقى سؤال بعد هذا كله هو: هل كان اليونانيون يعرفـــون أن هـــذه العبادة كانت تمارس فى مصر؟

وهناك ملحوظة أخرى هى أن كلمنت عندما قام بنقد عبادة الإلهة وأشـــار إلـــى أنها عبادات مخجلة وأن البشر يعبدون إلهة تتصرف مثلهم، لم يُشرْ إلى أن اليونانى القديم كان يتعامل مع آلهته بطريقة بسيطة خالية من التعقيد والرهبة، كان يتعامـــل

(٣١) Clement, op.cit., II, 12.

معها ببساطة شديدة لا تخلو من الإجلال[٣٢] وربما يرجع ذلك إلى أن كلمنت لم يكن يهتم بهذه المسألة وإنما كان ينظر إليها من خلال دعوته إلى المسيحية التى ترى أن الله لا يجوز أن يتصف بالعيوب الموجودة فى البشر.

وهناك مثال آخر يقدمه كلمنت عن الممارسات اللا أخلاقية التى تتسم بها قصص الآلهة وهو قصة الإلهة بيرسيفونى[٣٣]:

وهى تلك الآلهة التى يعدُّونها ابنة زيوس بعد اتحاده بأمها ديميتر[٣٤].

ونلاحظ هنا أن اليونانيين عندما قبلوا هذه الأسطورة وما فيها من معاشرة زيوس للأم ديميتر ثم للابنة بيرسيفونى سمحوا بذلك بحدوث ظاهرة لم يكونوا يسمحون بها عندهم وهى ظاهرة اختلاط الأنساب، ولكن فيما يبدو كان مسموحاً بتلك الأشياء بين الآلهة فقط لأنهم آلهة وما يحدث بينهم ليس من اللازم أن يكون مشابهاً لما يحدث بين البشر، لكن من المفترض أن يكون هؤلاء الآلهة قدوة لعبادهم لكن هذا لم يحدث بل كانوا يتسمون بكل السمات اللا أخلاقية، ويبدو كذلك أن الآلهة كانت تظهر فى أشكال متعددة حيث كان زيوس يظهر فى شكل ثعبان، ففى عبادة الإله (Ξαβαζιος) سابازيوس كان الثعبان رمزاً للإله زيوس[٣٥].

كذلك الإلهة بيرسيفونى عندما أنجبت نجد أنها أنجبت طفلاً على شكل ثور. وقد استشهد كلمنت على صحة قوله بكلمات أحد الشعراء الأسطوريين حين قال:

---

(٣٢) حسين الشيخ: المرجع نفسه، ص ٤٧.

(٣٣) وهى ابنة الإلهة ديميتر وتسمى أحياناً باسم كورى أو بروسيربينا أو بيريباتا وهى إلهة النبات، راجع: Guerber, H.A., op.cit., p. 158.

(٣٤) وبذلك نجد زيوس كبير الآلهة عند اليونان مغتصباً للأم ديمتر وكذلك للابنة بيرسيفونى التى قابلها وهو على شكل ثعبان وهكذا انتشرت طبيعته الحقيقية.
Clement, op.cit., II, 14.

(٣٥) وسابازيوس (Ξαβαζιος) هو إله عُبد فى فريجية وتراقية، وقد كانت هناك علامة مميزة تعطى لهؤلاء المبتدئين فى عبادته وهى" الله فوق الصدر" وكان الثعبان هو الرمز الذى يوضع فوق الصدر. Clement, op.cit., II, 14.

"الثور أنجب ثعباناً، والثعبان أنجب ثوراً"[٣٦].

ومن أهم ما ورد فى أسطورة بيرسيفونى[٣٧]، حـــادث الاختطـــاف الــذى تعرضت له عندما كانت تتجول فى أحد الأيام فى الحدائق وظهرت عربة يجرهـا زوج من الخيول وفوقها فارس قام باختطاف بيرسيفونى إلى العالم السفلى[٣٨]. وهنا يظهر فى هذه الأسطورة شيئان مخجـلان وهمـا حـادث الاختطـاف، وحـادث الاغتصاب الذى تعرضت له بيرسيفونى من أبيها، وهو شئ لا يجوز أن تتـصف به الآلهة هذا بالإضافة إلى القصص المشينة التى تعرضت لهـا أمهـا فـى أثنـاء رحلتها للبحث عن ابنتها المختطفة، ومن ذلك على سبيل المثال قصتها مع البـاوبو، حين كانت الإلهة ديميتر تبحث عن ابنتها فى اليوسيس التى كان يسكنها فـى هـذا الوقت مجموعة من الأحياء أو (النباتات) تسمى باوبو وديساوليس وتريبتوليمـوس ويومولبوس ويوبوليوس استقبلت الباوبو الإلهة ديميتر ضيقةً وقدمت لها شراباً مـن الخمر والدقيق رفضته فى البداية بسبب حزنها على ابنتها لكنها تناولته بعـد ذلـك، وما إن تناولته حتى بدأت تكشف رداءها عن أجزاء حساسة من جسدها وتعرضـها أمام الحاضرين ويبدو أنها كانت سعيدة بما تفعله[٣٩]. ويتعجب كلمنـت مـن هـذه القصة ويقول هذا هو ما كان يسميه اليونانيون عبادات الأسرار ويستشهد على ذلك بما ورد عند أورفيوس فى أبياته التى يظهر فيها شاهداً على الأعمال المشينة فـى

---

(٣٦) Ibid., op.cit., II, 14.

(٣٧) وعن أسطورة بيرسيفونى راجع: عبد المعطى شعراوى، أساطير إغريقية، الجزء الثـانى، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٥٥٣؛

Robert Graves, op.cit., Vol. 1, p. 89; Guerber, H.A., *Greece and Rome*, p. 158; Kerényi, C., *The Gods of The Greeks*, p. 232.... etc.

(٣٨) وقد صور هذا المشهد على جدران معبد بيرسيفونى فى مدينة لوكرى (Locri) اليونانية فى جنوب إيطاليا والتى ترجع إلى النصف الأول من القرن الخامس قبل الميلاد ولـم يعكـس المنظر الذى ظهر على جدران المعبد أسطورة اختطاف هاديس لبرسيفونى فقط لكنه أيضاً صور قصة زواجها بالإله هاديس التى كانت معروفة عند اليونانيين، والتى كانـت تحـت رعاية هيرا. راجع:

Price, Simon, op.cit., p. 24.

(٣٩) وعن هذا القصة راجع: Clement, op.cit., II. 17. ؛ وراجع أيضاً:

Oxford, *Classical, Dictionary*, p. 236;Graves, Robert, op.cit., vol. I, p. 90.

هذه العبادة حيث يقول فى أبياته:

"إنها أزاحت ردائها وأظهرت منظراً مخجلاً، وكان الطفل أيـاخوس موجـوداً آنذاك، وقد ضحك على ما فعلته، ووضع يده فى صدرها، فابتسمت الإلهة وشربت الكأس حتى الثمالة"(٤٠) أو "وشربت من الكأس البراق".

ونلاحظ هنا أن كلمنت اهتم بما ورد فى الأسطورة من أحداث مشينة لكنه لـم يلفت إلى المغزى والمقصد من هذه الأسطورة وقد ظهر ذلك المقصد عندما طلـب هاديس من زيوس أن يتزوج بيرسيفونى حيث ظهرت هنا سياسة الإله زيوس الذى فضّل أن يُزوج بيرسيفونى من هذا الإله وأن تنزل للعالم السفلى وخوفاً من غضب الإله ولكى لا يقوم هذا الإله بأى أذى أو ضرر للبشر فهو إله العالم الـسفلى ومـن الممكن أن يُعّرض العالم كله لأخطار كثيرة، وهنـا يظهـر الحقيقـى مـن هـذه الأسطورة المغزى وهو التضحية التى يقدمها الآلهة من أجل صالح البـشر حتـى إنهم يضحون بأبنائهم فى سبيل سعادة البشر.

وبهذا أكون قد انتهيت من تقديم السبب الأول الذى يفند بـه كلمنـت عبـادات الأسرار، وانتقل الآن إلى السبب الثانى وهو:

(ب) الممارسات الهمجية التى تتسم بها قصص الآلهة:

إذا كانت قصص الآلهة مليئة بالممارسات اللا أخلاقيـة والأعمـال المخجلـة والمشينة فهى كذلك لا تخلو من صفات أخرى غير مقبولة مثل الهمجية، وقد قـدّم كلمنت مثالاً على ذلك وهذا المثال عن الإله ديونيسوس حيث أشـار كلمنـت فـى حديثه عن عبادة ديونيسوس إلى أنه شخصية همجية تمامـاً، فمنـذ كـان طفـلاً، والكوريبانتيس يرقصون حوله بحركات قوية وعنيفة، وذلك عندما كـان العمالقـة يتسللّون إليه، وكان هؤلاء الكوريبانتيس فى البداية يسلّونه بألعاب طفوليـة، وبعـد ذلك استطاع هؤلاء العمالقة أن يحصلوا عليه (ديونيسوس)، ومزقوه إرباً، مع أنـه

---

(٤٠) Clement, op.cit., II. 18.

كان طفلاً[٤١].

وقد كان لكلمنت غرض واضح هنا من ذكر أسطورة ديونيسوس والجزء الخاص بطفولته وكيف تجمع العمالقة حوله ومزقوه إرباً، هذا الغرض هو أن يثبت أن هذا الإله لا يجب أن يعبد لأنه لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولم يستطع أن ينقذ نفسه من أيدى العمالقة مما يعنى أنه بالضرورة لن يستطيع أن يلبى حاجة من يطلب معونته، ولهذا فليس هناك داعٍ لعبادته، ويتعجب كلمنت من موقف الأثينيين الذين لا يزالون متمسكين بعبادة ديونيسوس على الرغم من إقرارهم بأن أثينا أخذت قلبه وغادرت المكان، وحصلت بعدها على اللقب (بالاس) من نبض قلبه[٤٢]، وهنا يُظهر مدى حماقة الوثنيين الذين يتمسكون بعبادة هذا الإله على الرغم مما فعله به العمالقة حيث مزقوه ووضعوه فى مرجل فوق الشوكة الثلاثية التى كانت رمزاً له، أى أن كلمنت أضاف سبباً آخر ليفند به عبادات الأسرار، وهذا ما يجعله يدعو اليونان لترك هذه العبادات، فليس من المنطق أن يعبد اليونانيين إله تتسم أسطورته بالهمجية واللا أخلاقية إذ ليست هذه الصفات من السمات التى تتناسب مع الألوهية.

وبالإضافة إلى صفة الهمجية التى تتسم بها قصص الآلهة هناك صفة أخرى أضافها كلمنت إلى مجموع صفات الآلهة السيئة؛ وكانت سبباً آخر فى تفنيده لتلك العبادات السرية وهذه الصفة هى:

(جـ) ضعف الآلهة التى تتسم بها قصصهم:

بالإضافة إلى صفة الهمجية التى تتسم بها قصص الآلهة هناك صفة أخرى أضافها كلمنت إلى مجموع صفات الآلهة السيئة والتى كانت سبباً آخر فى تفنيده

---

(٤١) والسبب فى ذلك هو ما كانت تحمله هيرا من حقد وغضب على هذا المولود (ديونيسوس) ولذلك استدعت العمالقة وأمرتهم بالتخلص من هذا الطفل فأمسكوا به وقطعوه إرباً وأعدوا قدراً وأشعلوا النار من تحتها . وصبوا الماء فيها وألقوا بأجزاء جسد الوليد فى المياه الساخنة. فتناثرت قطرات دمائه على الأرض، فنبتت شجرة رمان على الفور. راجع: عبد المعطى شعراوى: المرجع نفسه، ص ٥٠٩.
Graves, Robert, *Greek Myths*, I, pp. 103…. etc.

(٤٢) Clement, op.cit., II. 15.

(جـ) ضعف الآلهة التى تتسم بها قصصهم:

بالإضافة إلى صفة الهمجية التى تتسم بها قصص الآلهة هناك صفة أخرى أضافها كلمنت إلى مجموع صفات الآلهة السيئة والتى كانت سبباً آخر فى تفنيده لتلك العبادات السرية؛ هذه الصفة هى ضعف الآلهة إذ ليس من الطبعى أو المألوف أن يتسم الآلهة بالضعف، ولذلك قدم كلمنت هذا الضعف كأحد الأسباب التى دعته إلى نقد عبادات الأسرار وتفنيدها، وقدم بعض الأمثلة على ذلك ومن هذا على سبيل المثال قصة الإله ديونيسوس الذى ذكر كلمنت أن العمالقة مزقوه إرباً ولم يستطع أن يدافع عن نفسه بل إن زيوس كبير الآلهة نفسه لم يستطع أن يفعل شيئاً لكى ينقذ ديونيسوس من أيديهم، وفى ذلك يذكر كلمنت "حيث أن آلهتك سلّموا بذلك، فهم يعترفون بأنّه (بخار اللحم) نصيبهم"[٤٣].

وما أضعف آلهة لا يستطيعون إنقاذ أحدهم، وهو ديونيسوس، والشئ الوحيد الذى استطاع أن يفعله كبيرهم زيوس هو أنه أزعج العمالقة بصاعقة وائتمن أبوللو على أعضاء ابنه ديونيسوس من أجل دفنها، ولطاعة زيوس، حمل أبوللو رفات الميت المشوهة إلى بارناسوس ووضعها فى المقبرة.

وهناك مثال آخر يقدمه كلمنت فى هذا الصدد وهو عن قصة الآلهة ديميتر التى لم تستطع العثور[٤٤] على ابنتها وكانت تعيش دائماً فى حزن؛ وهى هنا تبتعد عن صفات الآلهة وتقترب من صفات البشر فهى لم تستطع أن تفعل شيئاً لنفسها، فقد قامت بعدد من المحاولات للوصول إلى ابنتها وتكبدت العناء والمشقة وجابت الأرض بحثاً عنها لكنها لم تعثر عليها فإذا كانت هذه الإلهة بهذا الضعف فأنّى لها إذن أن تلبى حاجة البشر وتكون فى عونهم.

يثبت كلمنت بذلك إذن أن تلك الآلهة لا فائدة من عبادتها، وقد كان اليونانيون يعلمون أن القدر (μεροϛ) أقوى من آلهتهم، ومع هذا كانوا يعبدون الأضعف.

---

(٤٣) Clement, op.cit., II. 15.

(٤٤) Vernant. Jean Pièrre, op.cit., p. 103; Guerber. H.A., op.cit., p. 161.

(د) الممارسات التى تدعو إلى السخرية التى تتسم بها قصص الآلهة

وهنا يقدم كلمنت أمثلة يظهر فيها ما فى قصص الآلهة من أعمال وممارسات تدعو إلى السخرية منها على سبيل المثال ما يضربه كلمنت مما تتسم به عبادة أتيس وكيبيلى والكوروبانتيس[٤٥] من ممارسات كثير السخرية، ويذكر كلمنت أن هذه العبادة قد انتشرت إلى العالم بواسطة الفريجيين[٤٦] وأن من بين طقوسها بعض الممارسات السحرية إلى جانب أشياء أخرى مخجلة[٤٧].

ومن الأمثلة الداعية للسخرية التى يقدمها كلمنت من هذه العبادة ومما يعد انتهاكاً للحرمات أيضاً ما يقوله أتباع تلك العبادة السرية (أتيس وكيبيلى) فى ممارساتهم وينقله كلمنت ذلك قائلاً:

"أنا أكلت من الطبلة (الغلاية أو الأسطوانة)، وشربت من الصاجات، وحملت الطبق المقدس، وتسللت داخل غرفة العرس[٤٨]، انا صُمت، أنا أخذت من الصندوق، وقمت بما كُلفت به ووضعت فى السلة، ومن السلة إلى الصندوق". وربما كان كلمنت محقاً فى وصف تلك الطقوس بسخرية، فإن طقوس هذه العبادة تبعث على السخرية حقاً لكن لها معنى عميقاً وهدفاً آخر غير أنها مجرد طقوس لا معنى لها ولا فائدة من أدائها، على عكس ما يريد كلمنت أن يفعله حين يهاجمها بطريقة غير مباشرة وذلك بسرد ما يحدث فى تلك العبادات السرية فقط ويترك الحكم فى النهاية للمستمع المحب للحقيقة، إن الأساطير التى يقدمها كلمنت ليست مجرد أعمال مشينة مثيرة للسخرية، بل إن لها مضامين عميقة كامنة مثل الخصوبة

---

(٤٥) كيبيلى الأناضولية هى آلهة الجبال والغابات عند أهل فريجيا (وسط تركيا حالياً) خاصة وقد انتشرت عبادتها فى سارديس وفوكايا، وسميرنا وبيرجامون، وعن عبادة كيبيلى وأتيس السرية. راجع: حسين الشيخ، اليونان، ص ٢٥٣؛

Rose, H.J., *Greek Mythology*, London, 1945, p. 170.

(٤٦) Clement, op.cit., II. 13.؛ وحول عبادة كيبيلى. راجع:حسين الشيخ، ديانات الأسرار، ص ٩٤.

(٤٧) Rose, H.J., op.cit., p. 171.

(٤٨) Clement, op.cit., II. 14.؛ حسين الشيخ، المرجع نفسه، ص ٩٥.

وغيرها مع ملاحظة أن تلك الأشياء التى يعدها كلمنت مخجلة وهزلية إنمـا كانـت فى ذلك الوقت وسيلة للتعبير عن الخصوبة وتطورها وضرورة اسـتمرار عمليـة الخلق، ويلاحظ بوجه عام أن تلك الديانات السرية ارتبطت بـالجنس الـذى عدتـه رمزاً لاستمرار الحياة(٤٩).

وهناك مثال آخر قدمه كلمنت فى هذا الـصدد هـو مـا ذكـره عـن عبـادة الكوروبانتيين أو الكابيرى كما كان يطلق عليهم أحياناً إذ كان من بين مـا يقومـون به ومما يثير السخرية تحريمهم لبعض أنواع الطعام مثل تحريم أكل الكرفس البرى لأنهم كانوا يعتقدون أنه ينمو من دماء الأخ الثالث القتيل، وهذا يشبه ما كانت تفعله النساء اللاتى كنّ يحتفلن بالثيسموفوريا، فقد كنّ يحرصْن على ألا يـأكلنّ حبـوب الرمان وذلك لاعتقادهن أنه ينمو من قطرات دماء ديونيسوس، وهـذا إن دلَّ علـى شئ فإنما يدل على أن أتباع تلك العبادات لا يفكرون ولا يهتمون بمعرفة الحقيقـة، بل يتبعون هذه العبادات والممارسات بطريقة عمياء ودون تفكير(٥٠).

ولم يعلق كلمنت على عبادة الكابيرى ربما لأنها كانت تراثاً شعبياً، ولعل هـذا هو السبب الذى جعله لا يذكر شيئاً عن المصدر الذى استقى منه هذه القصة. وبهذا نكون قد وضعنا أيدينا على مصدر آخر من المصادر التى اعتمد عليها كلمنت فـى حديثه عن الأساطير الخاصة بعبادات الأسرار وهو التراث الشعبى.

والمثال الأخير الذى يقدمه كلمنت مؤكداً على فكره الممارسات التى تدعو إلـى السخرية هو ما ظهر فى العبادة الأليوسية(٥١) ، فقد نقل قولهم: "أنـا صـُمت، أنـا

---

(٤٩) من الممارسات التى كانت تتم فى هذه العبادة السرية (كيبيلى واتيس) على سبيل المثال أن تُقطع أفرع من شجر الصنوبر (وهو من رموز اتيس) وتحمل فى موكب إلى معبد كيبيلـى حيث تزين وفى اليوم التالى يقوم الكهنة والكاهنات بتمثيل طقوسهم ثم يقومون بدفن أفـرع الصنوبر التى ترمز لأتيس. راجع: حسين الشيخ، المرجع نفسه، ص ص ٩٥، ٩٧.

(٥٠) Clement, op.cit., II. 16.

(٥١) وحول العبادة الإليوسية وطقوسها راجع: حسين الشيخ، المرجع نفسه، ص ٦٤: ٦٩.
Buxton, Richard, op.cit., pp. 137, 138, 324;
Grant, Michael, *Myths of Greeks and Romans*, p. 149;

شربت الشراب، أنا أخذت من الصندوق، وقمت بما كلفت به، ووضعت فى السلة، ومن السلة إلى الصندوق"، وعن محتويات تلك الصناديق الغامضة المقدسة التى يستخدمها الوثنيون فى ممارساتهم يقول كلمنت:

"إذا ما تكلمت عن محتويات الصناديق الخفية فسأكشف عنه وأنطق بما لا يليق أن ينُطق به"[٥٢]. والمقصود بقوله هذا أن الأشياء التى يحتوى عليها الصندوق أشياء مخجلة منها على سبيل المثال كعكات السمسم، وكعكات هرمية، وأخرى مستديرة، وفروع الأشجار وغير ذلك".

وما يمارسه أتباع هذه العبادة من أشياء لا تليق بالآلهة حتى إن كلمنت وصف أتباع تلك العبادة بأنهم أناس ذوو "عقول فارغة"[٥٣]، وهو لا يقصد بذلك شعب الأيريخثيين، الذين كانوا يمارسون تلك العبادة فقط، لكنه يوجّه هذا الاتهام كذلك إلى بقية اليونانيين "الذين كانوا يتوقعون (ينتظرون) أن يحصلوا على شئ ما بعد موتهم"[٥٤]. ودعا كلمنت هؤلاء أن يتركوا تلك العبادات التى لا فائدة منها، وأن يسعوا وراء المفهوم الحقيقى للإله، لكنه من لم يدرك المغزى الحقيقى من وراء تلك القرابين التى تتمثل فى بذور ميتة وغير ذلك — كما يرى أحد المؤرخين — وكانت هذه الأشياء ترمز فى الحقيقة إلى ما تهدف منه هذه العبادة وهو الوعد بالخلود بعد الموت[٥٥]، مكافأةً للمشاركين فى هذه الطقوس، وهناك رأى آخر لأحد المؤرخين المعاصرين هو أن الزور الميتة التى تعود إلى الحياة فى رحم الأرض الأم، مرتبط بما يعتقدونه من أن هذا الخلود سيتم تحت الأرض[٥٦].

وإن كنت أريد أن أضيف تفسير آخر هو أننا من جانب آخر لا نستطيع فى

حسين الشيخ: اليونان، ص ٢٣١.

(٥٢) Clement, op.cit., II. 19.

(٥٣) Ibid., II. 18.

(٥٤) Ibid., II. 18. 19.

(٥٥) Grant, Michael, op.cit., p. 153.

(٥٦) حسين الشيخ: المرجع نفسه، ص ٢٣٣.

الحقيقة محاسبة كلمنت على عدم تأصيله العلمى للأساطير لأنه يقدم هذه الأساطير وما بها من أعمال مخجلة ومشينة وأعمال تدعو للسخرية ليوضح بها دعوته إلى أن تلك الآلهة لا فائدة من عبادتها ولهذا فهو غير مُلزم بالتثبت من الأساطير والإشارة إلى مصادرها.

ونلاحظ فى النهاية أن كلمنت كان يهتم فى معظم الأحيان بالتركيز على الأشياء التى تساعده فى الوصول إلى غرضه الأصلى وهو هدم الوثنية.

وسوف انتقل الآن إلى السبب الأخير الذى قدمه كلمنت أثناء تفنيده لعبادات الأسرار وهو:

(هـ) الأشياء القائمة على الخداع فى تلك العبادات السرية:

وعن أنواع الخداع الذى تستخدمه تلك العبادات السرية ومنها الخداع البصرى، يشير كلمنت إلى أماكن العرافة والوحى المختلفة قائلاً: "إذا كنت تنوى البقاء بجانب هذه العبادات فأنت بذلك سوف تكون بجانب المنجمين والعرافين، ومفسرى الأحلام"(٥٧).

ومن الأمثلة التى يقدمها كلمنت على الخداع فى تلك العبادات عبادة أبوللو البيثى حيث يستخدم أتباعه فى طقوسهم الدقيق والشعير فى القرابين ويقومون بوضع الدقيق والشعير على اللهب ويراقبون حركة اللهب ووفقاً لحركة اللهب يتفاءلون أو يتطيرون(٥٨). كما أن هناك أماكن أخرى للوحى تستخدم الطيور التى يتفاءلون أو يتشاءمون حسب اتجاهها فى الطيران، كما كانت الماعز (αιγες)، والغربان (Κορακες) مما يستخدم فى تلك الأعمال أيضاً، وهذا الخداع لأنهم يستخدمون تلك الأشياء لجذب الانتباه وخداع العامة بأشياء التى لا علاقة لها بالحقيقة.

ومثال آخر من أمثلة الخداع هو الخداع البصرى، ويظهر عند المقامقين

---

(٥٧) Clement, op.cit., II. 11.

(٥٨) Ibid, II. 11.

أى (الذين يتحدثون من بطونهم) (εγγαστριμυθους) ويكمن الخداع هنا فى أن هؤلاء الأشخاص يستطيعون أن يجعلوا من ينظر إليهم يتوهم أنّ الأرواح هى التـــى تتحدّث.

ونلاحظ هنا أن كلمنت ذكر أن أماكن العرافة والوحى قائمة على الخـــداع وقام بتوجيه النقد اللاذع لها، وحاول أن يقول إن تلك الأماكن مـــا هـــى إلا أمـــاكن للوهم والضلال، وربما كان السبب الذى دعاه إلى الهجوم على تلك الأمـــاكن أنـــه وجد فئة من المجتمع ترفض تلك الأشياء وهذا شئ طبيعى فإذا كانت تلك الأشـــياء مناسبة للمجتمع القديم فإن المجتمع الجديد الذى عاش فيه كلمنت ربّما لم يعد يقبلها.

ولم يكن هذا هو أسـلوب الخـداع الوحيـد الـذى يـستخدمه العرافـون والمنجمون. بل هناك نوع أخر من أنواع الخداع يذكره كلمنت سبباً مـــن الأســـباب التى تجعله ينقد تلك العبادات السرية وهو الخداع اللفظى الذى تعتمـــد عليـــه تلـــك العبادات السرية فى التأثير على أتباعها.

يقول كلمنت عن هذا: إنه عرف شكلاً آخر من أشكال العبث الذى يظهـــر فى شكل نبوءات وهو ما يمكن أن يسميه هذيان ويقدم مثالاً على هذا هو ما يحـــدث فى نبوءة أبوللو وكلاريان والنبوءة البيثية، ونبوءة ديديميان (Διδυμεα)، وكـــذلك نبوءة أمفياروس (Τον Αμφιαρεω) وأمفيلوخوس(٥٩)، ومثـــل هـــذه النبـــوءات تعتمد على الخداع اللفظى والتلاعب بالألفاظ لتجعل الكلمات والعبـــارات الغامـــضة تتّسع لتشمل أى معنى وتقلب أى شئ إلى ما يريدونه، ولذلك يتهم كلمنت أتباع تلك العبادات بأنهم مضللون بل شركاء فى الخداع باتباعهم له وسكوتهم عنه.

وبعد أن قدّمت عرضاً للأسباب التى ساقها كلمنت ليفند عبادات الأســـرار وبالتالى يقوم بهدم الوثنية، انتقل الآن إلى النتيجة النهائية التى توصل إليها كلمنـــت وهى أن عبادات الأسرار عبادات دنيوية غير مقدسة.

---

(٥٩) Clement, op.cit., II. 11.

(و) شهادة الفلاسفة ضد عبادات الأسرار

بعد أن حاول كلمنت فى النقاط السابقة أن يفند تلك العبادات السرية التى يتمسك بها الشعب اليونانى (وغيره من الشعوب)، وأثبت أن تلك العبادات ليست سرية ولا أهمية لها. نجده ينتهى إلى أن عبادات الأسرار عبادات دنيوية غير مقدسة، ويستشهد على ذلك بما ورد عند هيراكليتوس وهو فيلسوف يونانى شهد ضد هذه العبادات وأتباعها، وشهد — كما يقول كلمنت — ضد "طوافى الليل، السحرة، الباخيين، المعربدين، والمتعبدين المتحمسين للعبادات السرية"(٦٠).

ولم يكتف بشهادة هيراكليتوس من الإفسوسى (Heracleitus of Ephesus)، بل أشار كذلك إلى أن هيراكليتوس (٦١) بشر أولئك التابعين للعبادات السرية بالنار بعد الموت. وها هى مسألة النار تدخل بشكل ما فى فلسفة هيراكليتوس الذى اعتقد الرواقيون خطأ أنه تنبأ بأنّ العالم سيتعرّض من حين لآخر لحريق هائل، وهذا راجع إلى عدم فهمهم لقوله: "إنّ العالم كان ويكون وسيكون ناراً مستّمرة، تُقدح ثم تطفأ على فترات" فربما كان هذا القول أقرب إلى المجاز أو التشبيه أكثر مما ينتمى إلى المعنى المباشر. وبهذا يكون ما ذكره كلمنت قريباً من الفهم الفلسفى السائد فى ذلك الوقت لكنه قد يكون، مع ذلك، بعيداً بعض الشئ عن الدقة العلمية بخصوص الرأى الحقيقى لهيراكليتوس.

وقال هيراكليتوس كذلك عن أتباع تلك العبادات السرية "أن الناس بطريقة غير مقدسة يُدشنّون فى هذه العبادات السرية المعتادة عندهم"(٦٢). ونلاحظ أن كلمنت عندما استشهد بهيراكليتوس فى هذه المقولة إنما كان يقصد الإشارة إلى أن العبادات السرية ليست إلا عادات لا عبادات، وهو ما عبر عنه بقوله:

"العبادات السرية إذن مجرد عادة، ورأى عابث"(٦٣).

---

(٦٠) Ibid, II. 19.

(٦١) Coxon, A.H., Heraclitus. (O.C.D.).

(٦٢) Clement, op.cit., II. 19.

(٦٣) Ibid., II. 19.

كما يسوق كلمنــت كــذلك آراء بعــض الفلاســفة مثــل يــوهيميروس الأكراجاسى، ونيكــانور مــن القبرصــى، وديــاجوراس، وهيبــو الميلوســيين، وثيودوروس، وآخرون غيرهم كثير، وحاولوا أن يصلوا إلى الحقيقة وفــى أثنــاء محاولاتهم هذه اكتشفوا حقيقة العبادات السرية وأنها عبــادات خاطئــة. وإذا كــان هؤلاء لم يدركوا تفاصيل الحقيقة نفسها؛ فقد شعروا على الأقل بوجود خطــأ فــى تلك العبادات، ويقول كلمنت فى ذلك إن "هذا الشعور شرارة حيــة مــن الحكمــة، وبذرة من بذور الحقيقة التى تنمو"(٦٤).

وقد قام أحد هؤلاء الفلاسفة بتوجيه النصح والتحذير مــن تلــك العبــادات (وإن كان يتحدث، خطأً أو صواباً، عن المصريين) قائلاً: "إذا آمنت بأنهم آلهة، فلا ترثهم، ولا تضرب على صدرك، وإذا ما فعلت ذلك من أجلهم فلا تعدنهم آلهة"(٦٥).

ونلاحظ هنا التفكير العقلانى الصحيح لهؤلاء الفلاسفة، فهم ينصحون بعدم الانتحاب على الآلهة لأن الآلهة خالدة لا تموت، وإذا ماتت فهى إذن ليست آلهــة، ويقدم كلمنت مثالاً على ذلك حيث ذكر" أن هناك شخصاً وضع تمثال هيــراكليس المصنوع من الخشب فى النار ليشعل به الموقد لكى يطهو الطعام لنفــسه، قــائلاً: "تعالَ يا هيراكليس إنه دورك الآن لكى تقوم بالعمل الثالث عشر من أجلــى مثلمــا قمت بالإثنى عشر عملاً(٦٦) السابقة ليوريستيوس، إنه دورك الآن لتقوم بهذا العمــل الثالث عشر من أجل دياجوراس"(٦٧).

ولا يخفى ما فى هذا المثال من التهكم والسخرية بتلك الآلهة التى يعبــدها اليونانيون إذ استخدم هذا الشخص أحد تماثيل هيراكليس الخشبية فى طهى طعامــه وهذا إن دلّ على شئ فإنما يدل على أن هؤلاء اليونانيين يعرفون أن تلــك الآلهــة، وأنصاف الآلهة غير ذات فائدة لهم، وأنهم لا يحترمونها.

---

(٦٤) Ibid, II. 21.

(٦٥) Ibid, II 21.

(٦٦) Rose, H.G., Heracles, (O.C.D.).

(٦٧) Clement, op.cit., II. 20

وبهذه الأمثلة والشهادات على أن الطقوس والعبادات السرية إنما هي عبادات دنيوية، تعرض أتباعها للنار بعد الموت، يدعم كلمنت بهذه الشهادة موقفه ضد العبادات السرية التى يقف ضدها ويهاجمها لأنها عبادات لا أهمية لها وينصح من يتبعونها بأن يبحثوا عن الحقيقة بدلاً من أن يتهموا المسيحيين بالكفر والإلحاد.

ويقول كلمنت لهؤلاء: "أطفئ النار، أيها الكاهن، دع الجمرات الملتهبة، وحاملى المشاعل، دع العربدة للظلام، فالنار فى النهاية سوف تُدين وتعاقب كل شخص على عمله"(٦٨). أى أن كلمنت لا ينصح أتباع تلك العبادات بتركها فقط، وإنما يحذرهم كذلك من العقاب الذى سوف يلاقونه فى النهاية.

(ن) رفض بعض الحكام للعبادات السِّرية:

وعلى الرغم من استمرار عبادات الآلهة فى عهد الأباطرة الرومان وإقامة هؤلاء الأباطرة المعابد الخاصة لها إلا أن بعض الملوك رفضوا تلك العبادات، ومنهم على سبيل المثال ملك سكيثيا (Scythia)، وظهر ذلك عندما قام أحد الموظفين السكيثيين بنشر طقوس عبادة الإلهة كيبيلى، مقلداً ما كان شائعاً فى كيزيكوس؛ حيث ضرب الطبلة ودق الصنج وعلق صور الآلهة على الصدر. فكان أن أمر الملك بذبح هذا الرجل(٦٩)، لنشره لتلك الطقوس المجونية التى على رأسها الخصاء، وقد رفض الملك ممارسة تلك الطقوس فى بلاده، ويحاول كلمنت بكلامه هذا أن يقول إن عدداً من الملوك رفضوا تلك العبادات السرية، لما بها من ممارسات مشينة، وهو ما لا يتناسب مع طبيعة الشعب اليونانى، الرافضة لتلك الاحتفالات الخاصة (السرية)، التى ترتبط بالقتل والجنون(٧٠)، ونخلص فى النهاية إلى أن كلمنت أراد أن يوضح من خلال أمثلته هذه أن أساطير الآلهة كلها والممارسات التى تتم بها هى مجرد قصص خرافية.

---

(٦٨) Ibid., II. 19.

(٦٩) Ibid., II. 20.

(٧٠) حسين الشيخ: المرجع نفسه، ص ٩٥.



الفصل الثاني

نقد كلمنت لعبادات الأشخاص والآلهة اليونانية

١- رأى كلمنت فى نشأة العبادات الوثنية.

(أ) تأليه الظواهر الكونية

(ب) تأليه الظواهر الطبيعية

(ج) تأليه الظواهر الاجتماعية.

(د) تأليه العواطف والانفعالات البشرية.

(ه) تأليه ذوات الأشخاص (الأبطال).

٢- الأسباب التى يفند بها كلمنت عبادة الآلهة.

(أ) وجود عدد من الآلهة يشتركون فى الاسم نفسه.

(ب) هناك نقائص بشرية تتصف بها الآلهة الوثنية.

(ج) عجز الآلهة عن ضبط أنفسهم أو الشهوات غير المحدودة للآلهة والإلهات.

(د) الاجتماعات والاحتفال بشخصيات فانية.

(ه) خضوع بعض الآلهة للعبودية.

(و) للآلهة شعور واحتياجات مثل البشر.

(ز) شهادة الكتّاب الإغريق ضد آلهتهم.

٣- هل الآلهة اليونانية شياطين (أرواح حارسة) أو معبودات من الدرجة الثانية؟

(أ) البشر أفضل من الشياطين (الأرواح الحارسة).

(ب) معابد الآلهة مقابر حقيقية.

بعد أن تناولت فى الفصل السابق الأسباب التى فنّد لها كلمنت عبادات الأسرار، وكيف أوضح خطأ تلك العبادات، وكيف أنها لا فائدة منها، ولا يجب اتباعها، سوف أتناول فى هذا الفصل أسباباً أخرى يفند لها كلمنت نوعاً آخر من العبادات الوثنية، كان اليونان يعتنقونه، وهو عبادات الآلهة اليونانية والأشخاص، لكن كلمنت ــ قبل أن ينقد العبادات الوثنية التى مارسها اليونان ــ حاول أن يقدم أسباباً لنشأة هذه العبادات.

١ـ رأى كلمنت فى نشأة العبادات الوثنية:

وكان أول ما اتجه إليه كلمنت عند حديثه عن منشأ العبادات الوثنية[١]، هو الظروف المحيطة بالشخص العادى[٢] والتى لابّد أن يحسّ بأثرها أو يتعامل معها مباشرة، ومن ثم يتأمل علاقته بها ــ وهذه أول خطوة على طريق تأليهها. وهو أمر يمثل نقطة ضعف أساسية فى العبادات الوثنية لأنه يصيبها فى مقتل ويدل على أنها ليست إلا مخلوقات وليست هى الخالق.

وقد قسمّ كلمنت هذه الظواهر إلى خمسة أنواع؛ هى تأليه الظواهر الكونية، وتأليه الظواهر الطبيعية، والظواهر الاجتماعية، والعواطف والانفعالات البشرية، وتأليه الأبطال.

(أ) تأليه الظواهر الكونية:

أستطيع أن أقول إن كلمنت حاول التشكيك فى كنه عبادة الآلهة اليونانية عن طريق قوله إن هذه الآلهة كانت فى الأصل مجرّد رموز، ثم تحولّت بمرور الوقت إلى آلهة، وهو غير ما قصده اليونان فى البداية. وضرب كلمنت مثلاً لهذا بعبادة اليونان للظواهر الكونية التى هى عبارة عن أجسام كونية تحيط بالإنسان عن

---

(١)قسّم اليونانيون الأشياء التى كانوا يعبدونها، وميزوا بينها، ومن ذلك أنهم ميّزوا بين الأشكال المختلفة للقوى فى الفضاء، وعبدوها. راجع:
Pierre, Jean, Vernant, op.cit., p. 94.

(٢) شخص اليونانيون قوى الطبيعة، وعبدوها:
Clement, op.cit., II, 22; Pierre, Jean, Vernant, op.cit., p. 93.

بُعد وينتفع بأثرها وإن كان لا يملك من أمرها شيئاً حيث يشير كلمنت إلى أن بعض البشر خُدعوا منذ البداية بمنظر الأفلاك وآمنوا بعد أن أمعنوا فى النظر فى حركات هذه الأجسام السماوية، وتعجبوا من حركتها فعبدوها؛ وليس هذا فقط بل أعطوها أسماء آلهة[٣].

ومن هنا عبدوا الشمس على سبيل المثال مثلما يفعل الهنود، وكانت لعبادة الشمس أهمية كبيرة حتى إنها أصبحت فيما بعد رمزاً للخصوبة عند الرجال[٤]، وعبدوا القمر مثلما يفعل الفريجيون[٥]. أى أن كلمنت هاجم تلك العقائد وأعلن نقده لتأليه اليونانيين للأجرام السماوية كالسماء والشمس والقمر والنجوم.. إلخ، لكنه عندما هاجم تلك العبادات لم يلاحظ المعنى الكامن وراء اهتمام اليونانيين بهذه الأشياء، وهو أنهم كانوا يرونها آلهة قوية وبعيدة عن البشر ولا تهتم بهم، لكنهم يحتاجون لها ومن ثم أرادوا التقرب إلى تلك الأجرام بعبادتها وتقديم القرابين لها لاستدار عطفها أو على الأقل لتلافى شرورها[٦].

وينتقل كلمنت إلى النوع الثانى من الآلهة الوثنية والمظهر الثانى من مظاهرها وهو:

---

(٣) Butterworth, op.cit., pp. 52, 53, Note (a).

هذا الاشتقاق الخيالى مصدره أفلاطون فى محاورته كراتيلوس 3978, C.D.، عندما قال سقراط إن اليونانيين الأوائل كانوا يعدون الآلهة الأجسام السماوية فقط. وربما جاءت تسمية الأجرام السماوية بهذا الاسم إلى حركتها أى أنهم رأوا حركتها الدائمة فأطلقوا عليها اسم آلهة (θ εους θεοντας , θεοι)، ثم شاع هذا الاسم فيما بعد، وقد أكد على ذلك أرسطو فى شرحه لفكرة (الإله).

راجع: Fox. Adam, *Plato for pleasure*, Britain, 1945, p. 92.

Price, Simon, op.cit., p. 129.

(٤) Graves, Robert, op.cit., pp. 13, 14, 15.

(٥) Ibid., pp. 13, 14, 15.

(٦) حسين الشيخ: ديانات الأسرار، ص ٤٧.

(ب) تأليه الظواهر الطبيعية:

ويمكن وضع الحديث فى هذا الشأن تحت عنوان علاقة الإنسان بالطبيعة لأن مكونات الطبيعة قريبة من الإنسان واضحة التأثير فيه، وكلمنت يشير إلى أن بعض اليونانيين كانوا يقدسون ثمار بعض المزروعات؛ فالأثينيون — على سبيل المثال — كانوا يقدسون القمح فى صورة الإلهة ديميتر[٧]، ويصل كلمنت من ذلك إلى أنه لا وجود حقيقى لما يسمونه بالإلهة ديميتر، وإنما هى فى نظر الإغريق رمز إلى مكون وعنصر أساسى فى حياة الإغريق هو القمح أو هى رمز للأرض والزراعة بشكل عام فكأنهم لا يعبدون الإلهة ديميتر، وإنما يعبدون القمح فى صورتها؛ والإنسان من خلال علاقته بالطبيعة وتعامله مع مكوناتها وإرضاءاً لاحتياجاته الغذائية هو الذى رمز إلى تلك الاحتياجات بآلهة، وربما نخرج من ذلك إلى أن موقف كلمنت عندما نقد هذه العبادة كموقفه من عبادة الإله ديونيسوس[٨] لأنه لم يدرك المغزى الحقيقى وراء تلك العبادة، ، التى هى رمز للعنب الذى هو رمز النبيذ الذى كان يمثل عنصراً أساسياً فى حياة اليونانيين، وهم هناك لا يعبدون آلهة، وإنما يرمزون للأساسيات فى حياتهم بآلهة، وهكذا انتقل إلى النوع الثالث من أنواع الوثنية أو السبب الثالث من الأسباب التى تؤدى للوثنية وأحد مظاهرها فى رأى كلمنت، وهو:

(جـ) تأليه الظواهر الاجتماعية:

وفى هذه النقطة يطرق كلمنت باب علاقة الإنسان بالمجتمع وهى تتصل بالظروف التى تنشأ نتيجة احتكاك الفرد بغيره ضمن التكوينات الاجتماعية المختلفة مثل الأسرة والعشيرة والقبيلة والمجتمع بوجه عام ونتيجة لتأثر الإنسان بتلك الظواهر الاجتماعية وموقفه من قيم المجتمع مثل الحقّ والثواب والعقاب والصفح

---

(٧) ديميتر، تعنى جيميتر أى الأرض الأم، وقد كان اليونانيون يقدسونها، ويمارسون طقوس عبادتها السرية التى تعرف بطقوس العبادة الأليوسية.

(٨) راجع: عبد المعطى شعراوى: المرجع نفسه، ص ص ٥٠٥: ٥٣٧؛

راجع أيضاً: Graves, Robert, op.cit., Vol. I, pp. 56...etc.

والعناد والانتقام والقضاء والقدر... إلخ اتخذ الإنسان بعض لتلك الظواهر آلهة يعبدها ذلك ما أسموه ربات الصفح ، وكان اليونانيون يطلقون عليهم اسم الربات الحسان، لينالوا رضاءهن، ولا يخفى أنه كان لتلك الآلهة دور كبير في المجتمع ضمن تأثير العقاب على سبيل المثال فى المجتمع أن الإنسان عندما يعلم أنه إذا اقترف خطأ فإنه سوف يُعاقب عليه فإن ذلك يؤدى إلى تحمله للمسئولية وتمسكه بالقوانين والضوابط التى تحكم المجتمع، كما أن القضاء والقدر ظاهرة لها أهميتها فى المجتمع أيضاً، لأن إيمان الإنسان بالقضاء والقدر يجعل منه إنساناً مستقراً راضياً بما يقع عليه من ضغوط وأعباء[9].

ويريد كلمنت أن يصل فى هذه النقطة أيضاً إلى نتيجة مؤداها أن تلك الآلهة آلهة غير حقيقية وأن إلهات الصفح على سبيل المثال هى من اختراع شعراء المسرح وتسمى اليومينيديس[10] (Ευμενιδας)، كما أن آلهة الانتقام دائماً ما تظهر فى مسرحياتهم التراجيدية، وبالتالى فكتاب المسرح هم المسئولون عن انتشار عبادة هذه الأشياء، وهذا إن دلّ على شئ فإنما يدل على مدى تأثر اليونانيين بالشعراء المسرحيين حتى إنهم عبدوا الشخصيات التى يقدمها هؤلاء الشعراء فى مسرحياتهم.

(د) تأليه العواطف والانفعالات البشرية:

ولم تكن العواطف والانفعالات البشرية بمنأى عن حديث كلمنت واهتمامه، إذ يتحدث كلمنت عن الانفعالات البشرية الذاتية، مثل الخوف والحب والقوة والتجبّر والفرح أو الابتهاج... إلخ، وكيف مثّل الإنسان آلهة لتلك الانفعالات فسمى الخوف ــ على سبيل المثال ــ فوبوس (Τον Φοβον)، والحب إروس (Τον Ερωτα)، والمتعة إله عندهم هو خاريس (Την χαραν)، ويتضح من ذلك أن اليونانيين صوروا آلهة للعواطف والانفعالات البشرية بل إن الظواهر

---

(٩) Clement, op.cit., II. 22.

(١٠) اليومينيديس (Ευμενιδας)، هى إلهات تتعقب من يسيئ إلى ذوى القربى وبذلك تتحقق العدالة فى المجتمع.

النفسية رمزوا لها بآلهة أى أن المسألة من أولها إلـى آخرهـا رمزيـة لا أكثـر. ويحاول كلمنت أن يشير إلى أنه حتى الفلاسفة كانوا يخطئون فى بحثهم عن الحقيقة فى بعض الأحيان حيث كانوا يتبعون الشعراء فى معتقداتهم ويعتقـدون أن هنـاك آلهة ترمز للانفعالات البشرية على الرغم من أن الإله الحقيقـي يجـب ألا يمثـل عاطفة معينة بل يجب أن يكون رمزاً للكمال لا رمزاً لانفعال أو عاطفة بشرية(١١).

والكراهية على سبيل المثال لا يمكن أن تمثل الكمال فهى عاطفـة تـؤدى إلى التمزق والتفريق بين أفراد المجتمع، والحـبّ (إذا اتجـه إلـى وجهـة غيـر صحيحة) قد يؤدى إلى التحيّز والابتعاد عن الحقّ وهو أمر ضارّ بالمجتمع.

(هـ) تأليه ذوات الأشخاص (الأبطال):

وأخيراً أصل إلى السبب الأخير من الأسباب التى رأى كلمنت فيها دوافـع إلى الوثنية وأحد صورها، وهو عبادة الأبطال التى كانت ظـاهرة واضـحة فـى المجتمع اليونانى، ويكفى فى هذا الصدد أن نعرف، على سبيل المثـال، أن منطقـة واحدة من مناطق بلاد اليونان، وهى أتيكا Attica، كان أهلها يعبدون أكثـر مـن مائة وسبعين بطلاً(١٢) ويفسر كلمنت هذا النوع من العبادة بأن النـاس يأسـوا مـن عون آلهتهم الخارجية فاخترعوا بعض المنقذين من أنفسهم ومن أمثلة ذلك عبـادتهم للأخوين التوأمين (Διοσκουρους)، هيراكليس (Ηρακλεα)، وإسـكليبيوس الطبيب (Ασκληπιον) أى أن الوثنيين كانوا فى بعض الأحيان يختارون بـشراً يؤلهونهم معتقدين أنهم سوف يمنعون الشر عنهم ويرجع السبب فى توجّه اليونـان إلى تلك العبادات المختلفة إلى أنهم لم يدركوا أن المـصدر الحقيقـى أن للرعايـة الإلهية التى يحظون بها هو الله، فاخترعوا مخلّـصين وضـعوهم فـى مـصاف الآلهة(١٣) التى تمثل الكون وآلهة الانفعالات البشرية والآلهة التى تمثل الطبيعة.

---

(١١) Clement, op.cit., II, 22.

(١٢) Price, Simon, op.cit., p. 19.

(١٣) تعددت الآلهة التى كان اليونانيون يعبدونها حتى إن عددها وصل ــ كما ذكر كتاب

وقد تطرق كلمنت كذلك إلى الإشارة لظاهرة كانت قد انتشرت فى المجتمع اليونانى آنذاك بصورة واضحة حيث ذكر أن بعض الملوك وكبار الشخصيات ادّعوا الألوهية، لأنهم رأوا أن الآلهة لا تستطيع أن تفيد البشر بشيئ، ويقدم كلمنت أمثلة على ذلك، أحدها الملك كيكس بن أيولوس[١٤] (Κηυξ ...ο Αιολου) الذى شبّه نفسه بزيوس بينما تشبّهت زوجته الكيونى بهيرا، والملك بطلميوس الرابع الذى سُمى بديونيسوس[١٥]، بل إن أولئك الملوك الذين تشبّهوا بالآلهة أو شبههم الناس بالآلهة لم ينتبه بعضهم إلى علامات التحقير للآلهة التى تشبّهوا بها. و يتعجب كلمنت من الإسكندر الأكبر الذى كان يأمل فى أن يكون ابناً للاله آمون، وقد صوره النحاتون بقرنين، ويتعجب كلمنت ويتساءل: كيف سمح الإسكندر لهؤلاء النحاتين بأن يضعوا على رأسه قرنين وأن يشبّهوه بالحيوانات؟!

والحقيقة أن الإسكندر — بعد أن أضفى عليه كهنة معبد سيوة لقب ابن الإله آمون — أخذ يضع على رأسه خوذة يبرز منها قرنان تشبهاً بآمون الذى كان رأسه يشّبه برأس كبش ذى قرنين وربما كان كلمنت يجبها، هذا، ولعله كان يعرفه لكنه يتجاهله عامداً حتى يستطيع أن يستخدم هذا المثال لنقد الوثنية مستغلاً عدم معرفة سامعيه بهذه المعلومة.

كما يقدم كلمنت كذلك أمثلة لمجموعة من كبار الشخصيات تم تأليهها كما فُعل بالأبطال والملوك، ومن هؤلاء مينيكرانيس الطبيب، الذى تشبّه بزيوس، وأريستوس السلاميسى الذى غّير شكله إلى إله الشمس، ونيكاجوراس الزيلى الذى كان يعيش فى عصر الإسكندر وكان يتشبّه بهيرميس ويرتدى رداء شبيهاً

القرن الثانى الميلادى من المسيحيين — إلى ٣٦٥ إلهاً، وقد أوضح كلمنت أن هذه الآلهة لا تملك ضراً ولا نفعاً، وإنما الإله الحق إله واحد. راجع:
Price, Simon, op.cit., p. 11.

(١٤) Clement, op.cit., IV, 47.

(١٥) Ibid., IV, 47.

برداثه[١٦]، ثم يتحدث كلمنت عن هيبو (Hippo)[١٧] الذى صور وفاته وكأنها انتقال إلى درجة الألوهية حيث كتب عبارة على ضريحه يذكر فيها أن الآلهة كلها كانوا ذات مرة بشراً ويقول فى هذه العبارة "انظر لمقبرة هيبو، الذى جعله القدر، بموته سمياً للآلهة الخالدة" ونلاحظ هنا أن عبارة هيبو على ضريحه ينقصها الوضوح، لكنها على أية حال تشير إلى اعتقاد هيبو بأنّ بالإمكان أن يكون البشر مساوياً للآلهة.

وبعد أن نقد كلمنت الآلهة الوثنية نقداً تحليليّاً ــ من وجهة نظره ــ وجه أنظار اليونانيين للحقيقة فى النهاية وكان ذلك فى شكل نصائح لهم حاول أن يوضح لهم فيها كيف يجهلون أن هناك قوّة خالقة حقيقية لهذه الظواهر الكونية والاجتماعية وللإنسان ذاته، وقد استشهد كلمنت على هذا بما قاله أحد الشعراء اليونان وهو إمبيدوكليس الإكراجاسى[١٨] حيث قال: "لذلك إذن، بهذا الفكر البائس المحزن، لن تُريحوا عقولكم أبداً من الآلام الكئيبة" فها هو الشاعر يشير إلى تفكير هؤلاء الوثنيين ويصفه بأنه تفكير بائس وكئيب وأنه لا يجلب لهم سوى الآلام والأحزان، وربما يكون السبب الذى جعل كلمنت ينصح هؤلاء الوثنيين بترك الوثنية هو عدم اقتناعه بجدوى القيم السائدة وأن هذه القيم لم تعد تلبى حاجات المجتمع بل أصبحت قديمة بالية، أو عدم اقتناعه بالأسباب والدوافع وراء ظهور الآلهة الوثنية أو على الأقل ظهور بعضها؛ كما يشير كذلك إلى أن قصص الآلهة التى يعبدونها ما هى إلا أساطير وقصص خيالية. ويستشهد على ذلك بما قاله كبار المفكرون الوثنيون فى هذه الفترة وكيف أشاروا إلى طريقة التفكير التى يتبعها من يعبدون الآلهة الوثنية، بأنهم ــ باتباعهم لتلك العبادات ــ "كأنهم يتركون الصراط القويم،

---

(١٦) Ibid., IV, 47.

(١٧) راجع: Roger. J.A. Wilson, Hippo, O.C.D.

(١٨) أمبيدوكليس شاعر وفيلسوف من إكراجاس فى صقلية عاش حوالى ٤٩٣- ٤٣٣ ق.م

Clement, op.cit., II. 23.

ويختارون الطريق الذى تحفه الأشواك ويؤدى إلى الهلاك"[١٩].

وبعد أن انتهيت من عرض كلمنت للأسباب التى تؤدى للوثنية أو بمعنى آخر بعد أن عرض كلمنت أنواع الآلهة الوثنية المختلفة. انتقل الآن إلى القسم الثانى فيه نقد كلمنت لتلك الآلهة الوثنية، وفى هذه النقطة يقدم كلمنت أسباباً مختلفة بين يدى حديثه يفند بها تلك العبادة ويوضح أنها عبادة خاطئة.

٢ـ الأسباب التى يفند لها كلمنت عبادة الآلهة:

وقد قدّم كلمنت عدداً من الأسباب التى يستبعد من خلالها عبادة الآلهة الوثنية. وأنها آلهة أسطورية لا وجود لها فى الحقيقية وأن بعض هذه الآلهة كانوا أشخاصاً مارسوا حياة فيها كثير من الانحلال[٢٠].

ولعل من أهم هذه الأسباب:

(أ) وجود عدد من الآلهة يشتركون فى الاسم نفسه:

وقد أشار فى هذه النقطة إلى أن هناك عدداً كبيراً من الأشخاص والآلهة يشتركون فى اسم واحد ويرى كلمنت أن هذا يمثل نوعاً من العبث يدل على تهور من يعبدون هذه الآلهة[٢١]، ولعل كلمنت يقصد بتهور اليونانيين من عبادة تلك الآلهة أنّ اليونان لم يتوقفوا عند هذه الظاهرة وقفة متأنية ومن ثم لم يدركوا التكرار المذكور، وهذا دليل التخبط وعدم الاستقرار.

وقبل إيراد الأمثلة التى قدمها كلمنت على ذلك، أودّ أن اذكر أن كلمنت كان يتبع خُطا شيشرون (القرن الأول ق.م) فى محاولته تطويع، التفاصيل المتعلقة بالأساطير اليونانية ليبرهن بها على آرائه، وهذا واضح من دراسته "عن طبيعة الآلهة"[٢٢]. وقد قدّم كلمنت أمثلة كثيرة على ذلك منها أن ثلاثة أشخاص مختلفين

---

(١٩) Clement, op.cit., II. 23.

(٢٠) Ibid., II. 23.

(٢١) Ibid., II, 24.

(٢٢) Butterworth, op.cit., p. 57, Note (C). Apud. Cicro, *De natura*

حملوا اسم الإله زيوس[٢٣]، واحد فى أركاديا، وهو ابـــن أيثيـــروس (Αιθεροςς)، واثنان أخوان هما أبناء كرونوس أحدهما فى كريت والآخر فى أركاديـــا. وحملـــت خمس فتيات اسم أثينا[٢٤] هن ابنة هيفايستوس الأثينى، وابنة نيلوس المـــصرى[٢٥]، والثالثة ابنة كرونوس مكتشف الحرب، والرابعة ابنة زيوس وأعطى لها الميسينيون اسم كوريفازيا (Κορυφασια) بعد أمها.

وكلمنت يؤكد على أن حتى الأشخاص الذين يحملون أسماء آلهة هم أيضاً شخصيات فاسقة مثل تلك الابنة التى تسمت بأثينا[٢٦] والتى ذبحت أباها أوكيانوس، من أبناء بالاس، وهى جريمة بشعة لا يصح أن يرتكبها إنسان سوىّ فضلاً عن إله وهى تدل على مدى فسق تلك الشخصية التى سُميت على اسم أثينا ووحشيتها.

ومن الأمثلة التى يستشهد بها كلمنت على هذه النقطة أيضاً ما يخص الإله أبوللو، فقد ساق ما ورد عند أرسطو الذى عدّد أسماء من تسموا باسمه ومنهم أولاً: ابن هيفايستوس وأثينا، وابن كيرباس فى كريت، وابن زيوس، ورابعاً ابن سيلينوس وكان يُسمى بين الأركاديين باسم (نوميوس)، وأمثلة أخرى كثيرة ذكرها كلمنت[٢٧] وأوضح من من خلالها كذلك أن عدداً من الآلهة كانوا فى الحقيقة أشخاصـــاً مـــن البشر فهو يذكر — على سبيل المثال — ما ورد عند هوميروس عن هيـــراكليس إذ ذكر أن هيراكليس ما هو إلا إنسان وأشار له بأنـــه رجـــل فـــانٍ ووصـــفه بكلمـــة

Deorum. III. 53. 59.

(٢٣) Clement, op.cit., II. 24.

(٢٤) وهى أثينا آلهة حاكمة وابنة زيوس، راجع:
Guerber. H.A., op.cit., pp. 39-41.

(٢٥) وهى الإلهة التى عُبدت فى سايس فى مصر، والتى عرّفها اليونانيين بالإلهة أثينا:
Clement, op.cit., II. 24;
Butterworth, op.cit., p. 57, Note (d). c.f., Herodotus. II. 59, etc.

(٢٦) ذبحت هذه الابنة — التى تسمى على اسم أثينا — أباها وارتدت جلده وكأنه جزء.
Buterworth, op.cit., p. 58, Note (a).

(٢٧) Clement, op.cit., II. 24.

(φωτος)[٢٨]، التى يستخدمها الشعراء عادةً مثـل كلمـة (ανηρ) التـى تعنـى (رجل). وقد ذكر كلمنت ما ورد عند هوميروس فى وصفه لهيـراكليس بأوصـاف بشرية من حيث القامة، والعينين، والأنف، والشعر، وغير ذلك وهى كلها أوصـاف بشرية عادية لا تدل على أن صاحبها إله.

وفى هذا الصدد نجد ما ذكره كلمنت عن فيلوخـوروس (φιλοχορος) الذى قال إن تينوس (Τηνω) كان يُكرّم على أنه طبيب[٢٩].

وما ذكره كلمنت عن الآلهة واتصافهم بصفات بشرية ليس غريبـاً علـى الإغريق الذين كانوا يصفون آلهتهم بأوصاف بشرية لكن كلمنت قام هنا بتوظيـف المعلومة لصالحه بأن نبه إلى أن تلك الأوصاف تتنافى مع مفهوم الألوهية الحقيقى.

(ب) النقائص البشرية التى تتصف بها الآلهة الوثنية:

وهذا هو السبب الثانى من الأسباب التى يفند بها كلمنـت عبـادة الآلهـة الوثنية، ويمكن أن أقسم هذه النقائص إلى قسمين:

– أحدهما هو أن بعض الآلهة تتصف بصفات بشرية أخلاقية سيئة مثـل الهوائيـة والضعف:

ويدلل كلمنت على صحة ما يقول عن ضعف الآلهـة وعجـزهم بأمثلـة متنوعة[٣٠]، تدل على أن اليونانيين أساءوا فى اختيار آلهتهم، فهناك علـى سـبيل المثال، الإله أريس[٣١]، وعن هذا الإله ونقائصه يستشهد كلمنت بكلمات عـدد مـن

---

(٢٨) Clement, op.cit., II. 26، كانت كلمة (φωτος) يستعملها الشعراء عادة مثل (ανηρ) التى تعنى (رجل) راجع:
Liddle, & Scott, Greek-Lexicon, p. 878.

(٢٩) Clement, op.cit., II. 26.

(٣٠) Pierre. Jean Vernant, op.cit., p. 102, 103;
Hoffmann. R. Joseph, op.cit., p. 22.

(٣١) أريس هو إله الشر عند اليونان وعلى الرغم من قلة أتباعه فى بلاد اليونـان كـان معبوداً رئيساً بين المعبودات الرومانية. راجع:

الشعراء الذين وردت عندهم صفاته وهى صفات تتشابه وصفات البشر ومن هؤلاء الشعراء هوميروس الذى وصف أريس بأنه طـاعون الرجـال، وسـفاك الـدماء، ومُهاجم المدن، هذا بالإضافة إلى أنه لم يصدر منه أى فعل طيب ولم يكن محبوبـاً من أتباعه(٣٢)، كما ذكر هوميروس كذلك أنه كان مقيداً بالسلاسل لمدة ثلاثة عـشر شهراً.

حيث يقول: "هكذا كان نصيب أريس، عندما اختطفه أوتوس وأخيالتيس القوى أبناء ألويوس، وقيدا أطرافه فى أغلال قوية، ووضعوه فى زنزانة من النحاس لمدة ثلاثة عشر شهراً كان فيها أسيراً(٣٣)، وهذا الضعف صفة أخلاقية سيئة إذ لم يكن يملـك من أمر نفسه شيئاً بل يخطف ويؤسر دون أن يـستطيع أن يفعـل شـيئاً لـيخلص نفسه(٣٤)، وربما يرجع السبب فى استشهاد كلمنت بهوميروس إلى أن اليونان كـانوا ينظرون إلى ملحمتى هذا الشاعر نظرة إجلال ويعتقدون أن ما جاء بهمـا حقـائق تمثل تاريخ اليونان فعلاً. ومن هنا يضمن كلمنت أن سيكون لاستشهاداته الـصدى المطلوب.

كما استشهد كلمنت بما ذكره الشاعر إيبخارموس الأسبرطى عن صـفات هذا الإله وأنه إله هوائى (مُتقلب) وهى صفة بشرية سيئة، هذا بالإضافة إلـى أنـه حقود وعنيد، وهو ما يُبعده تماماً عن صفات الألوهية الحقيقية، ونلاحظ هنا تـشديد كلمنت على فكرة اتصاف الآلهة بصفات بشرية، وكيف أن هذه الصفات تتنافى مع

---

(٣٢) Guerber. H.A., op.cit., p. 116.
ولم يكن أريس مكروهاً من أتباعه فقط ولكنه كان أيضاً بغيضاً إلى الآلهة وعلى رأسهم زيوس وهيرا. راجع:
Graves, Robert, op.cit., Vol. I, p. 73.
Clement, op.cit., II, 24; Guerber. H.A., op.cit., p. 116.

(٣٣) Clement, op.cit., II. 25 وهو يعتمد على ما ورد فى الإلياذة فى هذا الصدد، Butterworth, op.cit., p. 60; Note(a). c.f. Homer; Iliad, V, 385-387.

(٣٤) Guerber: H.A., op.cit., p. 117.

المفهوم الحقيقى للألوهية.

وربما كان من المقبول أن نقول إن العقيدة اليونانية كانت تُصوّر الآلهة على شاكلة البشر، فلم تكن الآلهة اليونانية أسيرة هياكلها أو سماواتها أو مملكتها السفلى، بل كانت تحيا فى طرقات المدينة وفى بيوت الناس، ومع أخذ أحداث الحياة اليومية كلها فى الاعتبار؛ لقد كانت الآلهة ماثلة أمام الفرد اليونانى العادى فى مسالك حياته كلها[٣٥]، ولذلك كان اليونانى دائماً يمثل الآلهة على شاكلته ولا مانع عنده من أن تحمل تلك الآلهة بعض صفات البشر وأنْ يتشابه مجتمع الآلهة بصراعاته ونزاعاته إلى حد كبير مع مجتمع البشر فيما عدا اختلافين هما الخلود والقوى الخارقة التى تتميز بها تلك الآلهة، لكن هناك ــ على الجانب الآخر ــ حقيقة ينبغى أن ندخلها فى اعتبارنا وهى أن سكان الإمبراطورية الرومانية (بمن فيهم من اليونان) فى القرن الثانى الميلادى، كان عدد من عبادات الآلهة الشرقية ينتشر بينهم مثل إيزيس وسيرابيس وغيرهما[٣٦]، وهى آلهة ذات صفات مثالية لا تنحدر إلى الصفات البشرية المتدنية أحياناً. ومن ثم أصبحت هذه الصفات معروفة فى المجتمع المذكور.

وهناك مثال آخر على الآلهة التى تتصف بالصفات الأخلاقية السيئة هو الإله أبوللون، الذى كان من الآلهة المعروفة بين شعب الهيبربوريين[٣٧] الذين كانوا يقدمون له الأضحيات (القرابين) من الحمير و يُعرفونه بـ (الطفل حورس)[٣٨]،

---

(٣٥) حسين الشيخ: ديانات الأسرار، ص ٤٦.

(٣٦) Cary, and Scullard, op.cit., p. 483.

(٣٧) أبوللو هو إله الموسيقى والرياضة وغيرها من العلوم الأخرى، وكان من أهم الآلهة اليونانية.

راجع: Graves, Robert, op.cit., Vol. I, p. 82.
Guerber. H.A., op.cit., p. 44; Kerényi. C., op.cit., pp. 133-135.
Rose. H.J., Greek Mythology, London, 1945, pp. 134, 136.

(٣٨) وقد كان أبوللو يعرف عند شعب الهيبربوريين (Hyperboreans) على أنه "الطفل حورس" الذى حارب عمه ست وانتصر عليه ومن هنا بدأ المصريين

ويقدم كلمنت مثالاً آخر كدليل على سخرية الشعراء الوثنيين من آلهتهم وهـو مـا ورد عند الشاعر هوميروس فى إشارة عن الإله أبوللو حيث يذكر فى سـخرية أن "السكيثيين لم يتوقفوا عن تقديم الحمير (قرابين) لهذا الإله"(٣٩). وهو ما أشـار إليـه أبوللودوروس أيضاً، والشاعر كاليماخوس الذى قال فى أبياته إنه "فـى الأراضـى الشمالية تقدم قرابين من الحمير(٤٠)، عندما ظهر فويبوس لأول مرة".

وغير خافٍ غرض كلمنت من استشهاده بالشاعر كاليمـاخوس وهـو أن يوضح لليونانيين مدى سخرية شعرائهم من تلك الآلهة.

ويجدر بالذكر هنا أنّ كلمنت لم يتردّد فى نقده لصفات الآلهة الوثنية مهمـا كانت قيمتها لدى اليونان أو الرومان فعلى سبيل المثال كان أبوللو من الآلهة، التـى لها قيمة كبيرة عند اليونان والرومان على السواء، وعلى الـرغم مـن ذلـك فـإن كلمنت لم يذكر نبوءة الإله أبوللو فى دلفى(٤١) ومدى اهتمام الشعب اليونانى بها فقد كانوا يستشيرون نبوءة أبوللو فى أحوالهم كلها، حتى فى الناحية العـسكرية، كمـا يروى ثوكيديديس ــ وهو مؤرخ يونانى فى القرن الخـامس ق.م ــ عنـدما روى كيف لجأ الإسبرطيون عام ٤٣٢ ق.م إلى نبوءة أبوللو محاولين معرفة ما ستـسفر عنه حربهم مع الأثينيين بعد أن نقضوا معهم المعاهـدة(٤٢)، والأمـر نفـسه فعلـه

يحتفلون بهذا الإله (حورس) سنوياً بأن يقدموا قرباناً هو حمار وحشى كبير، ومـن هنا أصبح أبوللو الهيبربورى هو حورس اليونانى، ولأنه كان يُعـرف علـى أنـه حورس الطفل تمت عبادته على أنه الشمس، وقد ظهر ذلك فى كورنثا، وأصـبحت أخته أرتميس تُعرف بالقمر. راجع:

Graves, Robert, op.cit., Vol. I, pp. 80, 82.

(٣٩) Clement, op.cit., II. 25.

(٤٠) Ibid., op.cit., II. 25.

(٤١) وقد ظهر عند هوميروس فى الإلياذة أن الاسم الأول لنبوءة دلفى كان بيثو.

Parke, H.W., op.cit., p. 16.

(٤٢) Buxton, Richard, *Oxford Reading in Greek Religion Oxford University*, 2000, p. 88; Price, Simon, op.cit., p. 75.

الرومان كذلك حين لجأوا إلى استشارة نبوءة دلفى فى المجال الحربى بعـد تـوالى الكوارث فى الحرب البونية الثانية والتى قادت إلـى معركـة كانـاى، وأرسـلوا كوينتوس فابيوس بيكتور إلى دلفى لكى يسأل عن قربان خاص يمكن أن يُقدم للإلـه أبوللو لكى يمنحه النصر على القرطاجيين(٤٣)، وهو ما يدل على مكانة هذا الإلـه بين اليونان، وكذلك الرومان، وأنه لم يكن رمزاً للسخرية عندهم.

وهناك مثال آخر أورده كلمنت للآلهة التى تتصف بنقائص بشرية، وفـى هذا المثال يتحدث كلمنت(٤٤) عن إسكليبيوس الذى كان يتصف بصفات حميدة فهـو إله الطب الذى يشفى البشر الفانين حتى إنه كان يعيدهم — فى بعـض الأحيـان — مرة أخرى إلى الحياة(٤٥) لدرجة أن هاديس إله العالم السفلى شكا إلى كبير الآلهـة زيوس من أن إسكليبيوس يعيد الحياة للموتى وبذلك يتعدى حـدوده ويـأتى علـى حقوق هاديس ويسرق رعاياه ويسلبه سلطانه ونفوذه وإن استمر إسـكليبيوس فـى ذلك فسوف تصبح مملكة الموتى خالية(٤٦)، إذ كانت لهذا الإله معجزات كثيرة فـى شفاء المرضى(٤٧).

وقد كان إسكليبيوس مغرماً بالمال لدرجة كبيرة حيث اتهمه هاديس وبأنـه يتقاضى رشاوى ضخمة فى صورة كميات من الذهب الخالص لكى يعيـد الحيـاة للموتى(٤٨)، وهذه إحدى النقائص التى يتصف بها البشر ويجـب أن يترفـع عنهـا الآلهة.

ويستشهد كلمنت فى ذلك بما ورد عند الشاعر يوريبيديس الذى أشار إلـى

---

(٤٣) Parke, H.W., op.cit., pp. 130, 131.

(٤٤) إسكليبيوس هو إله الطب عند اليونانيين وكانت له شهرة كبيرة، راجع: عبد المعطى شعراوى، المرجع نفسه، ص ٤٥٣ وما بعدها.

(٤٥) Kerényi. C., *The Gods of The Greeks*, p. 143.

(٤٦) Rose. H.J., *Greek Mythology*, p. 160, n. 13.

(٤٧) Kerényi. C., op.cit., p. 144; Price, Simon, op.cit., p. 109.

(٤٨) Rose, op.cit., p. 160, n. 13.

الإله زيوس الذى ذبح إسكليبيوس بصاعقته(٤٩) وقتله عندما اكتشف أنه يستطيع أن يشفى الموتى لمعرفته بالطب(٥٠)، وهذا إن دلّ على شئ فإنما يدل على الأحقاد التى كانت بين الآلهة؛ فالإله زيوس عندما اكتشف أن هناك أحد الآلهة لديه قدرة فائقة على شفاء المرضى وإحياء الموتى تخلص منه حتى تظل له السيطرة الكاملة على البشر ويظل هو كبير الآلهة الذى يتحكم فى حياة البشر وموتهم.

واستغل كلمنت هذه المعلومات التى عرضها عن الآلهة اليونانية واتصافها بصفات بشرية أخلاقية أو جسدية ليشير — من خلال الأمثلة التى قدمها — إلى أن هذه الصفات تتنافى مع مفهوم الألوهية الحقيقى.

أما النوع الثانى من النقائص البشرية الذى رصده كلمنت فى آلهة الوثنيين فهو النقائص الجسدية، وقد أشار إلى أن:

بعض الآلهة تتصف بمعوقات جسدية:

ومن هؤلاء الإله هيفايستوس ذلك الذى منعه زيوس من الدخول إلى مجمع الآلهة فى جبل الأوليمبوس(٥١)، وقذف به من أعلى الجبل فنزل إلى الأرض فى ليمنوس وعمل حداداً(٥٢) لأنه أصبح مشوّهاً أعرج فى كلتا قدميه، مما لا يسمح له

---

(٤٩) Graves, Robert, op.cit., Vol. I, p. 79; Clement, op.cit., II 25; Kerenyi. C., op.cit., p. 143.

(٥٠) عبد المعطى شعراوى: أساطير إغريقية، الجزء الثانى، ص ٤٦٣.

(٥١) وبعد طرد هيفايستوس من جبل الأوليمبوس وعلى الرغم من أنه أُسقط من فوق هذا الجبل إلا أنه لم يتعرض لأذى لأنه سقط فى البحر وأنقذته ثيتيس ويورينوس حيث ظل معهما فى كهف تحت الماء وبدأ يعمل بالحدادة.

راجع: Kerényi, C., op.cit., p. 155.
Graves, Robert, op.cit., Vol. I, p. 87;
Rose, H.J., op.cit., p. 166.

(٥٢) عبد المعطى شعراوى: أساطير إغريقية، الجزء الثانى، ص ٤٦٣.
Graves, Robert, op.cit., Vol. I, p. 87;
Pinsent, John, *Greek Mythology*, U.S.A, 1973, p. 37.

بالمشى بسهولـــة[٥٣]. ولذلك كان يقوم بالعمل الذى كان يُترك للمشوّهين الـــذين لا يستطيعون القيام بواجبهم الأول كمواطنين وهو الدفاع عن المدينة أو نشر ســلطانها على غيرها فى ميدان القتال .

بالإضافة إلى أمثلة مختلفة ضربها كلمنت مدللاً على أن تلك الآلهة الوثنية المزعومة ليست قوية كما يتخيل عبادها بل هى ضعيفة لا تملك لنفــسها ــ فــضلاً عن غيرها ــ نفعاً ولا ضراً[٥٤].

ثم انتقل كلمنت بعد ذلك إلى السبب الثالث الذى قدمه ليفند به عبادات الآلهة الوثنية وهو:

(جـ) عجز الآلهة عن ضبط أنفسهم أو الشهوات غير المحدودة للآلهة والآلهات:

ويستمر كلمنت ــ فى هذه النقطة ــ فى التأكيد علـــى الـــصفات التـــى لا تتناسب مع الألوهية عند آلهة الوثنيين، ويشير إلى أن الآلهة لا تتشابه مـــع البـــشر من الناحية المادية وحسب وإنما من الناحية الأخلاقية كذلك إذ لا تستطيع أن تضبط نفسها ولا أن تتحكم فى انفعالاتها، وآلامها وفرحها وضيقها ونوازعها[٥٥].

كما كانت تصرفات تلك الآلهة تتصف بالتناقض والتضارب فيمـــا بينهـــا، ويقدم كلمنت لهذا عدداً من الأمثلة لتلك الآلهة التى تتسم بالشهوانية والفسق، اللـــذين لا حدود لهما وعلى رأس هؤلاء بوسيدون[٥٦]، وهنا يشير كلمنت إلـــى مـــا فعلـــه بوسيدون حيث أفسد الفتيات مـــن أتباعـــه كأمفيتريـــت[٥٧]، وأميمـــون، وألـــوبين، وميلانيبين، وألكيونيس، وغيرهن من اللاتى أتبعن بوسيدون فى لهوه وعبثه، وهـــذا

---

(٥٣) Kerényi. C., op.cit., p. 155.

(٥٤) Clement, op.cit., II, 27.

(٥٥) Clement, op.cit., II, 27.

(٥٦) Kerényi, C., op.cit., p. 182.

(٥٧) اسم أمفيتريت يعنى "البحر" وأننا نجد ذلك فى الشعر الهوميرى، لكنها لم تُعرف فيه على أنها زوجة بوسيدون. راجع:
Clement, op.cit., II, 27.

إن دلّ على شئ فإنما يدل على مدى الشهوانية التى يتصف بها، كما أن مـن أهـم طقوس عبادته السرية ممارسة الأعمال الشهوانية والسكر والعربـدة، وهـو مـا لا يجب أن تتصف به طقوس عبادة الإله الحقيقى. أما فى حالات غضبه فيـصبح ـ كما يقول كلمنت ـ قوة مدمرة ولا يهتم بمن أتبعه أو من يعبده[٥٨]. وهذا يدل علـى التطرف فى حياة الآلهة؛ فهذا الإله على سبيل المثال إما يكون فى غاية الـشهوانية أو فى غاية العنف والقوة أى أنه لا يتسم بالاعتدال والتوازن اللذين يجب أن يتوفرا فى الإله الحقيقى. ولعل الذى دفع كلمنت إلى ذكر هذه الأمثلة المختلفة على عجـز آلهة الوثنيين عن ضبط أنفسها هو أنه فى الوقت الذى تحدث فيه كلمنـت (القـرن الثانى الميلادى) كانت بلاد الإغريق وروما قد عرفت شيئاً عن المـذهب الفلـسفى الرواقى الذى يقوم ـ فى أحد محاوره الأساسية ـ على ضبط النفس والتحكم فيهـا هذا بالطبع بالنسبة للبشر، فما بالك بالآلهة التى يفترض أنها أعلى من البشر؟

وهناك مثال آخر يقدمه كلمنت على الآلهة التى تتـصف بالـشهوانية هـو زيوس[٥٩] الذى يُعد كبيراً للآلهة ومع ذلك كان يتصف بشهوة لا حدود لها ويتعجب كلمنت من هذا الإله الذى يعدونه أباً للآلهة والبشر وعلى الرغم من ذلـك "استـسلم تماماً للشهوة الجنسية فأية امرأة تثير رغبته تصبح ضحيته". ويعلق كلمنـت علـى تلك الصفات التى لا تتفق مع الألوهية الحقيقية؛ فالإله الذى لا يـستطيع أن يكبـت رغباته يتفق وأى حيوان آخر، ويقول متعجباً: "يا للانحدار والتهور الذى وصل لـه زيوس العظيم عندما قضى ليالى كثيرة فى متعة مع ألكمينى"[٦٠].

وليس فقط الآلهة هم الذى يتصفون بالشهوانية بل أنصاف الآلهـة كـذلك

---

(٥٨) Clement, op.cit., II, 27.

(٥٩) زيوس عندهم هو ملك الآلهة حاكم العالم فهو إله السماء وإلـه العدالـة والـسلام، وهناك إشارات وردت عند بعض الكتّاب بأنه حتى القضاء والقـدر كـانوا تحـت سيطرة هذا الإله.

راجع: Guerber, H.A., op.cit., p. 27... ff; Pinsent, John, op.cit., p. 29.

(٦٠) Clement, op.cit., II. 28.

فهيراكليس[٦١]مثال آخر لأنصاف الآلهة التى تتصف بشهوتها غير المحدودة حيث يذكر كلمنت أنه — فى ليلة واحدة — أفسد خمسين ابنة من بنات ثيستيوس العذارى ولهذا أطلق عليه الشعراء اسم "المنبوذ" (الملعون) "σχετλιον" و "مرتكب الأعمال الشريرة" "αισυλοεργον"، وذلك لما قام به من أعمال تتعارض وسمت الآلهة، ولكن كلمنت عندما ذكر هذه الصفة السيئة عند هيراكليس لم يذكر إلى جانبها الأعمال التى قام بها من أجل مساعدة البشر حين كان يواجه المخاطر الشديدة ومؤامرات زوجة أبيه هيرا ويتخطى العقبات التى تضعها دائماً فى طريقه وذلك فى سبيل مساعدة هؤلاء البشر الضعفاء وتقديم يد العون لهم.

ويستكمل كلمنت الأمثلة التى يقدمها على الشهوانية التى تتسم بها الآلهة، لكنه فى هذه المرة يقدم أمثلة على الإلهات ويستدل بما ورد عند هوميروس الذى ذكر أن الإلهات تذوب خجلاً من الآلهة أفروديتى التى اتصفت بالفسق والشهوانية، كما يذكر كلمنت تلك القصة التى تروى عن المنافسة التى دخلت فيها أفروديتى مع الإلهات الأخريات "ذوات الأعين الواسعة"[٦٢] من أجل تفاحة حيث تجردت الإلهات من ملابسهن وجئن عاريات إلى راعى الغنم[٦٣] يحكم أيهن الأجمل، وهناك أمثلة أخرى وردت عند هوميروس مثل ما حدث بين أيوس وتيثونوس، وسيلينى وأنيديميوس، ونيريس وأياكو، وديميتر وأياسيون، وبيرسيفونى مع أدونيس[٦٤].

ولننتقل الآن إلى السبب التالى الذى فند به كلمنت عبادة الآلهة الوثنية وهو:

---

(٦١) هيراكليس كان أحد أنصاف الآلهة والأبطال المؤلهين عند اليونان.
راجع: Guerber. H.A., op.cit., p. 188.

(٦٢) ومثال ذلك الإلهة هيرا، التى يعنى سامها حرفياً "أعين البقر".
Butterworth, op.cit., p. 70, Note (a).

(٦٣) وهذا الراعى هو باريس بن بريام الطروادى، وقد حكم بأن الآلهة أفروديتى أجمل من هيرا وأثينا.
Butterworth, op.cit., p. 70, Note (B).

(٦٤) وهناك أمثلة أخرى وردت عند كلمنت. راجع: Clement, op.cit., II. 28.

(د) الاجتماع والاحتفال بشخصيات فانية:

يرى كلمنت أن ما يقيمه اليونانيون من ألعاب رياضية واحتفـالات علـى شرف الآلهة طلباً لرضاها لا قيمة له، لأن تلك الألعاب والاحتفـالات تقـام علـى شرف شخصيات فانية.

ويضرب مثالاً على تلك الاحتفالات غير ذات القيمة بالألعـاب البيثيـة[٦٥] التى ترجع إلى الثعبان (οπυθων) وكان الحفل الذى يتم على شرف ذلك الثعبـان يسمى بيثيا (πυθια) أو الألعاب البيثية وكانت هذه الاحتفالات تقام كـل أربعـة أعوام[٦٦]، ومن بين الممارسات التى تتم فى هذا الحفل وتدل على طبيعته مـسابقة فى العزف على الفلوت[٦٧]. ولكن على الرغم من إشارة كلمنت إلى أن الاحتفـالات والاجتماعات كلها التى يقيمها اليونانيون على شرف ذلك الثعبان لا قيمة لها فى حدّ ذاتها إلا أن اليونانيين كانوا يلجأون إلى هذه الحية للتنبؤ بأشياء خاصة بهـم سـواء أكانت سياسية أم غير ذلك، ويظهر كذلك مدى تحكم تلك النبوءة ومدى قوتهـا فـى مساعدة الدولة على القيام بحرب أو منعها من خوض هذه الحرب[٦٨].

وهناك مثال آخر هو الألعاب الإيسثمية وهى تقام فى إيسثموس كل عـامين وفيها تُلقى جثة فى البحر، حداداً يخيب على ميليكرتيس. ومثال ثالث هـو الألعـاب النيمية، التى تقام كل عامين أيضاً[٦٩] على قبر الطفل أرخيموروس الذى دُفن هنـاك. وأشار كلمنت إلى أن تلك الاحتفالات التى يقيمها اليونانيون معتقدين أنهم يقيمونها على شرف آلهة إنما هى احتفالات تُقام على قبور أمواتٍ، هذا بالإضافة إلى أمثلة أخـرى كثيرة مثل الاحتفالات الأوليمبية التى كانت تُسكب فيها الخمور[٧٠]، وتقام المـسابقات

(٦٥) قديماً كانت تلك الألعاب تعرف باسم (ستيبتيريا) (Stepteria). راجع:
Rose, H.J., op.cit., p. 137.

(٦٦) Price, Simon, op.cit., p. 26.

(٦٧) Rose. H.J., op.cit., p. 137.

(٦٨) Buxton. Richard, op.cit., pp. 96, 98.

(٦٩) Price, Simon, op.cit., p. 26.

(٧٠) Clement, op.cit., II. 29.

فى الألعاب المختلفة وتوزع فيها الجوائز على ذلك، وهى كلها احتفالات تقام — فى رأى كلمنت — على شرف موتى، وتدل على عدم تعقل اليونانيين فى إقامة احتفالاتهم.

ومن الاحتفالات التى يقيمها اليونانيون للآلهة والتى ينتقدها كلمنت كذلك الاحتفال بعضو الذكورة (οι φαλλοι)، ضمن الاحتفالات المخصصة لديونيسوس وتحيى قصة عضو الذكورة التى وردت فى أسطورة ديونيسوس عندما نزل إلى هاديس والتى ترد فيها الإشارة إلى شهوانية ديونيسوس مع بروسومنوس، وقد أشار كلمنت إلى أن تلك العبادة انتشرت فى العالم اليونانى بشكل كبير حتى إن عدداً من التماثيل كانت تقام لعضو الذكورة (φαλλος) فى المدن اليونانية[٧١].

وقد استشهد كلمنت على صحة ما يقول بما ورد عند هيراكليتوس، وينوّه إلى أن اليونان أنفسهم كانوا يعرفون أنّ هذا شيئ مخجل، وذلك حين يقول: "لو لم يكن هذا الموكب المهيب وهذه الأغانى المتصلة بعضو الذكورة، من أجل ديونيسوس لكان تصرف اليونان مخجلاً إلى حد كبير"[٧٢]؛ نحن نعرف الآن أن مثل هذه الاحتفالات كانت مخجلة ومشينة، لكن الرجل العادى أو المثقف آنذاك أو حتى كلمنت ذاته لم يكن يعرف ذلك ومن ثم فقد كان يعالج الموضوع من منظور آخر مناسب لمستوى المعرفة فى عصره، هو مقتنع به ويريد إقناع الآخرين به.

كما أن القصص التى ربط بينها وبين أصل أعياد الآلهة التى تحدث عنها، ربما كانت حقيقية أو نصف حقيقية أو حتى أسطورية بشكل كامل، ولكن لابد أنها كانت شائعة إلى حدّ ما، كبير أو صغير، وإلاّ لما جرؤ كلمنت على ذكرها، وإلاّ كذّبه المستمعون لحديثه. هذا إلى أن هؤلاء المستمعين — من ناحية أخرى — كانوا يعتقدون فى مثل هذه الأقوال بغضّ النظر عن نصيبها من الصحّة أو الحقيقة.

---

(٧١) Ibid, II. 30.

(٧٢) Ibid., II. 30.

(هـ) خضوع بعض الآلهة للعبودية:

انتقل بعد ذلك إلى السبب التالى لتفنيد عبادات الآلهة.

وفيه يرى كلمنت أنّه ليس من الغريب أن يكون هؤلاء الآلهة عبيداً حقيقة بعد أن كانوا عبيداً لشهواتهم، وانفعالاتهم ومن الأمثلة التى قدّمها كلمنت على ذلك صنيع الإله أبوللو وهيراكليس — الذى كانوا يعدونه نصف إله —(٧٣) وبوسيدون.

وإذا بدأت بالإله أبوللو نجد أن كلمنت قد ذكر عنه أنه انحنى واضعاً رقبته بنفسه تحت نير العبودية لأدميتوس فى فيراى، وهيراكليس الذى كان عبداً لأومفاليس(٧٤) فى سارديس وبوسيدون وأبوللو اللذين كانا عبدين يفلحان الأرض عند لاومبدون شأنهما شأن أى عبد لا قيمة له، حتى إنهما لم يستطيعا أن يحصلا على حريتهما(٧٥)، كذلك لم تتوقف العبودية على الآلهة الرجال بل طالت الإلهات كذلك وهناك أمثلة على ذلك، منها أثينا وأفروديتى اللتان كانتا تتصرفان كالاماء وقد ورد ذلك عند هوميروس الذى ذكر عن أثينا أنها أضاءت الطريق لأوديسيوس "ممسكة بمشعل ذهبى فى يدها"(٧٦). وأفروديتى التى كانت تتصرف كامرأة خليعة وقحة وكانت بمثابة الخادم عند هيلينى وما كانت تقوم به من أعمال طبقاً لهذه الصفة(٧٧).

والغرض من إشارة كلمنت إلى هذه القصص أن يقول إن هؤلاء الآلهة الذين وقعوا تحت نير العبودية فى وقت من الأوقات، لا تنطبق عليهم صفة الألوهية الحقة، فالإله الحقيقى لا يمكن أن يصبح عبداً أو أن ينزل من منزلة الألوهية لخدمة بشر فانٍ لأن هذا معناه خضوع إرادته لإرادة البشر، وبالتالى يصل

---

(٧٣) Guerber. H.A., op.cit., p. 188.

(٧٤) وعن قصة هيراكليس مع أومفاليس ملكة ليبيا، راجع:
Guerber. H.A., op.cit., p. 201.

(٧٥) Clement, op.cit., II. 30.

(٧٦) Ibid., II. 30.

(٧٧) Graves, Robert, op.cit., Vol. I, pp. 69-70.

كلمنت إلى هدفه الأكبر وهو إثبات خطأ تلك العبادات، ولم تكن هذه هـى الأمثلـة كلها التى ساقها كلمنت بل هناك أمثلة أخرى؛ يقـول كلمنـت: "ديميتـر تحملـت العبودية، وهيفايستوس، وبوسيدون، وأبوللو، تلك الآلهـة احتملـت العبوديـة، وأن يصبحوا عبيداً لبشر فانين، مثل أريس القـوى، الـذى كـان سـيّده يـشدد عليـه الخناق"[٧٨].

من الأسباب التى يفند بها كلمنت عبادات الآلهة كذلك أن:

(و) الآلهة لها شعور واحتياجات مثل البشر:

ومن أهم الأسباب التى قدمها كلمنت لتفنيد عبادة الآلهـة أن الآلهـة عنـد الوثنيين ذات مشاعر واحتياجات مثل البشر، واستشهد بما ذكره هـوميروس عـن أفروديتى وكيف أنها كانت تطلق صراخاً عالياً حاداً بسبب جرحهـا[٧٩]. وهـاديس الذى أصابه سهم من هيراكليس، وكذلك بوليمون الذى ذكر عن أثينا أنها جُرحـت بواسطة أرنتيوس. وقد استشهد كلمنت كـذلك بمـا ورد عنـد يوسـيبيوس عـن هيراكليس الذى أصابه أبناء هيبوكون فى يده والغرض من وراء استشهاد كلمنـت بما ورد عند هؤلاء الكتّاب والشعراء عن تلك الآلهة التى تتعرض للأذى وتُجـرح وتُنزف دماً وتصرخ من الآلام التى تتعرض لها أن يوضح أن هؤلاء الآلهـة ذوو شعور مثل البشر، وما دام هؤلاء الآلهة يُجرحون فلابد أن لهم دماء، وقد استـشهد كلمنت على ذلك بما ذكره الشعراء عن كلمة (إيخور) التى تعنى تعفـن الـدم[٨٠]، وهذا يعنى أن هناك تشابهاً واضحاً بين الآلهة والبـشر عنـد الـوثنيين وأن مـن يتعرض للجرح يمكن أن يتعرض للموت أيضاً، وبذلك تنفى عنهم صفة الخلود.

وهناك مثال آخر على مدى احتياج الآلهة هو زيوس نفسه كبيـر الآلهـة

---

(٧٨) Clement, op.cit., II. 30.

(٧٩) Butterworth, op.cit., p. 75, Note (e). c.f. Homer. Iliad. V. 343.

(٨٠) الايخور (ιχωρες) (ιχωρ)، هو الدم الذى ينساب فى عروق الآلهة.
Clement, op.cit., III, 37;
Liddle & Scott, Greek Lexicon, p. 386.

الذى كان يشارك الأثيوبيين موائدهم ويتغذى على اللحم البشرى، وهو ما يدعو للعجب فكيف يعبد اليونانيون هذا الإله مع أن تصرفاته لا تنطبق بأية حال من الأحوال مع طبيعة الألوهية الحقة وليس هذا فقط بل كان زيوس عندهم يتخذ لنفسه أشكالاً كثيرة؛ ففى بعض الأحيان كان يتخذ شكل إوزة ومرة أخرى شكل نسر وأحياناً شكل عقاب، والمهم أو الذى نخرج به من هذا ليس الأشكال التى يتخذها وإنما أنه كان يتخذ شكل طيور فانية وهذا يدل على أنه فانٍ وليس إله، فكيف يُعبد ما هو فانٍ؟

(ن) شهادة الكتّاب الإغريق ضد آلهتهم:

وأخيراً يصل كلمنت إلى دليله الأخير القوى على صحة رأيه بالحكم على زيف تلك العبادات الوثنية ووجوب الابتعاد عنها وعدم ممارستها وهو شهادة الكتّاب الإغريق أنفسهم ضد آلهتهم.

وهؤلاء الكتّاب مصدر موثوق به عند اليونانيين، ومنهم على سبيل المثال ستافيلوس (Ξταφυλος)، وفانوكليس (Φανοκλης) الذى ذكر فى كتابه "الحب" (Ερωσιν) أو "الشباب الجميل" "Καλοις" أن أجاممنون (Αγαμ εμνονα) ملك الآخيين أقام معبداً لأفروديتى ينوس (Αφροδιτης Αργυννω) على شرف أرجينوس الذى أحبه[81]. كما يذكر كلمنت كذلك الأركاديين الذين عبدوا أرتميس المسماة بالإلهة والتى شنقت (Απαγχομενην)، وسوسيبيوس (Σωσιβιος)، وبوليمون (Πολεμων) الذى ذكر أن هناك تمثالاً يُعرف باسم "أبوللو ستائب" (κεχηνοτος Απολλωνος) وهناك تمثال آخر لأبوللو الشهوانى (Οψοφαγου) يُعبد فى إيليس (Ηλιδι)، كما أن الإيليانيين يضحون ويذبحون القرابين لزيوس "الواقى من الحشرات الطائرة" " Απομυιω Διιθυουσιν Ηλειοι". كما عبد الأرجيون.

---

(٨١) Clement, op.cit., II. 32.

أفروديتـــــــى "ســــــــارقة القبـــــــور" (Αφροδιτην Τυμβω ρυχον (θρησκευουσιν) وعبــــــد الإســـــبرطيون "أرتمـــــيس خيليتـــــــيس" (Χελυτιδα δε Αρτεμιν) أو "أرتميس ذات السعال"[٨٢].

ويريد كلمنت أن يقول من وراء ضربه لهذه الأمثلـــة إنـــه حتـــى كتّـــاب الإغريق كانوا يسخرون من تلك الآلهة وينتقدونها والسبب فى ذلك أنها على شاكلة البشر وتتّسم بالمواصفات البشرية المادية كلها، كما أنها معّرضة للنقائص البـــشرية الأخلاقية المختلفة، لكن مهارة كلمنت هنا تظهر فى إظهاره الآلهة بـــصفاتها التـــى تتنافى ومفهوم الألوهية الحقيقى، وقد ظهر ذلك عند كلمنت فى أمثلة أخـــرى مثـــل الإله آريس الذى لم يستطع أن ينقذ نفسه من الأسر وإسكليبيوس الذى كان مغرمـــاً بالمال، وعلى الرغم من أن كلمنت كان محقاً فى بعض الأحيان بشأن ما يذكره عن تلك الآلهة إلا أن مما يؤخذ عليه أنه كان متحيزاً للدين الجديد الذى كان يـــدعو لـــه (المسيحية).

وبعد أن انتهى كلمنت من تقديم الأسباب التى يفند بها عبادات الآلهة، أشار إلى أن اليونانيين والمصريين كانوا يعبدون الحيوانات ولكنـــه لـــم يهـــتم بعبـــادتهم للحيوانات — فهذه مسألة لا تهمه كثيراً فى دعوتـــه لأن عبـــادة الحيوانـــات عنـــد اليونانيين أو غيرهم لا تنافس المسيحية بأى حال من الأحوال — لكـــن مـــا أراد أن يوضـــحه هنـــا هـــو أنّـــه حتـــى الحيوانـــات غيـــر العاقلـــة (Τα αλογα Των ζωων)[٨٣] أفضل من الآلهة اليونانية لأنها غير شهوانية ولا تخرج عـــن طبيعتها فى سبيل الحصول على المتعة الجسدية[٨٤].

ويقدم كلمنت أمثلة على ما يقوله عن عبادة كل من اليونانيين والمـــصريين للحيوانات فيذكر أن المصريين مثلاً يختارون بعـــض الحيوانـــات ليرمـــزوا بهـــا

---

(٨٢) Ibid., I. 33.

(٨٣) Ibid., II. 33.

(٨٤) Ibid., II. 33.

لآلهتهم، مثل سكان أوكسيرنخوس الذين كانوا يعبدون السمكة التي تحمل اسم بلدهم[٨٥] وهكذا. وقد اعتقد المصريون أن هذه الحيوانات تحتوي شيئاً إلهياً بمعنى أنه إذا أراد أحد الآلهة أن يجسد نفسه للبشر فإنه يختار حيوان يرمز بعض صفاته إلى ما لهذا الإله من صفات، كما أنهم اعتقدوا أن لهذه الآلهة مشاعر مثل مشاعر البشر فمثلوها بأجسام آدمية[٨٦]. وهذا إن دلّ على شئ فإنما يدل على مدى حب المصريين واحترامهم لتلك الآلهة على العكس من الآلهة اليونانية التي توصم بالأعمال المشينة والتى تظهر عادةً بمظهر لا يليق بآلهة. وهذه نقطة يتفوق فيها المصريون على اليونانيين الذين كانوا يظنون أنهم أعلى رتبة من المصريين.

وفى مقابل ذلك يقدم كلمنت أمثلة على عبادة اليونانيين للحيوانات، فيذكر أن الثيساليين يقدسون طائر اللقلق، وهذا يرجع إلى عادة قديمة، كما أن الطيبيين كانوا يُكرمون ابن عُرس بسبب مولد هيراكليس[٨٧].

كما أن الثيساليين قرروا أن يعبدوا النمل لأنهم سمعوا أن زيوس وهو على صورة نملة خالط يوريميدوسا ابنة كليتور فأنجبا مرميدون[٨٨].

وهكذا عرض كلمنت عبادة اليونان للحيوانات، وقارن بينها وبين عبادة المصريين لها، على الرغم من أن تلك العبادة لا تؤثر على دعوته للمسيحية فى شئ؛ إلا أنه أراد أن يقول لليونانيين إنه حتى عبادة المصريين للحيوانات أفضل من عبادتهم لآلهتهم.

---

(٨٥) Ibid, II. 34.

(٨٦) حسين الشيخ: ديانات الأسرار، ص ٢٨.

(٨٧) Clement, op.cit., II. 34.

(٨٨) Ibid., II. 34.

٣ـ وبذلك أصل إلى النقطة الأخيرة فى هذا الموضوع وهى التى يناقش فيها كلمنت مكانة الآلهة اليونانية وهل هى شياطين (أرواح حارسة) أو معبودات من الدرجة الثانية؟

وهنا يفترض كلمنت أن الآلهة اليونانية معبودات من الدرجة الثانية، طالما أنها ليست ذات صفات إلهية حقيقية فربما كانت أرواحاً حارسة أو شياطين δαιμωνες ينبغى أن تعدّ ضمن الدرجة الثانية من الآلهة كما يقول اليونان، ويستشهد على ذلك بما قاله هسيود ضد عبادة الأرواح الحارسة (الشياطين) حيث قال:

"إن هناك أرواحاً حارسة خالدة بلا عدد تحرس البشر الفانين"[٨٩] كما استشهد بهوميروس الذى وصف الآلهة أثينا نفسها وقرنائها من المعبودات بأنهم شياطين، ويرى كلمنت أن هذه الأرواح الحارسة أو الشياطين غير طاهرة تسكن الأضرحة والمقابر، ويقول فى ذلك "كيف إذن يمكن للأشباح والشياطين أن تكون آلهة، فى حين أنها فى الحقيقة أرواح غير طاهرة وكريهة؟ وقد سلّم الناس جميعاً بأنها دنسة، وأرضية فهى تنزل إلى الأرض، "وتطوف حول الأضرحة والقبور".

"περι τους και τα Μνημεια Καλινδουμενα, "

حيث تظهر بغير وضوح "كطيف الأشباح" "σκιοειδη φαντασ ματα " وقد وردت هاتان الكلمتان عند أفلاطون فى محاورته (فايدو)[٩٠]، وذلك

---

(٨٩) Ibid, II. 35.

وردت كلمة شياطين (أرواح حارسة) (δαιμωνες) فى محاورة كراتيلوس لأفلاطون (Plato. Cratylus, 397)، عندما أشار سقراط إلى استخدام هسيود لكلمة شياطين فى كتابه الأعمال والأيام

Butterworth, op.cit., p. 88 note (a), c.f. Hesiod, Works and days, 252-253.

حيث ذكر "أن هناك أرواحاً حارسة خالدة، تقى من الأمراض، وتحرس البشر الفانين".

(٩٠) Plato, Phaedo, 81, C, D.

عندما كان يتحدث عن الأرواح الشريرة أى أرواح البشر الذين يرتكبـون الـشر، وقال بأنها تكون أرواحاً دنسة، لأنها لا ترتفع إلى السماء بل تظل قريباً من الأرض حيث تطوف حول الأضرحة والقبور، وتظهر بشكل غير واضح بين حين وآخر.

وهكذا استطاع كلمنت أن يثبت أن تلك الآلهة ما هـى إلا معبـودات مـن الدرجة الثانية لا تستطيع أن تقدم شيئاً لمتبعيها بل إنها فى الحقيقة قصدت إفنـاءهم وتدميرهم وخداعهم عن طريق التضحيات والقرابين التى تقـدم ودخـان البخـور ودماء الأضحيات وهو ما لا يختلف كثيراً عن عبادة الحيوانات عنـد المـصريين، وهذا فى الحالتين كلتيهما يعد إلحاداً[٩١]. هذا بالإضافة إلى أن تلـك الآلهـة تكـره البشر، وتبتهج بذبحهم ولا يكفيها أن تجعل البشر يفعلون أشياء مخجلـة لا يقرهـا العقل وهى آلهة دموية توّاقة دوماً لمشهد الدماء التى تسيل من الأضحيات البشرية، ومن الأمثلة على ذلك أريستومينيس الميسينى الذى ذبـح ثلاثمائـة رجـل قربانـاً لزيوس إيثومى، وكان هؤلاء الوثنيون يعتقدون أنه كلمـا زادت التـضحيات زادت مساعدات الآلهة لهم، وهذا وهم كله، لأن الإله الحق لا يرضى بالتضحية بالبـشر، وكان من الواجب على تلك الآلهة المزعومة أن تحافظ على البشر وتحمـيهم لا أن تطالب بالتضحية بهم من أجلها، وقد ظهر ذلك فى إحدى مسرحيات يوريبيـدس[٩٢] حيث مثّل التضحية التى قام بها التاوريون عندما غرقت سـفينتهم، فـضحوا إلـى

(٩١) ولكى نفهم وجهة نظر كلمنت للشياطين (الأرواح الحارسة) حق الفهـم يجـب أن نتذكر أن أفضل المعلمين اليونانيين فى عصره مثل بلوتارخ وماكسيموس استخدموا نظرية "المعبودات الثانوية" وسيلة لحفظ التوحيد الخاص بهم دون أن يخرجوا عـن نطاق الأساطير الشعبية (العامة)، لكن كلمنت يهاجم هذا الوضع من جهة أخلاقيـة (أدبية)، والأساطير والتضحية بالحيوانات وقد أثبت أن هذه المعبودات كلها سواء ما يُسمى منها آلهة، أو أنصاف آلهة، أو أى شئ آخر كائنات شـريرة بطبيعتهـا، ولا فرق بين رئيسها زيوس والشيطان.

Butterworth, op.cit., p. 90-91, Note (a).

(٩٢) راجع: Butterworth, op.cit., p. 92, Note (a); c.f. Herodotos. IV. 103.

وقد ظهر ذلك عند يوريبيديس فى مسرحيته إيفيجينيا بين التاوريين.

أرتميس تاوريك بمجموعة من الغرباء كانوا قد أسروهم. ويستشهد كلمنت هنا بمسرحية يوريبيدس ليوضح أن الكتّاب المسرحيين اليونانيين أدركوا ثم أظهروا كذلك عدم قيمة تلك التضحيات التى يقدمها اليونانيون للآلهة، ومن ثم خطأ تلك العبادات.

ويتضح من خلال تلك الأمثلة المفهوم الحقيقى الذى يقدمه عن التضحية، والذى يفعله اليونانيون ليس تضحية بل هو قتل، فالتضحية لا تكون بالبشر، كما أن هؤلاء البشر الذين يُقدمون للتضحية لا يكونون بالطبع راضين عن ذلك. ويتعجب كلمنت من موقف اليونانيين هذا قائلاً: كيف لا يستطيع البشر ــ وهم الأكثر حكمة بين المخلوقات الحية كلها ــ أن يتخلصوا من تلك العادات الكريهة.

وهناك تساؤل آخر يثيره كلمنت عن تلك الآلهة، هو: كيف يتوقع اليونانيون ممن يتصف بهذا العدد من النقائص وصفات الشر الذى تتصف به آلهتهم ــ كيف يتوقع اليونانيون أن يجنوا منفعة أو يصلوا إلى الحقيقة من وراء اتباع تلك الآلهة؟ فلعلهم أنصاف آلهة أو أرواح حارسة δαιμωνες ولكن: صفاتهم لا تثبت ذلك، فهم لا يفعلون ما ينبغى أن يبشروا به.

ثم إن الذى يربطهم بالبشر ليس الحبّ بل القرابين وما تعنيه من الشواء ورائحة الشواء. وبما أن تلك الآلهة ليست لها أهمية فإن هناك نتيجتين يخرج بهما كلمنت من هذا كله وهما:

(أ) أن البشر أفضل من تلك الشياطين (الأرواح الحارسة):

ويحاول كلمنت فى هذه النقطة إثبات أن البشر أفضل بالفعل من تلك الشياطين (الأرواح الحارسة) التى لا تقود البشر إلا للهلاك فيذكر كلمنت أن قورش وسولون أفضل من أبوللو[٩٣] الذى كان يحب الهدايا والقرابين ويبغض البشر بينما لم يتفوه قورش أو سولون ــ على الرغم من أنهما من البشر ــ يوماً بكلمة كذب ولم يخدعا أحداً يوماً ما كما فعل الإله الذى يعبدونه (أبوللو).

(٩٣) Clement, op.cit., III. 39.

والنتيجة الثانية التى يخرج بها كلمنت من هذا أنه بما أن تلك الآلهة التــى يعتقدون أنها خالدة اتضح أنها فانية إذن فإن تلك الاحتفالات والتماثيل التى تقام فــى المعابد لا قيمة لها ومن هنا يصل إلى أن:

(ب) معابد الآلهة مقابر حقيقية:

وهناك أمثلة يدلل بها كلمنت على صحة ما يقول منها أن معبد أثينـــا فــى الأكروبول فى لاريسا يحوى مقبرة إكريسيوس، وفى الأكروبول فى أثينـــا مقبــرة ليكروبوس مثلما قال أنتيوخوس فى كتابه التاسع من التاريخ(٩٤)، هذا بالإضافة إلــى أمثلة أخرى منها مذبح أبوللو فى تيلميسوس والذى عُرف على أنه نُصب تــذكارى لنبوءة تيلميسوس كما ورد عند بطلميوس بن إجيارخوس فى أحد مؤلفاته أنـــه فــى معبد أفروديتى دُفن كينيراس وأتباعه. وهنا وبعد هذه الأمثلة كلها يتــضح أن تلــك الأماكن ــ من وجهة نظر كلمنت ــ التى يسمونها معابد إنما هى بالفعل مقــابر لا تحوى شيئاً سوى رفات أجساد لا تنفع بشيئ(٩٥)، وأن من يعتقــد أن تلــك المقــابر معابد مقدسة يُعَدُّ ميتاً مثلهم.

وبعد أن أوضح كلمنت لليونانيين حقيقة آلهتهم ومعابدها وتوصل إلــى أن هناك فارقاً كبيراً بين تلك الآلهة أو حتى الأرواح الحارسة المخادعة الماكرة التــى تريد إيذاء البشر وبين الأنبياء والرسل المسيحيين ويقول إن القديس مــرقص لــيس شيطاناً أو روحاً حارسة لكنه الرجل الذى يقول الحق لا مثل الإلــه أبوللــو الــذى ينطق بالنبوءات التى تحمل معنيين، بل هو يمكن طالب الحقيقة من البحث عنهــا، وإدراكها بعقله دون أن يتطلب ذلك تضحية(٩٦).

لكن كلمنت يجد فى المقابل أن اليونانيين لا يستمعون إلى تلك النصائح ولا يحبون الحقيقة، ويستمرون فى عباداتهم هذه بل إن تلك العبــادات تــزداد ويــشبّه

---

(٩٤) Butterworth, op.cit., p. 99, Note (a).

(٩٥) Clement, op.cit., III. 40.

(٩٦) Butterworth, op.cit., p. 96, Note (a). c.f. Herodotus. I. 30-33 and 85-88.

كلمنت هذه الزيادة "بالنبع الذى لا ينضب ماؤه"، وغرض كلمنت من تلك الأمثلة التى يضربها هو توجيه اليونانيين ونصحهم بأن يتركوا تلك العبادات ويبحثوا عن الإله الحقيقى.

وفى النهاية نلاحظ أن كلمنت استطاع أن يفند عبادة الآلهة بطريقة منطقية؛ فهو يتدرج فى إظهار زيف تلك العبادة تدرجاً منطقياً حتى يصل فى النهاية إلى أن تلك المعابد التى يذهبون إليها ويضعون ثقتهم بها إنما هى مجرد مقابر، وكان كلمنت دائماً يذعم صحة ما يقول بما ورد عند كبار الكتَّاب والشعراء اليونانيين الثقات.

وقد كان كلمنت ماهراً فى توظيف المعلومات لصالحه وإثبات تعارض تلك المواصفات التى تتسم بها الآلهة مع مفهوم الألوهية الحقيقى.

الفصل الثالث

نقد كلمنت لعبادة التماثيل

١ – الأسباب التى يفند بها كلمنت عبادة التماثيل.

(أ) الصور الأولى (التماثيل المبكرة) كانت عبارة عن خشب وحجـر غيـر مشكّل، كما أنها من صنع الآدميين.

(ب) شهادة كلّ من النبوءات والفلسفة ضدّ عبادة التماثيل.

– التماثيل تخلو من الشعور والإحساس تماماً والتضحية لها لا فائـدة منها.

– أدنى الحيوانات أفضل من التماثيل.

(ج) عجز تماثيل الآلهة عن ردّ الإهانات وعجزها عن حماية نفسها.

(د) تماثيل الآلهة لا تمثل الآلهة.

٢ – سحر الفن هو الذى يؤدى إلى عبادة التماثيل.

بعد أن قام كلمنت بنقد عبادات الأسرار، ونقد بعدها عبادة الأشخاص والآلهة ينتقل الآن إلى نقد عبادة أخرى كان اليونانيون يتبعونها وهى عبادة صور الآلهة أو التماثيل التى كان اليونانيون يقيمونها ويقومون بعبادتها وإقامة الطقوس والشعائر لها، وقد أظهر كلمنت رأيه فى هذه العبادة، وهى أنها عبادة لا قيمة لها ولا فائدة منها، وقد قدم كلمنت الأسباب التى يرى — من وجهة نظره — فيها أدلة على أن تلك العبادة لا قيمة لها ويجب على اليونانيين أن يتركوها، فقال إن تلك العبادة مجرد عادة[1] قديمة وعبث، لأنها تقود هؤلاء اليونانيين لعبادة أشياء بلا مشاعر، هى فى الحقيقة من صنع البشر.

(εργα χειρων ανθρωπων)

وقد تأثر كلمنت فى ذلك بما ورد فى العهد القديم: "أصنامهم فضة وذهب عمل أيدى الناس"[2].

ونلاحظ هنا أن حديث كلمنت لهؤلاء اليونانيين كان من نوع الخطاب الدينى الذى يعتمد على الإقناع، الذى يجد أن العادة ظاهرة نفسية لا أكثر، ويضرب كلمنت مثلاً على تمسك الوثنيين بالعادة حيث يسألهم قائلاً:

"إذا كنتم لا تريدون أن تتركوا عادات أجدادكم إذن لماذا لا يظل الإنسان طفلاً كما هو يأكل الطعام الذى كان يأكله فى طفولته ويشرب اللبن؟

ومثل آخر يضربه فى قوله: "إن الشخص لا يترك أملاك الأسرة، وإنما يزيد عليها أو ينتقص منها حسب الظروف"[3].

ونخرج من هذه الأمثلة التى يقدمها كلمنت بأن استمرار الشخص فى عبادة أى شئ على أساس من العادة إنما هو نوع من الاقتناع النفسي الذى تعتمد عليه

---

(١) والعادة هى تقاليد موروثة عن الآلهة وعبادتها، وقد كان يدافع عنها أتباعها من معتنقى الديانات القديمة، وذلك ضد الدين الجديد (المسيحية)، الذى كان فى بداية ظهوره. راجع:
Butterworth, op.cit., p. 101, Note (d).

(٢) العهد القديم، المزمور ١١٥، الآية (٤).

(٣) Clement, op.cit., X. 73.

الوثنية، ونحن نجد فى القرآن الكريم فى عدد كبير من الآيات، مصداق ذلك؛ ففى سورة الأنبياء يقول الله عز وجل: "قالوا وجدنا ءاباءنا لها عابدين"[٤]، وفى سورة لقمان يقول الله عز وجل: "وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه ءاباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير"[٥].

وهناك أمثلة أخرى[٦] وردت فى القرآن الكريم يتضح من خلالها مدى تأثير العادة على الناس وهذا إن دلّ على شيئ فإنما يدل على أن العادة ظاهرة نفسية قوية عند أتباع العقائد الوثنية كلها.

١- وأصل الآن إلى الأسباب التى يقدمها كلمنت مفنداً بها عبادة التماثيل، وأول هذه الأسباب:

(أ) أن الصور الأولى (التماثيل المبكرة) كانت عبارة عن خشب وحجر غفل (غير مشكّل) كما أنها من صنع الآدميين:

وفى ذلك يقول كلمنت إنه فى العصور القديمة، اعتاد السكيثيون على عبادة أشياء غريبة مثل الخنجر (Τον ακινακην)، كما كان العرب يعبدون حجراً مقدّساً خاصاً بهم[٧]، وكان الفرس يعبدون النار، ويستمر كلمنت فى حديثه معدداً الأمثلة على عبادة الشعوب لأشياء غريبة حتى قال إن هناك شعوباً أكثر بدائية حيث أقاموا قوائم خشبية، ودعامات من الأحجار يعبدونها[٨]، ويضرب مثالاً على ذلك بتمثال أرتميس فى إيكاروس، فهو عبارة عن قطعة خشب غير مشكّلة، وكذلك تمثال كيثايرونيان هيرا فى ثيسبيا، الذى كان عبارة عن جذع شجرة، هذا بالإضافة إلى تمثال هيرا الذى ــ كان كما يقال ــ فى البداية عبارة عن دعامة

---

(٤) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية ٥٣.

(٥) القرآن الكريم، سورة لقمان، الآية ٢١.

(٦) راجع: القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ١٧٠، وسورة المائدة، الآية ١٠٤.

(٧) يقصد الكعبة المشرفة فى مكة.

راجع: Butterworth, op.cit., p. 101, Note (f).

(٨) وقد أعطت تلك الشعوب هذه الدعامات الحجرية والخشبية اسم كسوانا (Xoana) وهو يعنى (أشياء مقطعة أو مكشوطة)، وذلك لأن السطح الخشن من المادة تم كشطه أو (حكّه)

خشبية، وظل هكذا فترة حتى تم تشكيله على شكل آدمى(٩).

وفى الحقيقة نجد أن العقائد الدينية سواء فى بلاد اليونان أم فى شبه الجزيرة العربية كانت تمر بمراحل عدة المرحلة الأولى(١٠) منها مرحلة عبادة أشياء مادية محددة مثل الأحجار والأشجار وينابيع المياه أو تقديسها، وربما يرجع أصل تلك العبادات إلى أن الإنسان كان يرى أنها تفيده فى حياته اليومية، فالأحجار على سبيل المثال — وبخاصة ما كان منها يختلف عن اللون الرملى المعتاد فى الصحراء مثل الحجر الأسود — كان وجودها فى مكان ما يشكل إشارة يستدل بها الإنسان على طريقه فى مناطق قد تتشابه فيها الرمال فى كل الاتجاهات وعلى وجه الخصوص الإنسان البدوى الذى كان فى طريقه معرضاً لأن يضلّ أثناء تنقله من مكان إلى آخر.

وكذلك الأشجار(١١) وبخاصة النخلة التى كانت تشكل عنصراً أساسياً فى حياة البدوى إذ كان تمرها غذاءه الأول، ويعتمد على أجزاء أخرى منها لتغطية حاجات وضرورات أخرى فى حياته اليومية.

أما بالنسبة لينابيع المياه فقد كانوا يقدسونها نظراً لأهميتها إذ هى مصدر مهم للماء فى الأماكن الصحراوية (وخاصة فى شبه الجزيرة العربية).

وقد ظلت عبادة الأحجار والأخشاب الغفل (غير المشكلة) لفترة طويلة ثم تطورت هذه المرحلة فلم تعد صالحة، ومن ثم أصبحت هذه الأحجار والأخشاب فى فترة متأخرة تأخذ شكلاً آدمياً(١٢).

والفكرة التى أراد كلمنت أن يوضحها هنا هى أن تلك التماثيل ما هى إلا

---

(٩) Butterworth, op.cit., p. 102, Note (a).

(١٠) لطفى عبد الوهاب يحيى: العرب فى العصور القديمة (مدخل حضارى فى تاريخ العرب قبل الإسلام)، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩، ص ٣٧٩.

(١١) لطفى عبد الوهاب يحيى: المرجع نفسه، ص ٣٨٠.

(١٢) عندما بدأت هذه القطع الحجرية تأخذ شكلاً آدمياً أطلق عليها اسم بريتى (Βπετη) وهى مشتقة من بروتوى (Βροτοι) التى تعنى (بشر).

أحجار وأخشاب صماء لا فائدة منها.

وقد استكمل كلمنت حديثه فذكر أن هؤلاء الوثنيين لم يتركوا تلك الأحجار أو الأخشاب كما هى لكنهم بدأوا فى تشكيلها حيث بدأت تأخذ على أيدى النحاتين أشكالاً آدمية، ومعنى أن هذه التماثيل من صنع الآدميين أنها عرضة للخطأ الآدمى من ناحية، ومن ناحية أخرى كيف يعبد الإنسان شيئاً هو نفسه الذى صنعه ومن ثم هو نفسه الذى تحكّم فيه وهو نفسه الذى سوّاه أو خلقه؟!

أى أن انتقاد كلمنت لم يقتصر على عبادة الأشياء الموجودة فى الطبيعة بصورتها الأولية فقط مثل الأخشاب والأحجار، لكنه امتد كذلك إلى الأشياء التى صنعها الإنسان وسوّاها بيديه (التماثيل)، ويرى كلمنت أنها افتراء على الحقيقة ويعطى أمثلة على ذلك، منها تمثال زيوس فى أوليمبيا[١٣]، وتمثال أثينا بولياس اللذين شكلا من الذهب والعاج على يد الفنان الكبير فيدياس بالإضافة إلى تمثالى الإلهة أثينا "المكرمة"[١٤]، اللذين نحتهما بواسطة الفنان سكوباس من الحجر المسمى لوخينوس[١٥] (λυχνεως λιθου)، ويستشهد كلمنت على ما يقول بما ورد عند

---

(١٣) أقيم تمثال زيوس فى معبده فى أوليمبيا، وهو من عمل الفنان فيدياس، وكان مصنوعاً من الذهب والعاج، وقد كان هذا التمثال على درجة عالية من الروعة لدرجة أنه عُدّ إحدى عجائب الدنيا السبعة القديمة، وقد قيل إن صنع فيدياس لهذا التمثال تم بمساعدة من الإله زيوس نفسه الذى أمده بشعلة كبيرة من الضوء ليساعده فى عمله.

راجع: Guerber. H.A., *Greece and Rome*, p. 35.

(١٤) هذه التماثيل مثل تماثيل آلهة الانتقام (إيرينيس) التى أطلق على اسم الآلهة أثينا (أثينا سيمناى) أى (المكرمة) حيث أن تلك الأسماء كانت تستبدل بالأسماء الحقيقية للآلهة.
Butterworth, op.cit., p. 103, Note (d).

(١٥) وقد أشار أثينايوس إلى هذا الحجر المسمى لوخينوس (λυχνεως) وقال بأنه حجر تُصنع منه التماثيل، وقد ورد اسم هذا الحجر أيضاً عند بلينيوس فى كتابه "التاريخ الطبيعى" (Pliny, Nat. Hist. XXXVI. 14)، حيث أطلق اسم ليخينتيس على رخام باريان وذلك لأنه كان محجراً تحت الأرض، وكان الرخام يستخرج بالاستعانة بمصباح، وكلمة (Lychnos) تعنى (مصباح) (Lamp). راجع:
Butterworth, op.cit., pp. 104, 105, Note (a)

فيلوخوروس وديمتريوس فى كتابه الثانى عن "تاريخ أرجوليكوس" والذى تحدث فيه عن تمثال هيرا فى تيرنيس وقال عنه إنه كان مصنوعاً من خشب شجر الكمثرى.

هذا بالإضافة إلى تمثال زيوس الأوليمبى الذى ذُكر أنه صُنع من عظام الحيوانات الهندية المتوحشة[١٦]، ثم إن تلك التماثيل من صناعة البشر، وهذا عند كلمنت دليل قوى على صحة قوله أما تمثال الإله سيرابيس فى الإسكندرية[١٧]، الذى يذكر الوثنيون أنه لم يصنعه بشر، فيقدم كلمنت حقيقة هذا الإله ويذكر أنه كغيره كان من صنع البشر، ويورد ثلاث روايات عن أصل هذا الإله؛ أولها ما رُوى من أنه أرسله شعب سينوب تقدمة شكر للملك بطلميوس فيلادلفوس ملك مصر الذى أنقذهم من الجوع الذى أنهكهم وهدّ قواهم بأن أرسل لهم القمح من مصر، وعندما تسلم الملك هذا التمثال نصبه فوق جبل داخل البحر، هو راكوتيس أو قرية راقودة، حيث أُقيم معبد لتكريمه[١٨].

والشئ الثانى الذى يؤكد به كلمنت هذه الرواية وأن هذا التمثال من صنع البشر هو مجرد إهداء أهالى شعب سينوب التمثال إلى الملك بطلميوس فيلادلفوس.

وفى الواقع فإن هذا الاعتقاد كان سائداً عند بعض الكتّاب الكلاسيكيين مثل بلوتارخوس Plutarchus (حوالى ٤٦م إلى ما بعد ١٢٠م)، وتاكيتوس Tacitus

---

(١٦) كالفيل الذى كانت التماثيل تُصنع من أنيابه.

راجع: Butterworth, op.cit., p. 105, Note (f).

(١٧) وهو الذى كان يعبده الآلاف، وقد أطلق عليه كلمنت اسم (رئيس الشياطين) أو (رئيس الأرواح الحارسة)، وقد كان هذا الإله هو المفضل عند الوثنيين.

راجع: Clement, op.cit., Iv, 42.

(١٨) وقيل إن محظية الملك بطلميوس فيلادلفوس وتدعى بليستيخى التى توفيت فى كانوب قد أحضرها ودفنها تحت قدس الأقداس فى هذا المعبد الذى أشرت إليه أعلاه، وبذلك يؤكد كلمنت على ما ذكره من قبل وهو أن تلك الأماكن التى تسمى معابد ما هى إلا مقابر فى الحقيقة.

(حوالى ٥٥م إلى ما بعد ١١٥م)، حيث يروى بلوتارخوس[١٩] ــ نقلاً عن مـــانثون ــ أن بطلميوس رأى فى منامه إلهاً يأمره بإحضاره إلى الإسكندرية، ولمـــا كـــان بطلميوس لا يعرف هذا الإله فقد استدعى رجلاً من خاصته يـــدعى سوســـيبيوس، وقصّ عليه الرؤيا فأخبره أنه رأى ذلك الإله فى سينوب.

وكذلك يروى تاكيتوس[٢٠] أن عبادة جديدة أنشأت فى عهد بطلميوس الأول حين رأى هذا الملك شاباً يأمره بإرسال رجال يثق بهم إلى ساحل البحـــر الأســـود ليحضروا الإله الذى يجب أن تعبده الإسكندرية وكان هذا الإله هو إله سينوب.

والرواية الثانية عن هذا التمثال: هى أن تمثال سيرابيس كان فى بونتـــوس ونُقل إلى الإسكندرية فى احتفال كبير، وهناك رواية ثالثة عن هـــذا التمثـــال وردت عند إيزدوروس الذى يذكر أن هذا التمثال جاء من سليوقية بالقرب مـــن أنطاكيـــة حيث أهداه الشعب للملك بطلميوس عندما ساعدهم بالقمح، وهناك رواية أخرى هى أن الملك سيزوستريس المصرى عندما أخضع أغلب الشعوب اليونانيـــة لـــسيطرته أحضر معه فى عودته إلى مصر عدداً من الصناع المهرة وأمرهم بعمل تمثال لهذا الإله وقد قام الفنان برياكسيس[٢١] بصناعته؛ وتوصل إلى ذلك بخلط مواد مختلفة.

والمهم من هذه الروايات المختلفة عن أصل هذا التمثال أنـــه مـــن صـــنع البشر، وليس هذا فقط لكن كلمنت يذكر كذلك عن أصل هذا الإله أنه كـــان مركبـــاً من أوزيريس إله الموتى، والعجل أبيس (إله النيل) وبذلك أصبح اسمه أوزيـــرابيس أو سيرابيس.

وهنا أستطيع أن أقول إن هذا الإله (سيرابيس) حتى فى محتـــوى عبادتـــه (مضمون عبادته) هو فى حقيقة الأمر توليفة صنعها الإنسان مَن إله مصرى قـــديم له فى حد ذاته سمات إلهين مصريين هما: أوزير وحابى مضاف إليهما خـــصائص

(١٩) De Iside et Osiride, 28.
إبراهيم نصحى: مصر فى عصر البطالمة، ج٢، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١٨٨.

(٢٠) Tacitus, Hist., Iv, 83-84؛ إبراهيم نصحى، المرجع نفسه، ص ص ١٨٨– ١٨٩.

(٢١) Clement, op.cit., IV, 43.

الطب والشفاء من إله يونانى هو إسكليبيوس؛ وأن الذى قام بمـــزج هـــذه الـــسمات المصرية واليونانية هما رجل الدين المصرى مانيتون (Manetho) ورجل الـــدين اليونانى تيموثيوس (Timotheus) اللذين دعاهما بطلميوس الأول (Soter) لهـــذا الغرض بحيث تكون عبادة سيرابيس مشتركة للمصريين واليونان على الـــسواء[٢٢]. بل إنّ صناعة الإنسان لهذا الإله تظهر فى إعطائـــه صـــورتين: واحـــدة يعبـــدها المصريون فى هيئة الثور أبيس والأخرى فى هيئة زيوس يعبدها اليونان.

(ب) شهادة كلّ من النبوءات والفلسفة ضّد عبادة التماثيل:

ثم يصل كلمنت إلى السبب الثانى الذى يفند به عبادة التماثيل وهو شـــهادة كلٌ من النبوءات والفلسفة ضدها، وسوف أبدأ الآن بـــالنبوءات، إذ يـــذكر كلمنـــت شهادة نبوءة سيبيل الكاهنة بتدمير المعابد وخرابها، وهو يحاول أن يبـــرهن بـــذلك على صحة قوله بأن تلك العبادة (عبادة التماثيل) لا قيمة لها وأنهـــا عبـــادة زائفـــة ويجب تركها، ويقدم كلمنت أمثلة على نبوءة سيبيل بتدمير تلك المعابد، فهو يـــذكر أنها تنبأت لمعبد الإلهة أرتميس أفيسوس بأنه ستبتلعه "أفواه الذئاب والزلازل" حيث تقول:

"إنه سوف يمتد أنين أفيسوس، عندما، تغرق فى عمـــق الـــدموع، ســـوف تبحث على طول ضفافها عن قدس الأقداس المختفى"[٢٣]؛ وقد امتدت نبوءة ســـيبيل كذلك لتماثيل الإلهة إيزيس وسيرابيس فى مصر حيـــث قالـــت إن "تلـــك التماثيـــل (الخاصة بالإلهة إيزيس والإله سيرابيس) سوف تُحطَّم وتُحرق"[٢٤].

وأستطيع أن أقول إن تماثيل الآلهة التى ينتهى أمرها إلى التـــدمير، هـــى بالضرورة تماثيل لآلهة غير خالدة، علماً بأنّ الآلهة يفترض فيها الخلود.

إن شهادة سيبيل ــ التى هى نفسها نبية لآلهة وثّنية ــ على عدم خلود الآلهة، هـــى

(٢٢) Bevan. Edwyn, *A History of Egypt Under The Ptolemaic Rule*, London, 1927, pp. 44-45.

(٢٣) Clement, op.cit., IV. 43.

(٢٤) Ibid., IV, 44.

شهادة من الداخل (وشهد شاهد من أهلها)، بأن أنبياء هــذه المعبــودات أنفــسهم لا يؤمنون بخلودها. وينتقل كلمنت بعد استشهاده بنبوءة سيبيل إلى الاستشهاد بالفلــسفة دليلاً آخر على صحة كلامه وهو هنا يستشهد بما ورد عند هيراكليتوس فــي نقــده لعبادة التماثيل.

ويقول كلمنت للوثنيين إنهم إذا كانوا يرفضون أن يستمعوا إلــى الأنبيــاء ونصائحهم (ويقصد بذلك نبوءة سيبيل) بترك عبادة التماثيل فليستمعوا إذن إلى أحــد فلاسفتهم الذين يؤمنون بهم وهو الفيلسوف هيراكليتوس من الأفيسوسى عندما نقــد وعيَّر التماثيل على عدم شعورها حيث يقول: "إنهم (الوثنيين) يُصلّون للتماثيل مثلما يثرثر شخص فى بيته"[٢٥]. وقد استشهد كلمنت بهيراكليتوس لمكانته عند اليونــانيين ولكى يوضح أن هذا الرأى فى عبادة التماثيل ليس رأيه وحــده ولكنــه رأى أحــد الفلاسفة اليونانيين أنفسهم.

ويتعجب كلمنت من اليونانيين قائلاً: (أليس هؤلاء البشر محيــرين هــؤلاء الذين يتضرعون للأحجار ويقيمونها أمام بواباتهم كما لو كانــت حيــة، ويعبــدون تماثيل الإله هيرميس كإله؟" ويظهر من قول كلمنت هذا مــدى تمــسك اليونــانيين وإيمانهم الشديد بتلك الآلهة وتماثيلها التى يعتقدون أنها تجلب لهم الــرزق والخيــر وتحميهم من الأخطار، وهم يختلفون بذلك عن الرومان الذين — على الــرغم مــن اهتمامهم بالآلهة وتماثيلها — لم يصل اهتمامهم إلى هذه الدرجة التى وصل لها عند اليونانيين.

ولم يكتف كلمنت بشهادة هيراكليتوس ضد عبادة التماثيل، وإنما يذكر الأسباب التى جعلت هيراكليتوس يشهد ضدّ عبادة التماثيل وهى:

أن التماثيل تفتقد إلى الشعور والإحساس تماماً والتضحية لها لا فائدة منها:

يقول كلمنت إن الخشب والحجر بلا إحساس وحتى الذهب الثمين لا قيمــة له من هذه الناحية، وأن تلك التماثيل مهما كانت المادة المصنوعة منها لا تبالى ولا

---

(٢٥) Ibid., IV. 44.

تشعر بالتكريم ولا تبالى كذلك ولا تشعر بالإهانة، ومن هنا يتعجب كلمنت كيف يمكن لهؤلاء الوثنيين أن يسمحوا لأنفسهم بعبادة مثل هذه الأشياء التى لا شعور لها ولا معنى وهو يحاول عن طريق استشهاده بالفلسفة، التى كان اليونانيون يعتقدون فيها كثيراً أن يدفع هؤلاء الوثنيين (اليونان) إلى ترك تلك العبادة (عبادة التماثيل).

- أدنى الحيوانات أفضل من التماثيل:

والسبب الثانى الذى جعل هيراكليتوس يقف ضد عبادة التماثيل هو أن أدنى الحيوانات أفضل من التماثيل، وهنا يذكر كلمنت أنه على الرغم من أن هناك بعض المخلوقات الحية ليس لديها شعور كامل بالأشياء، مثل الديدان، وغيرها من الكائنات الصغيرة الشبيهة بها، يذكر أنها على الرغم من كونها حيوانات ضئيلة إلا أن لديها على الأقل بعض الحواس، مثل السمع (ακουστικην)، أو اللّمس (ηαπτακην)، ولا شك فى أن ما يملك بعض الحواس أفضل من تلك التماثيل التى ليس لديها أية حاسة أو شعور.

ويذكر كلمنت مثالاً آخر على تلك المخلوقات الضئيلة وهو عائلة المحار(٢٦). (των οστρεων γενος) التى لا تمتلك القدرة على الرؤية، ولا السمع، ولا الكلام، لكنها تعيش وتنمو وتتأثر بضوء القمر، ويقارن كلمنت ذلك بالتماثيل فيقول إنها أشياء لا تتحرك ولا تحس، أى أنها مقيدة، وثابتة، لا تقدر على الحركة، ومن ثم فإن هذه المخلوقات الصغيرة الضعيفة أفضل من تلك التماثيل.

وكأن كلمنت ــ بضربه لهذه الأمثلة ــ يحاول أن يوجه اليونانيين ويدعوهم إلى استخدام عقولهم وألاّ يعبدوا ما لا يفيدهم فى شئ بل لابد أن يبحثوا عن الإله الحقيقى، ويدركونه عن طريق استخدام عقولهم، وهذا أسمى معانى الإدراك، بدلاً من قطعة حجر أو خشب نحتها أحد الصناع المهرة.

---

(٢٦) Clement, op.cit., IV. 45.

(جـ) عجز تماثيل الآلهة عن رد الإهانات عـن أنفسها وعجزها عـن حمايـة أنفسها مـن اللصوص والنار والزلازل:

وينتقل كلمنت إلى السبب الثالث الذى يفند به عبادة التماثيل وينقسم هـذا السبب إلى شقين: الشق الأول وهو الذى يتحدث فيه عن عجز تماثيل الآلهـة عـن ردّ الإهانات عن أنفسها، والشق الثانى: هو عجز تماثيل الآلهة عن حمايـة أنفسها من اللصوص والنار والزلازل، وسوف أبدأ الآن بالحديث عن الشق الأول وهنـا يذكر كلمنت أنه حتى الحكام كانوا يحتقرون تلك التماثيل العاجزة التى لا تستطيع مساعدتهم وإعانتهم على حل مشكلاتهم ولا تقدم لهم أى شئ ولا تشعر بما يُقدم لها من قرابين وتكريم، ويذكر كلمنت مثالاً على ذلك هو ما فعله الطاغية ديونيسوس الأصغر، الذى سلب تمثال زيوس فى صقلية عباءته الذهبيـة وأمـر بـأن يُـدثّر بمعطف آخر من الصوف وقال إنه أفضل من العباءة الذهبية، فهـو خفيـف فـى الصيف ودافئ فى الشتاء.

كما أن أنتيوخوس من الكيزيكوسى عندما كان محتاجاً للمـال، أمـر بـأن يُصهر تمثال زيوس الذهبى الذى يبلغ ارتفاعه خمسة عشر ذراعاً وأن يوضع بـدلاً منه تمثالٌ آخر مصنوع من مادة رخيصة الثمن ومغطـى برقـائق مـن الـذهب، ويستطرد كلمنت فى الحديث عن عجز تلك التماثيل فيذكر أنّ أكبر دليل على أن لا فائدة منها ولا تستطيع دفعاً حتى عن أنفسها أن العصافير ومعظم الطيور الأخـرى تعشش فوق أعظم هذه التماثيل وتدنسها بفضلاتها ولا تعطى أى اهتمام لأى تمثـال من تماثيل الآلهة سواء أكان زيوس الأوليمبـى أم إسـكليبيوس الأبيـداورى (مـن ابيداوروس) ولا حتى أثينا بولياس أو سيرابيس المصرى[٢٧].

والشق الثانى من السبب الثالث الذى يفند به كلمنت عبـادة التماثيـل هـو عجز تماثيل الآلهة عن الدفاع عن أنفسها وحماية أنفسها مـن اللـصوص، والنـار والزلازل. وبالنسبة لسرقة اللصوص لتماثيل الآلهة يذكر كلمنت أنه فى الحـروب يظهر بعض اللصوص الذين ينتفعون من تخريب المعابد وتدميرها، فكـان هـؤلاء

(٢٧) Clement, op.cit., Iv, 46.

ينهبون النذور المقدمة للتماثيل بل يسرقون التماثيل ذاتها ويصهرونها[٢٨].

أما بالنسبة لعجز التماثيل عن حماية أنفسها من النار والزلازل فيقول كلمنت إن النار والزلازل، لا تهاب تلك الشياطين (ويقصد بها الآلهة الوثنية) أو تماثيلها، ويقول: إنه "يمكن للنار أن تشفى خوف الوثنيين من تماثيلهم هذه".

ويقدم كلمنت أمثلة على ذلك منها الكاهنة خريسيس التى أحرقت المعبد[٢٩] فى أرجوس وهناك مثال آخر ورد فى هذا الصدد حيث أحرقت النار معبد أرتميس فى إفيسوس، وهى غالباً التى ابتلعت العاصمة روما، كما أحرقت النار معبد سيرابيس فى مدينة الإسكندرية، ومعبد أبوللو فى دلفى وهو أول معبد أصابته صاعقة ثم دمرته النار تماماً[٣٠].

ولا يقصد كلمنت من ذكره للنار هنا قدرتها على تدمير التماثيل والمعابد فقط وإنما يحذر من قدرتها بعد ذلك على عقاب كل من يخرج عن عبادة الله الحق، ويتبع عبادة التماثيل، فهو يقول للوثنيين إن النار كما أحرقت تلك التماثيل ولم تبال فإنها سوف تحرق أتباعها كذلك.

(د) تماثيل الآلهة لا تمثل الآلهة:

وينتقل كلمنت بعد ذلك إلى السبب الأخير الذى يفند به عبادة التماثيل ويثبت من خلاله صحة قوله عن خطأ تلك العبادة، ويشير كلمنت هنا إلى أن هؤلاء الصنّاع المهرة الذين كانوا يقومون بصناعة تلك التماثيل كانوا يصنعونها على شاكلة من يحبون من البشر من أصدقائهم أو محظياتهم، وهو ما لا يصح أن يُعبّد لأنه ما دامت التماثيل مصنوعة على شاكلة أشخاص مألوفين بالنسبة للفنان فبالتأكيد

---

(٢٨) Ibid., Iv. 46.

(٢٩) ويرجع هذا الحريق إلى إهمال الكاهنة خريسيس التى وضعت المصباح بجوار الجارلاندات ثم نامت، ووفقاً لما جاء عند ثوكيديديس فاخريسيس لم تُحرق مع المعبد، ولكنها لخوفها من أن يثأروا منها هربت فى الليلة نفسها إلى فليوس. راجع:
Butterworth, op.cit., p. 120, Note (a). c.f. Thucydides, IV, 133.

(٣٠) Clement, op.cit., Iv. 47.

سوف يكون بها أحد العيوب الشكلية فى حين أن الإله لابد أن يكون مثالّيــاً، حتــى وإن أخذ شكلاً آدمياً ومن أمثلة ذلك عند كلمنت أن الفنان فيدياس الأثينــى عنــدما صنع تمثال زيوس الأوليمبى نقش على إصبعه اسم "بانتــاركيس الجميــل" وهــو الشخص المفضل عند فيدياس الذى لم يكن يقصد زيوس بكلمة الجميل[٣١].

وهناك مثال آخر عند الفنان براكستيليس الذى صــنع تمثــال أفروديتــى كنيدوس على شاكلة محظيته كراتينا، وفى هذا يقول كلمنت إنه قد حُكم على الشعب البائس (يقصد اليونانيين) يعبدوا محظية ذلك النحات. هذا بالإضافة إلى عــدد مــن التماثيل الأخرى للإلهة أفروديتى يقدمها كلمنت وكلها على شكل محظيات للفنانين.

وبما أن للنحاتين الحرية فى أن يجعلوا تماثيل الآلهة علــى شــاكلة مــن يشاءون فلماذا لا يطالب سكان المدن اليونانية جميعاً بحقهم كذلك فــى أن يجعلــوا آلهتهم على الشاكلة التى يفضلونها؟ وقــد كــانوا يقيمــون فعــلاً تماثيــل لــبعض الشخصيات التى يريدونها مهما كان شكلها — وذلك بناءاً على ما رأوه مــن عــدم وجود فرق فى الشكل بين البشر والآلهة.

ويقدم كلمنت مثالاً على ذلك فى مدينة كينوسارجيس حيث أقــاموا تمثــالاً لعبادة شخص يُدعى فيليب بن أمينتاس المقدونى (Philip Amyntas) من مدينــة بيلا (Pella)[٣٢].

٢- سحر الفن هو الذى يؤدى إلى عبادة التماثيل:

بعد أن قدّم كلمنت الأسباب التى يفند بها عبادة التماثيــل ينتقــل الآن إلــى نقطة أخرى هى تأثير الفن على الوثنيين، فهو الذى جعلهم يتوجهــون إلــى عبــادة التماثيل ويتمسكون بها، حيث يذكر كلمنت أن مهارة الفنان الذى استطاع أن يُخــرج التمثال فى أبهى صورة هى التى جعلت هؤلاء الوثنيين يقعون فى حب تلك التماثيل التى لا تضر ولا تنفع ويعبدونها فى حين أن تلك التماثيل ما هى إلا أشكال حقيــرة

(٣١) Ibid., IV. 47.
(٣٢) Ibid., IV. 48.

ـــ من وجهة نظره ـــ ومن أمثلته على ذلك تمثال ديونيسوس الذى يظهر فى ردائه الذى لا يليق بإله، وتمثال هيفايستوس الذى يظهر فيه حداداً، وتمثال أفروديتى التى تظهر دائماً عارية[٣٣]، وهذا شيئ لا يليق بإلهة. وعلى الرغم من ذلك كله يحب هؤلاء الوثنيون هذه التماثيل ويعطى كلمنت أمثلة على ذلك ليبرهن على صحة ما يقول فيذكر أن بيجماليون القبرصى وقع فى حب تمثال لأفروديتى من العاج، كما يذكر فيلوستيفانوس[٣٤]، أن رجلاً وقع فى حب تمثال آخر لأفروديتى كينـدوس مصنوع من الرخام، ويريد كلمنت أن يقول إن الفن فى عصره أصبح قوة كبيرة تدفع بهؤلاء الوثنيين العاشقين إلى الدمار والفناء.

وفى النهاية يخرج كلمنت من ذلك بأن سحر الفن لا يخدع إلا الحمقى فقط، لأن تلك الصناعة الماهرة لا يجب أن تخدع المخلوقات العاقلة، لأن الإنسان يجب أن يتذكر دائماً أن تلك التماثيل مجرد أعمال فنية لا حياة بها، ولا يجب أن ينخدع أى إنسان بعمل قام به إنسان مثله، والإنسان العاقل يجب أن يترك الصورة ويبحث عن الخالق الحقيقى الذى لا تراه الأعين ولا يتمثل فى أية صورة لكن العقول تدركه.

وهذه دعوة من كلمنت لإعمال العقل وذلك لما يعرفه عن الشعب اليونانى من أنه شعب مفكر يحب دائماً أتباع العقل والحكمة. ويتعجب كلمنت من هؤلاء الوثنيين ويذكر أنهم "حولوا السماء إلى خشبة مسرح، ونظروا للطبيعة الإلهية كموضوع درامى"، وأنهم وقعوا تحت تأثير النغمات العذبة التى تخرج من القيثارة وعبدوا تلك الأشياء، التى لا قيمة لها ـــ من وجهة نظره ـــ ويستشهد على ذلك بما ورد عند هوميروس عن فسق الإله آريس والإلهة أفروديتى[٣٥]، إذ كان هوميروس يتغنى فى شعره بتلك الأعمال المشينة التى يقوم بها كلا الإلهين، وهى أعمال تتنافى مع صفة الألوهية الحقيقية.

---

(٣٣) Ibid., IV. 50.

(٣٤) Ibid., IV. 51.

(٣٥) Ibid., Iv. 52.

وبجانب عبادة التماثيل يشير كلمنت فى إشارة سريعة إلى عبادة الصور التى تُعلق فى المنازل حيث يذكر أن هناك بعض الناس يزينون منازلهم بالصور التى تُمثل مناظر خليعة ومشينة ويضعون فى حجرات نومهم لوحات لأفروديتى العارية والمقيدة(٣٦)، ويذكر كذلك أنهم يحفرون على خواتمهم الأسطورة التى تصور الإله زيوس وأعماله الشهوانية مع ليدا، وقد استند كلمنت فى إشارته عن تلك العبادات إلى ما قاله أحد الخطباء الأثينيين موضحاً رأيه فى تلك العبادات حيث قال: "إن ما يرغبه البشر، يتخيلون أنه حقيقة"(٣٧).

ويستكمل كلمنت حديثه فيذكر أن هؤلاء الوثنيين لا يخجلون من عرضهم لصور لفتيات عاريات، وساتيرات فى حالة سكر وشعارات قبيحة، ولا يخجلون من أن يعرضوها علانية فى الأسواق والميادين لا فى منازلهم فقط.

وقد استند كلمنت كذلك فى نقده لعبادة التماثيل على ما ورد فى العهد القديم من أن "كل آلهة الشعوب هى صور من الشياطين، لكن الله هو الذى صنع السموات(٣٨) وما فيها". ونلاحظ هنا استشهاد كلمنت بما ورد فى العهد القديم ليثبت عدم تفرد المسيحية برفض عبادة التماثيل.

وبعد أن عرض كلمنت الأسباب التى يرفض ويفند بها عبادة التماثيل، يحاول أن يتوجه بعد ذلك للدعوة إلى العقيدة الجديدة (المسيحية)، التى يثبت من خلالها أن من يتبع تلك العبادة يترفع عن ممارسة أى أعمال مشينة، ولا يحتاج إلا إلى إعمال عقله فى البحث عن الإله الحقيقى.

---

(٣٦) ويُقصد بالقيد هنا السلاسل غير المرئية التى صنعها هيفايستوس ليوقع هذه الآلهة فى شركه. راجع:
Butterworth, op.cit., p. 138, note (a). c.f., Homer, Odyssey. VIII. 270-299.

(٣٧) Clement, op.cit., IV. 53.

(٣٨) العهد القديم، المزمور ٩٦، آية ٥.
"لأن كل آلهة الشعوب أصنام، أما الرب فقد صنع السموات".

الباب الثاني

نظرة كلمنت إلى التراث القديم كممهد لظهور المسيحية

الفصل الرابع

شهادة الفلاسفة والشعراء

١ – **أفكار الفلاسفة:**

(أ) تأليه العناصر الأساسية للكون.

(ب) ظهور فكرة التعدد في الآلهة بجانب العناصر الأساسية للكون.

(ج) فكرة الثنائية الإلهية.

(د) الاقتراب من فكرة الوحدانية.

- طاليس وأنا كسيمينيس وأناكسيماندر من ميليتوس....،
- مذهب المشّائين.
- مذهب الرواقيين.
- فلسفة أفلاطون.

٢ – **شهادة الشعراء:**

(أ) الشعراء الذين عظموا الله وذكروا صفاته.

(ب) الشعراء الذين نقدوا عبادة الآلهة.

قبل أن أ تحدث عن استشهاد كلمنت بآراء الفلاسفة والشعراء والنبوءات اليهودية، واستخدامه لتلك الاستشهادات بمثابة التمهيد للحديث عن المسيحية، هناك تساؤل يفرض نفسه وهو لماذا رأى كلمنت أن يستشهد بهذه الآراء والنبوءات؟ وأبدأ الحديث بالرد على هذا التساؤل فأقول إن هناك سببين متكاملين لهذا؛ أولهما: أن أعداء المسيحية كانوا يعيبون علي المدافعين عنها، أنهم يعتمدون على العاطفة والغيبيات، وأنهم يقدمون التعاليم المسيحية دون تبرير لها وعلى من يتلقى هذه التعاليم أن يؤمن بها دون نقاش[1].

والسبب الآخر لاستشهاد كلمنت بتلك الآراء:هو أن طريقة التفسير العقلانى للفلسفة كانت هى الأسلوب الذي يسير عليه اليونان — وعلى وجه الخصوص الطبقة [illegible] — ويرتضونه طريقة للتفكير والإقناع، ومن أوضح الأدلة على ذلك عدد المدارس الفلسفية والفكرية التي ظهرت بين اليونان ابتداء بالمدرسة الأيونية التي ظهرت في القرن السادس ق.م ومروراً بفلسفة سقراط وفكر السوفسطائيين وفلسفة أفلاطون وأرسطو والمدارس الفلسفية اليونانية المتأخرة: الرواقية والأبيقورية والتشكّكية.

وقد استطاع كلمنت أن يثبت باقتباساته من الفلاسفة[2] والشعراء والنبوءات السابقة أنّ الأفكار التي وردت فى هذه الاقتباسات تمثل تمهيداً منطقياً للدعوة التى جاءت بها المسيحية، ومن ثم فالمحاور التى تدور حولها المسيحية هى النتيجة الطبيعية المكملة للطريق الذى سارت فيه الإنسانية حتى ظهور هذه العقيدة[3]، كما أن كلمنت عندما رأى مدى تمسك اليونانيين بآراء فلاسفتهم وشعرائهم ومدى تمسك

---

(١) Yehia, Lutfi A.W., *Clement of Alexandria Versus Rome, An Historical Introductory Note*, p. 169; Hoffmann, R. Joseph, pp. 54, 91, 111.

(٢) وعن أهمية الفلسفة بالنسبة لكلمنت، راجع: Tollinten, R.B., op.cit., Vol. II, pp. 233, 234.

وجد كلمنت فى المسيحية ما لم يجده فى المدارس الفلسفية، وقد استفاد من ذلك فجمع بين الإنجيل وأفضل ما حصل عليه من الحكمة الهيللينية وهو ما يمكن أن نصفه بأن فلسفته أصبحت دينية كما أصبحت ديانته فلسفية، راجع: Tollinton, R.B., op.cit., Vol. II, pp. 233, 234.

(٣) Clement: Protrep. Introduction, XV.

اليهود بعقيدتهم، رأى أن يسير على المنهج نفسه الذى اتبعه اليونان واليهـود فـى الجدال والإقناع.

١ـ أفكار الفلاسفة:

وقد قسّم كلمنت حديث الفلاسفة إلى مستويات عـدة تبـدأ مـن التعـدد فـى المعبودات مروراً بالثنائية حتى وصلوا إلى نوع من التوحيـد (وإن كـان هنـاك تداخل فى التتابع الزمنى للأفكار المذكورة) كما تتّبع تدرج هـؤلاء الفلاسـفة فـى الحديث عن المعبودات من العناصر المادية وهى العناصر الطبيعية الأساسية التـى تتكون منها الأشياء إلى مفاهيم معنوية تسيطر على الحياة؛ وبهذه الطريقـة أثبـت توصل الفلاسفة إلى أقرب درجة من المفهوم الإلهى الذى دعت إليه المسيحية، كما سنرى، والمستوى الأول الذى يناقشه كلمنت فى هذا الصدد، هو ما ذهب إليه عـدد من الفلاسفة اليونان من أنّ أصل الأشياء هو:

(أ) العناصر الأساسية المادية للطبيعة[٤] (التراب والماء والهواء والنار)

وإن كان من بين الفلاسفة من يضيف إليها بعض العناصـر المعنويـة كمـا سوف نرى، وقد رد كلمنت الفضل لهؤلاء الفلاسفة فى أنهم ارتفعـوا عـن تأليـه المتفرقات مثل الحجر (λιθος) أو جـذع الـشجرة (ηξυλα) ونظـروا إلـى الأساسيات أو الكلّيات، وأعطوها صفة الألوهية على أنها كيانات أو عناصر عامّـة لا تتوقف عند الأمثلة أو الأشياء المتفرقة وإنما تتخطّاها لتـصل إلـى الـصفة أو الطبيعة العامة التى تضم أو تحوى تلك المتفرقات.

(ب) ظهور فكرة التعددية فى الآلهة:

وهناك أمثلة قدمها كلمنت على ظهور فكرة التعددية حيث ظهـرت هـذه الفكرة عند أمبيدوكليس الأكراجاسى[٥]، الذى أضـاف عنـصرين غيـر مـاديين

---

(٤) Battles. Lewis. Ford, Irenaeus, *Against Heresies, Clement of Alexandria, The Exhortation to the Greek and Quis Dives Salvetur?*, U.S.A., 1993, p. 47.

(٥) ظهر أمبيدوكليس فى القرن الخامس قبل الميلاد وهو من مدينة إكراجاس اليونانية فى صقلية.

للعناصر الأساسية للكون، وكان هذان العنصران — على خلاف العناصر الأخرى — غير ماديين، وهما "الحب" "φιλια"، "والصراع" "νεικος"[6] وضم هذين العنصرين إلى قائمة الآلهة زاعماً أن العناصر الأساسية للكون عندما اندمجت معاً أخذت شكل دائرة واحدة وقع أحد أجزائها تحت تأثير قوة الحب، والجزء الآخر تحت تأثير الصراع[7].

ومن الفلاسفة الذين قالوا بالتعددية أيضاً؛ وضربه كلمنت مثلاً، ديموكريتوس الأبديرى الذى أضاف إلى هذه العناصر إلهاً آخر هو "الصور" "τα ειδωλα"[8]. أما عن:

(جـ) الثنائية الإلهية:

فقد مثلّ كلمنت لها بليوكيبوس الميليتوسى وميترودوروس الخيوسى، اللذين ذكرا أن هناك اثنين من الأساسيات الأولى الأرقى والأكثر تميُّزاً يمكن أن نعدهما آلهة وهما "الاكتمال" أو "الوفرة" "Το πληρες"، و "النقصان" أو "الفراغ" "Το κενον". وعلل كلمنت هذا الرأى بسببين عامين جعلاه تمهيداً للمسيحيّة، إلاّ أننا نستطيع أن نصل إلى سبب معقول من خلال ما ذكره أرسطو فى كتابه "ما وراء الطبيعة" حيث يذكر أن الفكرة الشائعة هى أن الوجود والعدم هما بشكل ما السببان الماديان للأشياء كلها، ثم يمضى فى تفسير ذلك[9].

راجع: حسين الشيخ: اليونان، ص ٣٠٣.

(٦) Clement, op.cit., V, 56.، وقد طالب أمبيدوكليس بالمناداة بالحب قوة عالمية فى العالم المادى. راجع:

Kohn, Charles, H: *Religion and Natural Philosophy in Empedocles, Doctrine of the soul*, p. 432 (in: Rorty, Amélie, O Ksenberg (ed.): The Pre-Socratic, (A collection of Critical Essays), New York, 1974).

(٧) Jonathan Barnes, op.cit., p. 309.

(٨) Butterworth, op.cit., p. 149, note (c).

(٩) هذا مع ملاحظة أن أرسطو يضع اسم ديموقريطس بدلاً من اسم ميترودوروس.

Aristotle: Metaphysica, 98, 5 B, 5-21.

عن التعليق على هذه الفقرة فى أرسطو راجع:

كما قدم كلمنت مثالاً آخر هو الفيلسوف بارمينيديس الإيلى الذى عد كلاً من النار والتراب آلهة[١٠]. ويذكر كلمنت كذلك أن بعض الفلاسفة اقتربوا من:

(د) فكرة الوحدانية:

إذ اختاروا أحد العناصر الأساسية فقط ليكون إلهاً، ومن الأمثلة التى قدمها كلمنت فى هذا المجال **طاليس الميليتوسى** الذى رأى فى الماء العنصر الرئيسى فى الكون[١١]. وظن أنه المادة الأصلية لأنه فى نظره يختلف فى تكوينه عن المواد الأخرى، كما أنّ الأرض ترقد على الماء[١٢]. ولذلك كان اهتمامه بهذا العنصر كبيراً، وكما أعلى طاليس من شأن الماء، انتصر فيلسوف آخر ذكره كلمنت فى هذا الصدد ـــ وهو أناكسيمينيس الميليتوسى ـــ للهواء ونادى بأنّه العنصر الأول أو الأساس فى الكون[١٣].

ومما نعرفه عن هذا الفيلسوف أنه أشار إلى أن الروح هواء وذكر أنّ النار أصلها هواء، وأن الهواء يحيط بكل شئ وكأن العالم يتنفس، كما قال إن أرواحنا تتحول إلى هواء بعد الموت[١٤]. ثم إن هيباسوس الميتابونتيومى، وهيراكليتوس[١٥]

---

(١٠) Flew, Antony: *An Introduction to Western Philosophy, Thames and Hudson*, London, 1971, p. 197 ،Clement, op.cit., V. 55.

"παρμενιδης δε ο Ελεατης θεους εισηγησατο πυρ και γην"، وقد وصف كلمنت بارمينيديس بالإلحاد. انظر: R.E. Witt, *The Hellenism of Clement of Alexandria,* Classical Quarterly, XXV, 1931, p. 195.

وعن بارمينيديس راجع: حسين الشيخ: اليونان، ص ٣٠٢.

(١١) Clement, op.cit., V. 55; Jonathon Barnes, *The presocratic philosophers,* London, 1982, p. 5.

(١٢) Jonathan, Barnes op.cit., p. 9; Russell, Bertrand, *History of Western Philosophy*, p. 45.

(١٣) Clement, op.cit., V. 55; Jonathan Barnes, op.cit., p. 44، وعن اهتمام أناكسيمينيس بالهواء راجع كذلك: Jonathan Barnes, op.cit., pp. 44: 47.

(١٤) Russell, Bertrand, op.cit., p. 47.

(١٥) كما كانت الحرب عند هيراكليتوس كما يقول "الأب وملك الجميع" وعلى هذا الأساس عدها

الإفسوسى افترضا أن النار هى الإله(١٦)، وعلى الرغم من أن هيراكليتوس يستخدم اسم عنصر فى تعبيره عن النار فإنه عدها الأصل الأول وهو ما اقتبسه من ديوجينيس وبلوتارخوس فعندهما "الأشياء كلها تتحول إلى نار والنار تتحول إلى الأشياء كلها، مثلما تتحول الخيرات إلى ذهب والذهب إلى خيرات"(١٧). ونلاحظ من هذا العرض السريع للفلاسفة الذين تحدثوا عن العناصر الأساسية أنهم اقتربوا من فكرة الوحدانية وابتعدوا عن التعدد.

إلا أن كلمنت يعيب على أصحاب هذا التفكير أمرين: أحدهما أن ما قاموا به فى هذا الصدد كان مجرد تقليد للبرابرة الذين سبقوهم فى تأليه هذه العناصر. ومن ذلك أنهم اتبعوا الفرس المجوس وغيرهم من سكان آسيا فى عبادتهم للنار(١٨).

ولم يكتف كلمنت بالعقلانية فى هذا النقد الذى وجهه لليونانيين المقلدين للبرابرة فى تأليه العناصر، ولكنه استعان أيضاً بالناحية العاطفية، فتعمّد إثارة نعرة الاعتزاز بالنفس عند اليونان الذين وجّه إليهم خطابه وألحّ على ما كان سائداً بينهم من أفكار عن تميزهم عن البرابرة بغضّ النظر عن مدى مطابقة هذا التصور للحقيقة أو ابتعاده عنها.

وفى رأيي أن كلمنت حين أشار إلى تقليد اليونان للبرابرة، كان يفعل ذلك بنية

كبير الآلهة لا زيوس. راجع:

Guthrie, W.K.C: Flux and Logos in Heraclitus, p. 197; (in: Rorty, Amélie, Oksenberg (ed.), op.cit.)

وقد رمى كلمنت هيراكليتوس بالإلحاد. راجع: R.E. Witt, op.cit., p. 195.

(١٦) "το πυρ, θεον υπειληφατον Ιππασος Τε ο Μεταποντινος και ο Εφεσιος Ηρακλειτος.", Clement, op.cit., V. 55.

(١٧) Guthrie, W.K.C: *Flux and Logos in Heraclitus*, p. 205 (in: Rotry, Amélie, Oksenberg (ed.), op.cit.); Jonathan Barnes, op.cit., p. 61.

(١٨) Clement, op.cit., V. 56.

"περσων δε οι μαγοι το πυρ τετιμηκασι και των την Ασιαν κατοι κουντων πολλοι"

وقد اتفق كلمنت مع فيلون العبرى حيث رأى أن أكثر الأفكار اليونانية أهمية تم اقتباسها من (الفلسفة البربرية) من العهد القديم وحول ذلك انظر: R.E. Witt, op.cit., p. 199.

إثارة اليونان ليجعلهم يتركون هذه العبادة، ويتضح هذا المعنى حين يقول عن الفلاسفة اليونان الذين يؤلهون العناصر الأساسية فى استنكار ظاهر "فليعترف (هؤلاء) الفلاسفة أن الفرس والساوروماتيين والمجوس هم أساتذتهم الذين أخذوا عنهم العقيدة الإلحادية التى تبّجل العناصر الأولى"[١٩]؛ ثم إن كلمنت — فى رأيى — تتبع خطا أفلاطون، فقد ذكر أفلاطون لليونانيين أن مصدر حكمتهم البرابرة حين قال (إن البرابرة أكثر حكمة من الإغريق)[٢٠].

الأمر الآخر الذى عابه كلمنت على هؤلاء المفكرين هو أنهم قدّسوا وألّهوا العناصر الأولى وما يتبعها ونسوا "الأصل العظيم" صانع هذه الأشياء كلها، وخالق العناصر الأولى... التى صُنعت لخدمة الإنسان"[٢١].

وبعد أن تتبع كلمنت هؤلاء الفلاسفة وسار معهم حتى درجة اقتربوا فيها من الوحدانية؛ ينتقل إلى مستوى أعلى قليلاً من المستوى السابق وهو تقديس أو تأليه نوع آخر هو المفاهيم المعنوية مثل "اللانهائى" "το απειρον"[٢٢] الذى نادى بتقديسه أناكسيماندر الميليتوسى[٢٣]. ولم يفسر كلمنت لنا كيف عدّ هذا النوع من المعبودات

---

(١٩) " ομολογουντων τοινυν οι φιλο σοφοι τους διδασκαλους τους σφων περσας η Σαυροματας η μαγους, παρ ων την αθεοτητα των σεβασμιων αυτοις μεμα θηκασιν αρχων", Clement, op.cit., V, 57.

(٢٠) "σοφωτερα, φησιν, τουτων βαρ βαρων τα γενη" Butterworth, op.cit., p. 159, note (b). c.f. Plato, Phaedo, 78A.

(٢١) " αρχοντα τον παντων ποιητην και των αρχων αυτων δημιουργον αγνοουντες,....., τα εις την ανθρωπων υπηρεσιαν πεποιημενα,",Clement, op.cit., V, 57.

(٢٢) Clement, op.cit., V. 57.

(٢٣) وهو القائل بأن الأشياء كلها تأتى من مادة أصلية لكنها ليست الماء (مثلما قال طاليس) أو أى نوع آخر من المواد التى نعرفها. بل هى مادة لا نهائية وأبدية تحيط بالعالم كله. راجع:
Bertrand Russell, op.cit., p. 46.
وعن فكرة "اللانهائى" عند أناكسيماندر راجع أيضاً: Jonathan Barnes, op.cit., pp. 29-37.
راجع:
Kohn, Charles, H.: *Anaximander's, Fragment, The Universe Governed by Law*, p. 99 (in Rotry: Amélie, Oksenberg, op.cit.).

تمهيداً للمسيحية ولكنّى أجد من المحتمل أن يكون السبب هو أن "اللانهائى" أو "اللانهائية" تفوق قدرة الإنسان وبقية الكائنات والعناصر المادية التى تتكون منها الطبيعة وبناء على ذلك فهى تنتمى إلى قدرة أعلى من هذا العالم، وهى فكرة قريبة من فكرة الألوهية التى يتميز فيها الإله بقدرة لا نهائية. كما يذكر كلمنت أن بعض الفلاسفة نادوا بتأليه عنصر آخر هو "العقل"[٢٤] "ονους" ومنهم أناكسيماندر الكلازومينى[٢٥]، وأرخيلاوس الأثينى، اللذين اتفقا على وضع العقل فى مرتبة فوق اللانهائى. وظن هؤلاء الفلاسفة أن الله هو العقل، ونلاحظ هنا أن كلمنت لم يعلق على هذين المعبودين ولكن يبدو من سياق الكلام أنّه يدمجهما تحت تعليقه السابق وهو أنهما لم يخلقا العالم والكائنات، ولكن الله أو الصانع الأول هو الذى خلقهما. ثم يتحدث كلمنت بعد ذلك عن مستوى يبدو من حديثه أنه يجده أعلى قليلاً من المستوى السابق، وهو تقديس النجوم (αστεραι)، ويقدم أمثلة على ذلك مثل منها ما عند الكمايون الكروتونى الذى ظن أن النجوم مليئة بالحياة، وبناءاً على ذلك عدّها آلهة[٢٦]. وكذلك يذكر كلمنت أنّ كسينوكراتيس الخلقدونى (καλχηδονιος) بحث أيضاً فى الكواكب وافترض أنّ الكواكب آلهة سبعة[٢٧]. ولا يذكر كلمنت لماذا يُدخل الحديث عن تأليه النجوم والكواكب ضمن هذا النوع "الأرقى" و "الأكثر تميّزاً" من التفكير الفلسفى. ولكن يبدو من هذا الترتيب الذى وضعها فيه أنّه عدّها أرقى من العناصر الأساسية المادية

---

(٢٤) وقد تأثر كلمنت أيضاً بالنظرية الفيثاغورية الجديدة فى قولها بأن الله هو العقل، وقد وردت الإشارة إلى ذلك عند شميكل (Schmekel) الذى قال إن بوسيدونيوس أشار إلى الله فى قوله: إن (الله واحد، وهو ليس كما يفترض البعض، خارج نظام هذا العالم، لكنه موجود بداخله، الكل منه، وتحت سيطرته، يراقب الخلق جميعاً، وهو القديم، مصدر الأعمال والقوى كلها، وهو الذى منح النور للسماء، وهو العقل مصدر الحياة، والحركة للأشياء كلها). R.E. Witt, op.cit., p. 196.

(٢٥) وهو القائل بأن أى شئ قابل للقسمة بلا نهاية، وقدْ أشار إلى العقل بأنه مصدر للحركة ككل. فهو الذى يسبب الحركة التى تنتشر بانتظام خلال العالم. وهناك أيضاً أناكساجوراس الكلازومينى الذى انتبه إلى العقل واهتم به وحول فكرته عن العقل أو (النوس) انظر: إميل برهيية، تاريخ الفلسفة (الفلسفة اليونانية)، (مترجم)، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٢، ص ٩٥.

(٢٦) Clement, op.cit., V 58.

(٢٧) "επτα μεν θεους τους πλανη τας"، Clement: op.cit., V. 58.

الموجودة فى حياتنا على الأرض (التراب والماء والنار والهواء). كما إنه لم يعلق على رأى الفلاسفة الذين ألّهوها أو على رأى أولئك الذين ألّهوا المفاهيم المعنوية. ولعلى — فى غياب مثل هذا التعليق — أستطيع القول بأنّ ما ذكره كلمنت فى حالة العناصر الأساسية من تعليق يمكن أن يُقال هنا أيضاً ينطبق وهو: أن الفلاسفة نسوا خالق هذين النوعين: المفاهيم المعنوية من جهة والنجوم والكواكب من جهة أخرى — وهو الله، الصانع الأول.

ثم يصل كلمنت إلى مستوى آخر من الفلسفة والفلاسفة أكثر رقّياً فيتكلم عن بعض المذاهب الفلسفية التى ظهرت وشاعت فيما قبل عصره وأدلت بدلوها فى البحث عن المفهوم الحقيقى للإله؛ وأول هذه المذاهب من حيث تدرج الأفكار (بغضّ النظر عن التتابع الزّمنى).

- مذهب المشائين(٢٨) (οι περιπατοι):

عند الحديث عنه يذكر كلمنت رأى أرسطو القائل بأن الله — الذى أطلق عليه اسم (الأعلى) — هو روح العالم وأن العناية الإلهية تمتد حتى القمر(٢٩).

وعلى الرغم من أن صاحب هذا المذهب وهو أرسطو اجتهد فى البحث عن الله وأشار إلى أنه روح العالم. إلا أن كلمنت قد وجه له سهامَ النقد أيضاً قائلاً إن أرسطو كان يناقض نفسه برأيه هذا، إذ كيف يقول إن الله روح العالم ثم يقول إن عنايته تمتد حتى القمر فقط؛ فإذا كان الله روح العالم فلابد أن تشمل عنايته العالم كله(٣٠). فأين العناية الإلهية بالنسبة للجزء الباقى من العالم؟(٣١)

---

(٢٨) كلمة المشائين περιπατοι تعنى المشى أو مكان المشى، والمشاؤن أو περιπατητικοι هم الذين يمشون وقت التعليم، وصاحب هذا المذهب هو أرسطو، وكان أتباعه يُدعون البيريباتيتيكيون.

Liddle & Scott, Greek Lexicon, περιπατητικος, p. 629.

(٢٩) (και ο γε της αιρεσεως πατηρ, των ολων ου νοησας τον πατερα, τον καλουμενον υπατον ψυχην ειναι τουπαντος οιεται) Clement, op.cit., V. 58.

(٣٠) Clement, op.cit., V.58، وحول فكرة أرسطو عن "المحرك الأول" أو "الأعلى"، راجع:

وقد تعددت آراء المفكرين الوثنيين والمسيحيين حول ما أشار إليه أرسطو عن العناية الإلهية[٣٢]، واتفق كلمنت مع الآراء التى تشير إلى أن أرسطو ذكر أن هناك عناية إلهية تشمل العالم كله، لكن القوانين التى تحكم الجزء العلوى من العالم تختلف بطبيعة الحال عن تلك التى تحكم الجزء السفلى منه، لأن الجزء العلوى من العالم يختلف فى تكوينه وطبيعته عن الجزء السفلى.

وعلى الرغم من هذا كله يمكن أن يُستخدم ما سبق بمثابة للمسيحية على أساس أن فكرة وجود قوة عليا تحكم العالم بصرف النظر عن تقسيم هذا العالم إلى جزئين أو غير ذلك ظهرت عند أصحاب هذا المذهب.

وبعد مذهب المشائين ينتقل كلمنت إلى مذهب آخر عده أيضاً ممهداً للمسيحية؛ لأن أصحابه أيضاً بذلوا جهوداً كبيرة وقدموا اجتهادات كثيرة فى البحث عن المفهوم الحقيقى للإله؛ وهو:

- مذهب الرّواقيين:[٣٣] (οι αποτης Στοας)

وقد نادى أصحاب هذا المذهب بأن الإله موجود فى الأشياء كلها؛ وقالوا إنّ الطبيعة الإلهية تحل حتى فى أدنى أشكالها، والله عندهم ليس منفصلاً عن العالم بل هو بداخل كل مخلوق من مخلوقاته؛ وقد استشهد كلمنت بآراء هؤلاء كتمهيد للمسيحية، لأن فكرة (الصانع الأول)[٣٤] ظهرت عندهم وهى من الأفكار التى تدعو لها المسيحية، لكن هذا المذهب لم يسلم من نقد كلمنت أيضاً[٣٥].

إميل برهيية: المرجع نفسه، ص ص ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٨.

(٣١) (ογαρ τοι μεχρι της σεληνης αυτης διοριζων την προνοιαν, επειτα τον κοσμον θεον ηγουμενος περι τρεπεται, τον αμοιρον του θεου θεον δογματιζων).

(٣٢) Butterworth, op.cit., p. 150, 151, note (B).

(٣٣) Clement, op.cit., V. 58.

(٣٤) فقد نادوا بأن هناك إله واحداً فطرياً (طبعياً)، راجع:

Price, Simon, op.cit., p. 138.

(٣٥) παρελευσομαι δια πασης υλης, και δια της ατιμοτατης, το θειον

وعلى الرغم من كلمنت لا يمتدح فكرة الحلول هذه إلا أن من الواضح أنه يعدها من الأفكار الممهدة للمسيحية من حيث اعتراف أصحابها بوجود إله يسيطر على الكون كله، لكنه ــ مع ذلك ــ يعود فيعترض على هذه الفكرة قائلاً: "إن هؤلاء الرجال (الفلاسفة الرواقيين) قد "جللوا الفلسفة بالعار بغباء[٣٦] " οι καταισχυνουσιν ατεχνως την φιλοσοφιαν " ولعل اعتراض كلمنت كان منصباً على نوع العلاقة بين الإله عند الرواقيين والمادة وهذا الخلط المادى بين الإله وبين أدنى أشكال المادة.

ولكن يبقى الأمر قائماً وهو أن كلمنت عرض علينا وعلى المستمعين والقارئين لخطابه فى عصره، هذ الرأى الذى يقترب كثيراً من فكرة وجود الله، وإن لم يبيّن لنا موقعه أو قيمته على الطريق الممّهد للمسيحية، وحتى لو اعترض على بعض تفاصيل هذا الرأى ووصفها بأنّها تدعو إلى العار دون أن يقدّم لنا نقداً لهذه الأفكار.

فلسفة أفلاطون[٣٧]:

ثم ينتقل كلمنت بعد ذلك إلى أرفع مستوى من التفكير فى مفهوم الألوهية وهو الذى وجده عند أفلاطون، وقد اهتم كلمنت بأفلاطون وتأثر به كثيراً لأنه أكثر الفلاسفة اقتراباً من حقيقة الله[٣٨]، إذ وردت عنده فكرة الوحدانية، حين تحدث عن

διηκειν λεγοντας". Clement: Protrep. V., 58.

(٣٦) Clement, op.cit., V. 58.

(٣٧) لم تكن فكرة الإله محددة عند أفلاطون، إذ هو عنده متفاوت القيمة والمكانة والنفع من موضع لآخر وهو المسئول عن الأحداث المجهولة والأحداث الخارقة غير العادية فقط، أما الأحداث المعتادة المتكررة فنسبها أفلاطون إلى آلهة أخرى محلية، وعلى الرغم من ذلك كانت فكرة الإله مسيطرة دائماً على كتابات أفلاطون وفكره، وكان يرى أن العالم كله يتحرك لكن شيئاً واحداً لا يتحرك بل يبقى ساكناً هو الروح التى يقصد بها أفلاطون الإله، راجع: Fox, Adam, op.cit., pp. 90, 91.

(٣٨) R.E. Witt, op.cit., p. 195.

وعن مدى تأثر كلمنت بأفلاطون وحبه له راجع أيضاً:

الخير (To καλον)[٣٩]، ورأى أنه لابد أن يكون هناك إله هو الذى يسبب الخير ووصف الإله بأنه "روح الخير التى تحرس العالم وتحميه على طول الطريق"[٤٠].

ويعتقد آدم فوكس أن الرأى القائل بأنه ما دام الإله خير، فهو لا يتسبب فى الشر مطلقاً يعود إلى أفلاطون[٤١]، وذكر لنا كلمنت طريقة أفلاطون فى البحث عن الله حيث يقول: "أنه عمل شاق، أن تجد الأب، وصانع هذا العالم، وعندما تجده، فإنه من المستحيل أن تعلنه للجميع"[٤٢].

وقد استشهد كلمنت هنا برأى أفلاطون عن المفهوم الحقيقى للإله، وعدّه خير ممهد للمسيحية، فقد وردت عنده فكرة الأبوة، والصانع الأول لهذا العالم، كما وردت عنده أيضاً فكرة تعد من أهم الأفكار التى مهدت للمسيحية، وهى أن الله لا يُرى، ولا يمكن وصفه لأنه فوق الوصف[٤٣].

وقد أشار أحد المؤرخين المحدثين إلى أن العالم عند أفلاطون ملئ بالآلهة، لكنه يؤكد أن إلهاً واحداً فقط هو الإله الحق، وهو الواحد، وهو الخير، وهو الأفضل هذا الإله هو "فكرة الخير الأسمى"[٤٤] (To καλον) ولكن على الرغم من تعدد الآلهة إلا انه لا يوجد تناقض بين تعدد الآلهة والوحدانية.

ولهذا تمنى كلمنت لو أن أفلاطون استكمل البحث عن الله بالطريقة نفسها

---

(٣٩) Tollinton R.B., op.cit., Vol. I, p. 150.
R. Joseph. Hoffmann, op.cit., p. 91.
وحول رأى أفلاطون عن الخير الأسمى راجع: Clement, Protep. V. 59, 60.
وعن إشارة أفلاطون إلى الخير انظر أيضاً: R.E. Witt, op.cit., p. 195.

(٤٠) Fox, Adam, op.cit., p. 92.

(٤١) Fox, Adam, op.cit., p. 93.

(٤٢) "Τον γαρ πατερα και ποιητην τουδε τον πατος ευρειν τε εργον και ευροντα εις απαντας εξειπειν αδυνατον". Butterworth, op.cit., p. 154, note (a). c.f. Plato, Timaeus 28 C; Heracletus, Frag. 80.

(٤٣) R. Joseph. Hoffmann, op.cit., p. 111.

(٤٤) Fox, Adam, op.cit., p. 93.

دون توقف(٤٥)، ونلاحظ هنا أنّ كلمنت يتحدث بأسلوب شـاعرى كمـا لـو كـان أفلاطون لا يزال موجوداً أمامه، ويلغى الفارق الزمنى بينهما، وهو ما يـدل علـى مدى تأثره بأفلاطون، لا بأفكاره وحدها وإنما تأثر بأسـلوبه فـى الكتابـة أيـضاً، والقارئ لكتاب كلمنت (خطاب وعظى) يرى كم هو مدين بالكثير لأفلاطون سـواء من ناحية اللغة أم الفكر، فهناك عدد كبير من الاقتباسـات عنـد كلمنـت، ترجـع لأفلاطون، كما يظهر فى كتاب كلمنت مدى احترامـه الـشديد لـذلك الفيلـسوف اليونانى الذى ينظر له على أنه باحث عن الحقيقة، ثم إن كلمنت تأثر بدرجة كبيـرة فى كتابه (خطاب وعظى) بمحاورة أفلاطون (فايدروس)(٤٦) وكان ـ فـى بعـض الأحيان ـ يحول الاقتباسات التى أخذها من أفلاطون إلى نماذج مسيحية(٤٧).

إن التأثير الأفلاطونى يظهر فى كل مكان من كتاب كلمنت، ويمكن القول بأن كلمنت يصل إلى قمة إبداعه وتألقه عندما يكتب تحت تأثير أفلاطـون، والكتابـات المقدسة.

وفى مجال الحديث عن أراء الفلاسفة هناك استثناء لأن حـديث كلمنـت لـم يقتصر على الفلاسفة الذين تدرجوا بأفكارهم نحو المسيحية، بل تطرّق كـذلك إلـى الفلاسفة الذين هاجموا فكرة الألوهية ذاتها؛ من منطلـق رفـضه لأفكـار هـؤلاء الفلاسفة، وعلى أساس أن اليونان يعرفون أفكار هـؤلاء الفلاسـفة، ومـن ثـم لا يستطيع أن يتجاهل ذكرهم أو ذكر أفكارهم وعلى سـبيل المثـال يـذكر كلمنـت الفيلسوف أبيقور؛ فيقول: "أما أبيقور، وحده، فإنىّ سأستبعده من الذاكرة، وسـأفعل ذلك بكامل إرادتى، لأنّه ابتعد إلى أقصى حدّ عن الإيمان حـين رأى أن الله لـيس

---

(٤٥) Battles. Lewis. Ford, op.cit., p. 50.

(٤٦) حول مدى تأثر كلمنت بمحاورة أفلاطون فايدروس والتشابه الوثيق بين كلا العملين راجع:
Butterworth, G.W., Clement of Alexandria Protrepticus and The Phaedrus of Plato, Classical Quarterly, X, 1916, pp. 198-205.

(٤٧) وعن اقتباسات كلمنت من أفلاطون وتحويلها إلى نماذج مسيحية. راجع:
Butterworth, G.W., op.cit., p. 202.

لديه أدنى اهتمام بالعالم"[٤٨]، وأرى أن كلمنت ابتعد هنا عن المنهج الـذى اختطـه لنفسه وهو الاعتماد على التفسير أو النقد العقلانى للفلاسفة، وحكـم علـى أبيقـور حكماً عاطفياً لا حكماً تفسيراً عقلانياً. وفى النهاية أقول إنه كان على كلمنت عنـدما استشهد بالفلسفة اليونانية كتمهيد للمسيحية أن يُدرك أنه بصنيعه هذا يزيد من قيمـة الفلسفة اليونانية. وكان عليه أن يتوخى الحذر لأن الفلسفة اليونانية يمكـن أن تهـدد المسيحية، والنظم الفلسفية تختلف عن التعاليم المسيحية[٤٩]، لكن الحق يقال إنه على الرغم من تأثر كلمنت القوى بالفلاسفة ومذاهبهم وأفكارهم إلا أنه كـان دائمـاً مـا يختار من مذاهبهم وأفكارهم هذه ما يتلاءم مع أفكاره وعقيدته.

٢ـ الشعراء :

ولم يكتف كلمنت بالفلاسفة والفلسفة التى خاطب بها المثقفين اليونان بل اتجـه للاستشهاد بالشعراء، لأن الشعر يخاطب اليونان جميعاً لأنهم كانوا يقدرون الـشعر ويحبّونه حباً جماً بل إن كثيرين منهم كانوا يتفاخرون بقدر ما يحفظونه من الشعر، ومن المرجّح ــ إن لم يكن من المؤكّد ــ أنّ هذا الأمر كان واضـحاً فـى ذهـن كلمنت؛ فهو يونانى يعرف ميول اليونانيين إلا أنّه ذكـر سـبباً آخـر لاستـشهاده بالشعراء فى مجال الحديث عن التمهيد للعقيدة المسيحية هـو أن الـشعر ــ علـى الرغم من اهتمامه اهتماماً كلياً بما هو باطل ــ يشهد للحق والحقيقة ويقر أمـام الله بانحرافه عنهما[٥٠]، وقد استخدم كلمنت الشعر اليونانى كثيراً وبحرية سلاحاً ضـد اليونانيين، وأظهر لهم إلى أى مدى يُدرك شعراؤهم حقيقة آلهـتهم[٥١]، وقـد قـسّم كلمنت الشعراء إلى قسمين: قسمٌ عظّم الإله الحقّ وذكر صفاته، وقسم نقـد الآلهـة الوثنية التى عبدها اليونان. وأبدأ بالحديث عن القسم الأول من هؤلاء الشعراء.

---

(٤٨) (Επικουρου μεν γαρ μονου και εκων εκλησομαι, ος ουδεν μελειν οιεται τω θεω, δια παντων ασεβων). Clement, op.cit., V. 58.

(٤٩) Matthew, F. Dowd, *The Attitudes of Clement of Alexandria Towards Greek Medicine*, Notre Dame University, 1996, p. 8.

(٥٠) Clement, Protrep. VII. 62.

(٥١) Matthew. F. Dowd, op.cit., p. 8.

(أ) الشعراء الذين عظّموا الله وذكروا صفاته:

ويستشهد كلمنت بهؤلاء الشعراء لأن من أفكارهم — كما يرى — أفكاراً تعدّ تمهيداً للمسيحية، وإن كان يعيب عليهم بعض ما يقولون فى بعض الأحيان، ومن هؤلاء الشعراء الذين عظّموا الله، وذكروا صفاته: يذكر كلمنت الشاعر أراتوس(٥٢) (Αρατος) الذى قال: (تحية، أيها الأب العظيم، والمساعد العظيم للبشر)(٥٣).

فها هى فكرة الأبوة، والمساعدة التى يقدمها الإله للبشر وهى تقابل فكرة الأبوة عند المسيحية. وهناك مثال آخر ضربه كلمنت، هو ما ورد عند الشاعر هسيودوس حين قال: "لأنه ملك وسيد على الجميع، لا يوجد إله آخر يضاهيه من حيث القوّة"(٥٤).

وكلمات هسيودوس هذه لا تعد حُجة قوية فى الحقيقة على وجود إله واحد خالق لهذا الكون لأن قوله إن هذا الإله لا يضاهيه إله آخر فى قوته يعنى احتمال وجود آلهة أخرى تضاهى هذا الإله فى أية صفة أخرى، كما أن هذا قد يعنى أيضاً أنّ هناك آلهة أخرى أقل قوة من هذا الإله، بالإضافة إلى وجود زيوس كبير الآلهة، الذى يمتاز بقوته وعظمته.

لكن كلمنت حاول أن يستخلص من كلام الشاعر ما يهمه وهو فكرة وجود إله قوى ليس لقوته مثيل.

وإذا كان ما تضمنه شعر هسيودوس غير كافٍ لوصف الإله الواحد، فإن كلمنت يقدم استشهادات شعرية أخرى، تحوى أفكاراً أقرب إلى الصفات الإلهية

---

(٥٢) وهو شاعر سكندرى ظهر فى القرن ٣ ق.م وكان عالم فلك أيضاً.

(٥٣) (χαιρε, πατερ, μεγα θαυμα , μεγ ανθρωποισιν ονειαρ). Butterworth, op.cit., p. 165, note (a), Apud, Aratus, Phaenomena 13-15.

(٥٤) (αυτος γαρ παντων βασιλενς και κοιρανος εστιν, αθανατων τεο δ ουτις ερηρισται κρατος αλλος). Butterworth, op.cit., p. 165, note (b), Apud, Hesiod, Frag. 195. Rzach.

الموجودة فى المسيحية؛ وإن كان بعض المقتطفات أو الأبيات منها، لا تثبت هذه الصفات بشكل واضح، ومن هذه الاستشهادات أن سوفوكليس تحدث عن إله واحد خالق لهذا الكون حين قال: "واحد فقط، إله واحد هو فى الحقيقة الذى خلق السماوات العُلا، والأرض، وهذه الومضة فى أمواج البحار، والرياح العاتية(٥٥).

وهناك ملاحظة على شعر سوفوكليس يجب أن تُذكر هنا، وهى أن الشاعر كان يحاول دائماً أن يقّرب بين البشر والآلهة، بل كان يسوّى فى بعض الأحيان بين البشر الفائقين والآلهة وهو أمر نراه ــ على سبيل المثال ــ فى مسرحية أوديب ملكاً حين يذهب قسم من أهالى طيبة إلى قصر الملك أوديب ليطلبوا منه أن يفعل شيئاً ليرفع اللعنة التى نزلت بالمدينة وأهلها، ويخاطب الكاهن الذى كان ضمن الوفد أوديب قائلاً:

أيها الملك، إننا نجلس أنا وهؤلاء الشباب، فى حرم (قصرك) ضارعين لك "لا بوصفك إلهاً جديداً بل بوصفك خير البشر"(٥٦) ــ وهو تصوّر يدّعمه ما يقوله الكاهن فى بداية كلامه حين يذكر أن قسماً من أهل طيبة ذهبوا إلى معبد أثينا ليضرعوا إليها بينما جاء القسم الآخر ليضرع إلى أوديب(٥٧) للغرض نفسه، ولعل كلمنت أراد أن يظهر تسوية سوفوكليس بين الآلهة والبشر(٥٨).

وفى ضوء ما يظهر بوضوح فى بداية مسرحية "أوديب ملكاً"، فإنّ النصّ الذى استشهد به كلمنت على وحدانية الله يبدو قلقاً بعض الشئ، وهناك افتراض يمكن أن يجلو حقيقة الأمر وهو احتمال أن تكون هذه الأشعار من صنع اليهود أو

---

(٥٥) (εις ταις αληθειαισιν, εις εστιν θεος, ος ουρανον Τετευξε και γαιαν μακρην ποντου τε χαροπον οιδμα κανεμὼν βιας),
Butterworth, op.cit., p. 165, note (d), Apud, [Sophocles] Frag. 1025. Nauch.

(٥٦) Sophocles: Oedipus Rex, 31-34.

(٥٧) Grant. Michael, *Myths of The Greek and Romans*, Weidenfeld and Nicolson, London, 1969, pp. 215... ff; Guerber. H.A., op.cit., pp. 246: 255

(٥٨) Sophocles: Oedipus Rex, 14-21.

المسيحيين لنصرة موقفهم أمام اليونان الوثنيين الذين يعظمون شعراءهم تعظيماً كبيراً، ولو سلمنا بصحة هذا الفرض لكان معنى ذلك أن هذا النص منحول، موضوع على لسان الشاعر المذكور لكن ما شاع آنذاك هو أنه نص حقيقي. كما استشهد كلمنت بنقد الشاعر يوريبيديس للآلهة وهو ما سيأتي فى القسم الثانى من الحديث عن شهادة الشعراء.

وأخيراً يصل كلمنت إلى الشاعر أورفيوس الذى اقترب كثيراً من الفكرة المسيحية عن الإله الواحد الخالق عندما قال: "انظر إلى الكلمة الإلهية، ووجّه قلبك وعقلك الاتجاه الصحيح، سر على الصراط المستقيم، وانظر إليه، حاكم العالم، ملكنا الخالد(٥٩). ثم أضاف بعد ذلك صفات أخرى إلى الله؛ فقال عنه: "إنه واحد، لا يولد، لايراه أحد، وهو يرى الجميع(٦٠).

ونلاحظ هنا أن استشهاد كلمنت بأورفيوس يعد استشهاداً قوياً إذ وردت عنده صفات الله كما فى المسيحية، وهى أن الله حاكم هذا العالم، وهو خالد، وواحد، لا يولد، ولا يراه أحد، وهو يرى الجميع. كما وردت (الكلمة الإلهية) أيضاً عنده ولها مقابل فى المسيحية هو (كلمة الله) والمقصود بها فى المسيحية السيد المسيح عليه السلام. ولعل أورفيوس أدرك فى النهاية أنه ضالُ تائه واهتدى فى النهاية الى الحقيقة، عندما قال: "أيها الإنسان المتخبط، لا تتوقف بعد الآن، عُد مرة أخرى وابتهل إلى إلهك"(٦١).

---

(٥٩) "εις δε λογον θειον βλεψας τουτω προσεδρευε, ιθυνων κραδιης νοερον κυτος ευ δεπιβαινε ατραπιτου,μουνον δεσορα κοσμοιο α νακτα αθανατον".
Butterworth, op.cit., p. 167, note (a) (Apud) Orpheus, Frag. 5. Abel

(٦٠) "εις εστ', αυτογενης, ουδε τις αυτον εισοραα θνητων αυτος δε γε παντας οραται.
Butterworth, op.cit., p. 167, note (a) (Apud); Orpheus, Frag. 5 Abel.

(٦١) "αλλα συ μη μελλων, βροτε ποκιλομητι, βραδυνε, αλλα παλι μπλαγκτος στρεψας θεον ιλασκοιο", Butterworth, op.cit., p. 167, n. (b).

(ب) الشعراء الذين نقدوا عبادة الآلهة:

ثم انتقل كلمنت بعد ذلك إلى القسم الثانى من الشعراء وهم الذين نقدوا عبادة الآلهة اليونانية وهو يحمد لهم ذلك لأنهم بصنيعهم هذا يعدون فى نظره ممهدّين للمسيحية بشكل من الأشكال، ومن هؤلاء الشعراء، هوميروس[٦٢] الذى سخر من عبادة ديونيسوس وقال عنه: "إن هذا الإله الأحمق، كان يتعقب مربياته فوق تل نيسا المقدس"[٦٣].

وسوفوكليس الذى رأينا كيف ضمّن شعره مدحاً وتعظيماً ووصفاً للإلــه مــن قبل، كما نقد عبادة الآلهة فقال: "نحن البشر العابثين، تمتلئ قلوبنــا بالخطايــا ثــم نبحث عن تفريج لمتاعبنا بإقامة تلك الصور للآلهة المصنوعة من الأحجار للآلهة، أو من البرونز أو الذهب أو العاج ثم نضحىّ (نقدم القرابين) لها ونقيم الاحتفــالات، ونظن أن هذا تديُن[٦٤].

وقد استفاد كلمنت من هذا النقد فى حديثه عن التمهيد للمسيحية، فالشاعر هنــا يستنكر ـــ بشكل واضح ـــ عبادة الآلهة، والاحتفالات، والطقوس التى تمارس فـــى تلك الاحتفالات مشيراً إلى أنها عبث لا طائل من ورائه.

ووقف كلمنت أيضاً عند الشاعر ميناندروس الذى نقد هو الآخر عبادة الآلهــة وظهر ذلك فى مسرحيته (سائق العربــة) (εν Ηνιοχω)، إذ لا يعتــرف فيهــا بطقوس عبادة الآلهة ويقول: "بالنسبة لى لا يكون إلهاً من يسير فى الــشوارع مــع سيدة عجوز، ثم يتسلّل (ومعه صورة) موضوعة على صينية إلى البيــوت (معابــد الآلهة)"[٦٥]، وهو هنا ينقد طقوس عبادة الآلهة كيبيلى (κυβελη) التى منها وضع

---

(٦٢) وقد استشهد كلمنت بكلمات لهوميروس أيضاً من الأوديسية (.Homer, Odyssey. XIX 163) فحواها أن ما يعبدون من الآلهة ليست خالدة بل هم ببساطة بشر فانون، وحول هذا راجع: .Jean-Pierre Vernant, op.cit., pp. 102, 103

(٦٣) Butterworth, op.cit., p. 171. c.f. Homer: Iliad. VI, 132-134 (o).

(٦٤) Butterworth, op.cit, p.165, note (d), (Apud), (d) Sophocles. Frag.1025. Nauck.

(٦٥) "ουδεις μαρεσκει (φησι) περιπατων εξω θεος μετα γραος, ουδ εις

تمثال أتيس (Attis) رفيق كيبيلى فى صينية القرابين.

كما يقدم كلمنت مثالاً آخر على نقد ميناندروس لعبادة الآلهة فى مسرحيته الكاهنة: (Ιερεια)، حيث يسخر من الآلهة قائلاً: "إذا كان فى استطاعة الإنسان أن يستحضر الآلهة حيث يريد عن طريق الصنج، فالإنسان إذن أقوى من الآلهة، وهذه طرق مشينة للحياة ابتدعها البشر"(٦٦). وهكذا استخدم كلمنت بمهارة رفض ميناندروس لعبادة الآلهة، وسخريته منها ومن طقوس عبادتها.

كما تكلم كلمنت عن الشاعر يوريبيديس، وهو من الشعراء الذين كانوا يمتازون بالجرأة فى عرض آرائهم أمام الجمهور دون حرج أو خوف ففى مسرحياته، كان يصور الآلهة على أنهم مجموعة من العابثين الذين لا يهتمون بمصير البشر.

وهو ينتقد الآلهة فى مسرحيته أيون (Ion) على سبيل المثال قائلاً:"كيف يكون هؤلاء الآلهة الذين وضعوا القوانين للبشر هم أنفسهم الذين يرتكبون الأعمال المشينة(٦٧). واستشهد كلمنت أيضاً بقول هذا الشاعر – وقد نظر إلى الفضاء –: فلنتخذ هذا إلهاً "(٦٨) "Τον δε ηγου θεον".

ونلاحظ مما سبق أن كلمنت ساق أمثلة من كلام يوريبيديس وغيره من

οικιας παρεισιων επι του σανι διου".
Butterworth, op.cit., p. 168, note (a) (Apud) Koc, Comic. Attic. Frag. III, p. 58.

(٦٦) "ει γαρ ελκει τον θεον, τοις κυμβαλοις ανθρωπος εις ο βουλεται, ο τουτο ποιων εστι μειζων του θεου αλλ εστι τολμης και βιου ταυτ ορ γανα ευρημεν ανθρωποισιν".
Butterworth, op.cit., p. 169, note (d). c.f.Menander, Frag 245, Kock, Comic, Attic. Frag. III, p. 70.

(٦٧) "πως ουν δικαιον τους νομους υμας βροτοις γραψαντας αυτους αδικιας οφλισκανειν;"
Butterworth, op.cit., p. 172, note (c), (Apud) Euripides, Ion, 442-447.

(٦٨) Butterworth, op.cit., p.165, note (c) (Apud) Euripides, Frag, 941, Nauck.

الشعراء عادّاً إياها تمهيداً للمسيحية أو عرضاً سابقاً لأفكارها، كما نلاحظ أن كــلام هؤلاء الشعراء يحتمل أكثر من معنى؛ أحدها الذى يرمى إليه كلمنت وهو التمهيــد للمسيحية ونقد عبادة الآلهة والقول بإله واحد اعتماداً على أن التمهيد يعنى ألا تكون الفكرة مكتملة بالضرورة بل مجرد بداية لا أكثر.

لكن من يقرأ كلام يوريبيديس السابق يمكن أن يستنبط منه معنـــى آخــر؛ إذ يمكن أن يفهم منه وجود آلهة مختلفين لكنهم عابثون لاهــون؛ لا يهتمـــون بحيــاة البشر، ومن ثم فلا فائدة تُرجى منهم لكن كلمنت أجاد ــ على أية حال ــ اســتغلال جرأة يوريبيدس فى عرض آرائه الصريحة عن الآلهة الوثنية، وأثبت لهم أيضاً أن أحد شعرائهم الذى يجلونه لم يكن حسن الرأى فى تلك الآلهة الزائفة.

الفصل الخامس

شهادة النبوءات اليهودية

(أ) النبوءات التى تتحدث عن صفات الله الخالق.

- النبوءات التى تنقد عبادة الآلهة الوثنية.

(ب) عرض كلمنت لأفكار المسيحية التى تختلف عن الأفكـــار اليهودية:

- فكرة الأبـــوة.
- فكرة السيـــد.
- فكرة الوحدانية.
- فكرة الكلمـــة.
- فكرة العقاب الذى ينتظر الكافرين.
- فكرة الخـــلاص.

*** الأساليب التى اتبعها كلمنت لتأييد دعوه:**

- أسلوب الجناس.
- أسلوب التخريج.
- أسلوب الانتقاء.
- اللجوء إلى العاطفة والإيمان.

هكذا إذن اعتمد كلمنت على ما جاء عند الفلاسفة بوصفهم يمثلــون التفكيــر العقلانى اليونانى والشعراء اليونان ليبّين أن ما جاء فــى مؤلفــاتهم مــن آراء أو إشارات يعد فى الحقيقة تمهيداً لما بشّرت به المسيحية. غير أن كلمنت لــم يكتــف بهذا فى تحقيق هدفه بل لجأ إلى مصدر ثالث هو نبوءات عدد من أنبيــاء اليهــود، وهو يبدأ حديثه هنا بإظهار قيمة النبوءات بشكل عام لأفراد المجتمع اليونانى الــذى ضم عدداً من الحكماء والمفكرين، ويذكر أدلة على قيمة هذه النبوءات:

والـــــدليل الأول: أن النبــــوءات تكــــشف بـــــشكل واضـــــح عـــــن التقوى(θεοσεβια)[1]، أما **الـــدليل الثـــانى** : فأنهـــا تـــضع الأســـاس للحقيقـــة (αληθεα)، **والدليل الثالث** والأخير أن النبوءات تقدم أســـس الحيـــاة الفاضـــلة، وأقصر الطرق للخلاص (σωτηρια)[2] الذى كان مطمـــع اليونـــان فـــى ظـــل الظروف العصبية والصراعات المتأججة فى عصر كلمنت بين القـــادة العـــسكريين على العرش الإمبراطورى، وتهديد حدود الإمبراطورية واختراق حـــدود إيطاليـــا وهجمات البرابرة والبارثيين بالإضافة إلـــى الثـــورات التـــى لـــم تكـــن شـــعوب الإمبراطورية تكف عن القيام بها ضد الإمبراطورية كما ذكرت فى مدخل الرسالة.

الوضع بالنسبة للنبوءات اليهودية مختلــف قلـــيلاً عنـــه بالنـــسبة للفلاســـفة والشعراء، لأن عدداً كبيراً من الناس كانوا ينظرون إلى المسيحية فى البداية علـــى أنها طائفة من الطوائف اليهودية[3]. وقد أراد كلمنت أن يبدأ الحديث من هنـــا ثـــم يصل إلى الأفكار المسيحية التى تختلف فيها المسيحية عن اليهودية.

ويرى كلمنت أن النبوءات اليهودية والكتابات المقدسة ليست إلا تمهيداً ثم هى تختلف عنها بعد ذلك فى أفكارها ومضمونها، وقد تعامل كلمنـــت مـــع النبـــوءات اليهودية من هذا المنطلق فأرجع الفضل فى البداية إلى النبـــوءات اليهوديـــة لأنهـــا

---

(١) Battles. Lewis. Ford, op. cit, p.52.

(٢) Clement, op. cit., VIII,66.

(٣) Carry. M. and Scullard, H, op. cit., p.486.

رأفت عبد الحميد: الفكر المصرى فى العصر المسيحى، ص١٠٤، ١٠٥.

أشارت إلى أن هناك إلهاً واحداً خالقاً لهذا الكون كما أنها تُعد خطوة على الطريـــق إلى المسيحية وإن اختلفت عنها اختلافاً كبيراً.

(أ) النبوءات التى تتحدث عن صفات الله الخالق:

وقد قسم كلمنت النبوءات اليهودية قسمين، ويستشهد فى بداية الحديث عن هذا القسم بنبوءة سيبيل[٤](Σιβυλλα)، على الرغم من أنـــه لا علاقـــة لهـــا مطلقـــاً بالنبوءات اليهودية أو الأنبياء اليهود، لكن بعض المشتغلين بـــالأمور الدينيـــة مـــن اليهود والمسيحيين آنذاك اعتادوا صياغة أفكارهم فى كلمات يضعونها على ألـــسنة النبيات لكى يضموا إلى صفوفهم كل من يؤمن بهذه النبوءات، وقد استشهد كلمنـــت بكلمات سيبيل فى نصيحة من يتبعون عبادة الأسرار بأن يتوجهوا إلـــى عبـــادة الله الخالق؛ حيث يقول: "انظر، لقد اتضح للناس جميعاً، أنه (الله) لا يخطئ؛ ابحث فلـــم يُعد هناك كآبة أو ظلام بعد الآن، انظر ضوء الشمس الجميل الذى يـــسطع بقـــوة، اطبعوا، وادخروا الحكمة فى قلوبكم، هناك إله واحـــد، الـــذى يرســـل الأمطـــار، والرياح، والـــزلازل والـــصواعق، والجـــدب، والطـــاعون، والهمـــوم المفجعـــة، والعواصف الثلجية، فلماذا ندعو إلهاً آخر؟ وهو الذى يحكم السماء، والأرض منـــذ القدم"[٥].

ونلاحظ أن هذه النبوءة تشير إلى وجود إله واحد، هو الذى خلق هذا الكـــون بكل ما فيه، وفيها تشبيه واضح للوهم والضلال (والمقصود به هنا عبـــادة الآلهـــة)

---

(٤) (A.S.P) Arrhur. H Pease, Sibylla,(O.C.D).

(٥) "ουτος ιδου παντεσσι σαφης απλανητος υπαρχει ελθετε, μη σκοτινην δε διωκετε και ζοφον αιει, ηελιου γλυκυδερκες, ιδου, φαος εξοχα λαμπει γνωτε δε κατθε μενοι σοφινην εν στηθεσιν υμων εις , θεος εστι, βροχας, ανεμους, σεισμους τι επιεμπων, αστεροπας, λιμους, λοιμους και κηδεα λυγρα και νιφετους και ταλλα, τιδη κ αθ εν εξαγορευω".

وهو ما ورد فى بداية نبوءة سيبيل.

Butterworth, op.cit., p. 175, n. (a), (Apud), Sibylline, Oracles, Preface, 28-35.

بالظلام، ومعرفة الله بالشمس والنور، وهو ما يعد تمهيداً للمسيحية التى تدعو إلـــى ضرورة التوجّه إلى الله، وترك أية عبادة أخرى تدعو إلى الوهم والضلال. كما أن هذه النبوءة وغيرها من اليهودية بدعوتها للبحث عن الله الخالق عقدها للمقارنة بين العبادات الوثنية وعبادة الله الواحد تستخدم المـــنهج العقلـــى، الـــذى كـــان معظـــم اليونانيين يستخدمونه فى البحث عن الحقيقة والوصول إليها.

وقد استشهد كلمنت كذلك بما ورد عند نبى اليهود إرميا، الذى ظهرت عنـــده أفكار قريبة من الأفكار المسيحية؛ منها فكرة الإله الواحد، وأن الله يرى كل شـــئ، وأنه قريب من خلقه ويساعدهم، ومن المعروف أن فكرة مساعدة الإله لخلقه مثلمـــا يساعد الأب أبناءه فكرة شائعة ومسيطرة على المسيحية، وكلمنت يشير إليهـــا فـــى أكثر من مناسبة مكرراً تعبير "أبناء الله" وينقل الفقرة التالية: "تعالوا، تعالوا، أبنـــائى الصغار ! إذا لم تصبحوا مرة أخرى كأطفال صغار وتولدوا مرة ثانية، فلن تـــصلوا إلى الأب[٦].

وقد ذكر إرميا بعضاً من صفات الله فى قوله: "ألعلى إله مـــن قريـــب يقـــول الرب ولست إلهاً من بعيد. إذا اختبأ إنسان فى أماكن مستترة أفمـــا أراه أنـــا يقـــول الرب. أما أملأ أنا السموات والأرض يقول الرب"[٧].

فمن صفات الله هنا أنه قريب مطلع كل شئ لا يخفى عليه شئ، وهـــذا فـــى رأى كلمنت تقديم للفكرة الأساسية لمسيحية وتمهيداً قوياً لها.

وهناك مثال آخر عده كلمنت تمهيداً للمسيحية، هو ما ورد عند إســـحق حـــين وصف الله، ومدى عظمته وقوته قائلاً: "إن التلال سوف تـــصهر قبـــل ان تـــرى وجهك، مثلما ينصهر الشمع قبل أن يرى وجه النار"[٨].

---

(٦) Clement, Protrep. IX. 69. عن الإنجيل القديس متى: الإصحاح١٨، آية ٣، الإنجيـــل: القديس يوحنا: الإصحاح٣، الآيات ٣، ٥.

(٧) العهد القديم، سفر أرميا، الإصحاح٢٣، الآيات ٢٣- ٢٤ (عن) Clement, op. cit., VIII, 66.

(٨) العهد القديم، سفر أشعيا، الإصحاح١٢، الآيات ١-٣ (عن) Clement, op.cit.,

وهناك وصف آخر قدمه إشعيا (Isaiah) لمدى عظمة الله حيث يقول:

(هو الله، الذى عرشه السماء، والأرض مسند لقدميه)[٩]. وهذه أيضاً إحدى الأفكار الأساسية للمسيحية.

ومما ورد عند أشعيا (Isaiah) أيضاً قوله: "إن الأرض سوف تنتهى، والسماء سوف تزول، لكن كلمة السيد سوف تبقى للأبد"[١٠].

ونلاحظ هنا ورود مصطلح (كلمة السيد)، التى تبقى للأبد، وهو ما يقابل الفكرة المسيحية عن كلمة السيد وخلودها. ومن ضمن الصفات التى وردت فى النبوءات اليهودية عن الله تعّظم من شأنه، وتعد تمهيداً للمسيحية صفة الوحدانية، التى وردت عند موسى حيث قال إن الله يُعلن نفسه فيقول: "انظر، انظر، أنا أكون هو، ولا يوجد هناك إله آخر بجانبى، أنا سوف أُميت وأُحيى، أنا سوف ابتلى وأشفى، ولا يوجد شئ سوف يسلم من يدى"[١١]. هذه الفكرة لها مقابل فى المسيحية، أن الله واحد بيده كل شئ فى هذا الكون. ونلاحظ مما سبق أن ما ورد فى هذه الاستشهادات من النبوءات اليهودية يقترب بدرجة كبيرة من الأفكار المسيحية، وهو ما عدّه كلمنت خطوة على الطريق إلى المسيحية.

وقد استشهد كلمنت كذلك بما ورد عند أشعيا (Isaiah) فى قوله (بمن تشبهون السيد)[١٢] وعدّه أيضاً تمهيداً للمسيحية، فقد وردت كلمة السيد هنا وهى تشبه فى المسيحية فكرة الله سيد هذا الكون.

من هنا يمكن أن نستنتج من هذه النبوءة، شيئاً اتسمت به النبوءات اليهودية وهى أنها لا تساوى بين البشر والإله، كما أن هذه الفكرة تختلف عن المسيحية التى تهدف إلى المساواة.

VIII, 66.

(٩) العهد القديم، سفر أشعيا، الإصحاح١٥، الآية ١ (عن) Ibid. VIII. 66.

(١٠) العهد القديم، سفر أشعيا، الإصحاح٥١، الآية ٦ (عن) Ibid., VIII. 67.

(١١) العهد القديم، سفر التثنية، الإصحاح٣٢، الآية ٣٩ (عن) Ibid., VIII. 67

(١٢) العهد القديم، سفر أشعيا، الإصحاح١١، الآيات ١٨-١٩، (عن) Ibid., VIII. 67.

وهناك مثال آخر ورد عند إرميا يذكر فيه صفة أخرى من صفات الله هي الإصلاح، حيث يقول: "منذ أن تركنا الأوثان فإن الحكمة، التى هى كلمته، أعادتنا للحقيقة. هذا هو البعث الأول، البعث من الخطيئة"[١٣]. وقد اقتربت هذه النبوءة إلى حد كبير من أحد المبادئ الأساسية للمسيحية وهى البعث. وقد يؤخذ هذا الاستشهاد على كلمنت؛ لأنه استشهاد بآية مسيحية بينما هو يتحدث عن النبوءات اليهودية.

وقد حاولت المسيحية نشر هذه الفكرة بين أتباعها حتى تعطيهم الأمل فى أنهم ــ على الرغم مما يلاقون فى حياتهم الدنيا من صعوبات وآلام ــ سوف يبعثون بعد الموت ويكافأون على أعمالهم الصالحة بالدخول فى جنات الله.

هكذا تتبع كلمنت النبوءات اليهودية من أبعدها إلى أقربها فى الأفكار من المسيحية، وكما وردت فيها فكرة البعث التى ظهرت فى الأفكار المسيحية، كذلك جاءت فكرة التحذير من غضب الله الذى سيحل على من يعبدون الآلهة الوثنية، وقد وردت هذه الفكرة فى نبوءة داوود[١٤]، وفيها ينذر الكافرين بأن عقاب الله سيكون شديداً فى النهاية.

وهناك ملاحظة على منهج كلمنت هنا هى أنه يتحدث عن النبوءات اليهودية، لكنه يستشهد بآيات مسيحية (وهى فى فترة لاحقة) أى أنه يحاول بشتى السبل أن يصل إلى هدفه وهو التدليل على أن النبوءات السابقة قدمت أفكاراً ممهدة للمسيحية.

النبوءات اليهودية التى تنقد عبادة الآلهة الوثنية:

على أنّ كلمنت لا يتحدث فى مجال النبوءات اليهوديّة عن تلك التى تقدم صفات الله وتعد تمهيداً لما جاء فى المسيحية وحسب، لكنّه ينقد ــ إلى جانب ذلك ــ عبادات الآلهة الوثنية.

---

(١٣) رؤيا يوحنا، الإصحاح ٢٠، الآية ٥ (عن) Clement, op.cit., VIII, 68.
"وأما بقية الأموات فلم تعش حتى تتم الألف سنة. هذه هى القيامة الأولى".

(١٤) العهد القديم، المزامير، المزمور ٢، الآية ١٢ (السبعينية)،٤، ٢ (عن) Ibid., VIII, 68. ؛ العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح١، الآية ١.

ويقر بأن النبوءات اليهودية تبتعد كثيراً عن ما فى ديانات عبادات الأســرار، كما أنها لا تهتم بالمتع الدنيوية أو الملذات الحسية؛ بل تحاول أن تُرشد الإنسان إلى الطريق القويم وقد عدّ كلمنت هذا تمهيداً لما جاء فى المــسيحية مــن دعــوة إلــى الخلاص.

ومما استشهد به كلمنت من أمثلة على نقد النبوءات اليهوديــة لعبــادة الآلهــة الوثنية هو ما ورد عند أشعيا (Isaiah) الذى أشار إلى هؤلاء الذين يعبدون تماثيــل وصوراً منحوتة لن تنقذهم ولن تفيدهم؛ حيث يقول "اجتمعوا وهلموا تقدموا معاً أيها الناجون من الأمم. لا يعلم الحــاملون خــشب صــنمهم والمــصلون إلــى إلــه لا يُخلّص"(١٥).

كما تحدث عن العقاب الذى سيناله من يتبعها،عندما قال: "كما أصــابت يــدى ممالك الأوثان وأصنامها المنحوتة هى أكثر من التى لأورشليم وللسامرة أفليس كما صنعت بالسامرة وبأوثانها أصنع بأورشليم وأصنامها"، وهو يعنى بذلك ضرورة أن يحترس هؤلاء الذين يعبدون التماثيل من عقاب الله، ويمكن عدّ هذه النبوءة خطــوة على الطريق للمسيحية؛ فهى تنقد عبادة الآلهة والتماثيل وتشير إلــى أنهــا مجــرد أجسام جامدة لا تشعر(١٦).

وبذلك ينتهى كلمنت من استشهاده بالنبوءات اليهودية، التى عدها مجرد تمهيد للمسيحية، من حيث أن أفكارها اقتربت إلى حد كبير من الأفكار المسيحية المتمثلــة فى أن هناك إلهاً واحداً خالقاً لهذا الكون، له صفات عدّة.

ثم انتقل إلى خطوة تالية مترتبة على هذه؛ وهى:

---

(١٥) العهد القديم، سفر أشعيا، الإصحاح٤٥، الآيات ١٩-٢٠. (عن) Ibid, VIII, 67

(١٦) العهد القديم، سفر أشعيا، الإصحاح١٠، الآيات ١٠: ١١-١٤ (عن).

Ibid, VIII, 67

(ب) عرض كلمنت للأفكار المسيحية التى تختلف عن الأفكار التى وردت فى اليهودية:

وبعد أن عرض كلمنت الأفكار اليهودية، بدأ فى عرضه للأفكار المسيحية محاولاً إثبات استقلال المسيحية عن اليهودية، وأنه من الخطأ عدها إحدى الطوائف اليهودية. وقد تدرج كلمنت فى تقديمه للأفكار المسيحية، فبدأ بدعوة الوثنيين إلى الدخول فى مملكة الله (الأب)، وحتى النهاية وهى الوصول إلى الخلاص. وكان أول ما عرضه كلمنت من أفكار المسيحية:

- فكرة الأبوة:

أى دعوة السيد المسيح إلى أن تكون أبناء الله، حتى نستطيع بذلك أن ندخل فى مملكته فقد وردت الإشارة إلى ذلك فى (العهد الجديد) حيث يقول: "لن تقابلوا الأب الحقيقى، ولن تدخلوا أبداً مملكة السماء(١٧). لأنه كيف يُسمح للغريب أن يدخل؟" والمقصود بالغريب هنا من يتبع عبادة الآلهة.

وهناك إشارة أخرى فى العهد الجديد كذلك وردت فيها الدعوة إلى الأمر نفسه وهى التى فيها: "إن من يصبح ابناً لله فإنه يستطيع بذلك أن يشارك فى مملكة الأب"(١٨).

والشبه واضح بين ما هنا، وما ورد من قبل عند كلمنت حين قال: "تعالوا، تعالوا، أبنائى الصغار ! إذا لم تصبحوا مرة أخرى أطفالاً صغار وتولدوا مرة ثانية، فلن تصلوا إلى الأب"(١٩). والمقصود بفكرة (الطفولة) فى المسيحية أن يتخلص الإنسان من خطاياه ويصبح مثل الطفل الصغير الذى لا أخطاء له، ويتوجه إلى الله، الذى هو عندهم الأب الذى يسامح أطفاله، ويغفر لهم خطاياهم ويقبلهم فى مملكته، لأنهم استطاعوا أن يتخلصوا من خطاياهم ويبتعدوا عن الشيطان. وتختلف

---

(١٧) العهد الجديد، القديس متّى، الإصحاح١٨، الآية ٣، القديس يوحنا، الإصحاح٣، الآية ٣، ٥؛ (عن) Ibid, IX. 69.

(١٨) العهد الجديد، القديس لوقا، الإصحاح٢، الآية ٤٩ (عن) Ibid, IX. 69.

(١٩) Ibid, IX. 69.

فكرة الأبوة فى المسيحية عنها فى اليهودية، فى أن الله فيها ليس أباً وحسب لأبنائه، بل هو المعلم أيضاً، يقول كلمنت "إن الله هو المعلم الحق، لأنه هو وحده القادر على أن يجعل الإنسان شبيهاً له، ولا يكون ذلك إلا بإتباع تعاليم الله"(٢٠). كما يذكر كلمنت أيضاً: "أن الله يتحدث لا كمعلم لتلاميذه، ولا كسيد لعبيده، ولا كإله للبشر، بل "كأب رقيق(٢١) يحب أبناءه".

وهو يريد بكلماته هذه أن يظهر عطف الله على عباده؛ فهو يغفر لهم خطاياهم ويأخذهم إلى مملكته فى السماء. لكن كلمنت استعار هنا من شعر هوميروس عند كلامه عن نبوءات اليهود أو التعاليم المسيحية والسبب فى ذلك فى ظنى أن كلمنت لم يكن يدع وسيلة إلا استخدمها للوصول إلى هدفه وهو تقديم الأفكار المسيحية(٢٢).

- فكرة السيد:

وينتقل كلمنت إلى فكرة أخرى من الأفكار المسيحية، هى وصف الله بسيد هذا الكون، فيقول كلمنت عنه: "ما أكثر حماقتكم ! إنه السيد الذى تخجلون منه، يعدُكم بالحرية، لكنكم تهربون إلى الرق"(٢٣).

ويقصد كلمنت بالرق والعبودية هنا عبادة الآلهة الوثنية، ويقصد بالسيد الله. ومن إشارات كلمنت عن السيد أيضاً قوله: "بالنسبة لهؤلاء الكافرين وذوى القلوب الآثمة، الذين لا يعرفون طريق السيد، أمرنا يوحنا أن نكون مستقيمين، ومستعدين"(٢٤). ومن إشاراته إلى السيد أيضاً قوله: "تعالوا أيها الأطفال، استمعوا

---

(٢٠) Ibid., IX. 71.

(٢١) Butterworth, op.cit., p. 183, note (f). c.f. Homer, Odyssey ii. 47.

(٢٢) ومما استعاره كلمنت من أشعار هوميروس أيضاً قول هوميروس "إنهم مثل عجوز إيثاكا، لا يبحثون عن الحقيقة،.... ولا عن النور الموجود بالفعل، لكنهم (يبحثون عن) الدخان الذى يأتى من الداخل (القلب)".

Butterworth, op.cit., p. 191, note (f). c.f., Homer, Odyssey I, 57-58.

(٢٣) Clement, op.cit., IX. 69.

(٢٤) Ibid., X. 69.

لى، سوف أعلمكم الخوف من السيد"[٢٥].

وقد استشهد كلمنت بالنبوءات اليهودية، إذ وردت فيها فكرة السيد؛ فعدها كلمنت تمهيداً للمسيحية؛ فقد ورد فى نبوءة أشعيا (Isaiah):

"إن الأرض سوف تنتهى، والسماء سوف تزول، لكن كلمة السيد سوف تبقى للأبد"[٢٦]. كما وردت إشارة أخرى عند أشعيا للسيد، وذلك فى قوله (بمن تشبهون السيد؟)[٢٧] والمقصود أن السيد (الله) ليس له مثيل فى هذا الكون، ولا يمكن أن يشبهه أحد، لكن الفكرة فى المسيحية تختلف فى النبوءات اليهودية إذ لا تقتصر على الإشارة إلى أن الله لا مثيل له أو أن كلمته سوف تبقى للأبد — كما ورد فى نبوءة اليهودية أشعيا — بل وصفت السيد أيضاً بأنه يمنح الحرية لمن يتبعونه[٢٨]، كما أنه يهدّد ويتوعد من يعبدون الأوثان.

كما أن هناك فرقاً كبيراً بين اليهودية والمسيحية يظهر عند وصف العلاقة بين الله والإنسان، ففى اليهودية نجد الله يُعاقب عقاباً شديداً، ويدّمر المدن والبشر، ويتوعد دائماً من يخالفه بأشد العقاب، لكننا نجد العكس فى المسيحية، حيث يذكر كلمنت أن الله بمثابة أب رفيق[٢٩] بأبنائه، يغفر لهم أخطاءهم.

ـ فكرة الوحدانية:

وينتقل كلمنت بعد ذلك إلى الفكرة التالية من الأفكار المسيحية، وهى فكرة الوحدانية، التى تعدّ أهم أفكارها، فيقول: "نحن مجتمعون بداخل كون واحد، دعنا نتتبع الأعمال الصالحة، ونصبح فى سيمفونية واحدة، ونتبع قائداً واحداً ومعلماً

---

(٢٥) الزبور، المزمور ٣٤، الآية ٢ (عن) Ibid, IX. 72

(٢٦) (عن) Ibid, VIII, 67
العهد القديم، أشعيا، الإصحاح ٥١، الآية ٦

(٢٧) العهد القديم، أشعيا، الإصحاح ٤٠، الآيات ١٨-١٩ (عن) Ibid.VIII 67

(٢٨) Ibid. IX. 69

(٢٩) Ibid., IX 68.

واحداً، الكلمة، دعنا لا نهرب حتى نصل إلى الحقيقة نفسها"[٣٠].

وقد استشهد كلمنت بما ورد فى النبوءات اليهودية عن هذه الفكرة على أساس أنها تمهيد لما ورد بعد ذلك فى التعاليم المسيحية، وهو ينقل — على سبيل المثال — ما ورد فى نبوءة موسى حيث يقول: "أنا هو، وما من إله آخر غيرى"[٣١].

نلاحظ هنا أيضاً اختلاف فكرة الوحدانية فى المسيحية عنها فى اليهودية، فالأمر فى المسيحية لا يقتصر على الوحدانية وحسب، وإنما يزيد على ذلك "التوجيه" فالله الواحد هو "القائد"، و "المعلم" كذلك الذى يعلم الناس ما هو خير وما هو شر، وما يجب أو يستحبّ وما لا يجب ولا يُستحب، بينما فى اليهودية يقتصر الأمر على فكرة الوحدانية، فاليهود يصفون الإله بأنه واحد لكنهم لا يتكلمون عمّا يفعله هذا الإله.

- فكرة الكلمة [٣٢]:

وقد أوضح كلمنت كيف وردت هذه الفكرة فى المسيحية؛ فقال: "استيقظ، أيها النائم، وانهض من الموت، سوف يُشرق[٣٣] فوقك المسيح السيد"[٣٤].

---

(٣٠) العهد الجديد، القديس يوحنا، الإصحاح١٠، الآية ١٦ (عن) Clement, op.cit., IX. 72.

(٣١) العهد القديم، سفر التثنية، الإصحاح٣٢، الآية ٣٩ (عن) Ibid, VIII. 67.

(٣٢) وفيما يخص الكلمة اتفق كلمنت فى الرأى مع أحد أعضاء المدرسة الأفلاطونية وهو إميليوس الأيامى (Amelius of Apamea) وتأثر به أيضاً، الذى أشار إلى الإنجيل الرابع، وأعجب بما ورد فيه عن الكلمة، وقد أبدى كلمنت إعجاباً شديداً بهذا الإنجيل أيضاً، وأكد على أن فكرة الكلمة التى جاءت فى مقدمة هذا الإنجيل مأخوذة عن هيراكليتوس، وحول هذه النقطة انظر: R.E. Witt, op.cit., p. 199;

(٣٣) يشبه كلمنت الكلمة هنا بالشمس التى تنشر أشعتها فى كل مكان وقد شاعت هذه الصورة عن الكلمة بدرجة كبيرة فى الأدب الآبائى المبكر، حيث ذكر نيميسوس Nemesius عن أمونيوس ساكاس أنه أشار إلى أن الكلمة المقدسة، تظل كما هى، ولا شئ يستطيع أن يقلل من شأنها.

" μενων εν ωπερ ην και προ της μιξεως...... μη μειουμενος ".

ونجد عبارة دالة عند خلفاء كل من كلمنت وأوريجينيس فى المدرسة التعليمية بالإسكندرية

كما أشار إلى الكلمة فى قوله على لسان موسى إنـه يعتـرف بأنـه "يخـاف ويرتجف للغاية"(٣٥) عندما يسمع عن الكلمة، ثم يتساءل كلمنت "ألا تخافون عنـدما تسمعون الكلمة المقدسة نفسه؟ ألا تنزعجون؟ ألستم حريصين فى الوقت نفسه على التعلُم، ألستم مشتاقين إلى الخلاص...."(٣٦).

ويلفت الانتباه كيف يستشهد كلمنت هنا بآية مسيحية، هى "يخـاف ويرتجـف للغاية"(٣٧). " εμφοβος ειναι και εντρομος" ـ بينما هو يتحـدث علـى لسان موسى وهو أحد أنبياء اليهود، والتداخل فيما يخص "الكلمة" والأفكار المحيطة بها موجود بين العهد القديم والعهد الجديد فالآية المتـصلة بالكلمـة فـى الإنجيـل مأخوذة من أحد المزامير (فى العهد القديم)(٣٨). وبالتالى لا غرابـة فـى أن نلحـظ التداخل فى الاستشهاد عند كلمنت بين آيات التوراة والإنجيل.

كما وردت الكلمة عند كلمنت فى موطن آخر؛ حيث يقول: "لماذا لا تـصغى للكلمة؟"(٣٩)، كما أشار إلى الكلمة أيضاً بقوله: "دعنا نستمع دائماً لـصوت الكلمـة

وهى تدور حول الفكرة نفسها عن الكلمة وهى

"αει ο θεος μεταδιδωσι..... ου κατ αποτομην και διαιρεσιν"

؛ اعترفوا فيها بأن النور (والمقصود به الكلمة) يُرسل من السماء، ويأتى دون أن تقل قيمته أو يقل شأنه". وهذا يدل على مكانة الكلمة عند الآباء المسيحيين والمبكرين مدى أهميتهـا. وقد ظهرت الفكرة نفسها عند كل من جستين الشهيد وتاتيان وأثينـاجوراس وترتليـانوس R.E. Witt, op.cit., p. 200. (Tret. Apol. 31)

(٣٤) العهد الجديد، رسالة إلى أهل إفسوس، الإصحاح٥، الآية ١٤. (عن) Clement, op.cit., IX, 70.

العهد الجديد، رسالة إلى أهل إفسوس، الإصحاح٥، الآية ١٤.

(٣٥) العهد الجديد، رسالة إلى العبرانيين، الإصحاح١٢، الآية ٢١ (عن) Clement, op.cit., IX. 69.

(٣٦) Ibid, IX. 69

(٣٧) العهد الجديد، رسالة إلى العبرانيين، الإصحاح١٢، الآية ٢١. (عن) Ibid, IX 69

(٣٨) Butterworth, op.cit . p. 187, n.e

(٣٩) Clement, op.cit , IX 70

المقدس"[٤٠]. كما قال: "إن الكلمة نور البشر الهادى؛ فبواسطتها نستطيع أن نحدّق فى الله"[٤١].

ونلاحظ هنا أن فكرة الكلمة فى اليهودية تختلف عنها فى المسيحية، لأن معنى كلام كلمنت أن الكلمة هو الطريق الموصل إلى الله، فهو الذى يهدى البشر ويوجههم على الطريق للوصول إلى الله وكى يحصلوا على الخلاص. فى حين نقرأ فى النبوءات اليهودية عند أشعيا فى نبوءته أن "كلمة السيد سوف تبقى للأبد"[٤٢].

أى أن الكلمة عنده تعنى "السيادة الإلهية". كما ورد عند أرميا "أنه بالحكمة، التى هى كلمته، أعادنا للحقيقة"[٤٣]. أى أن الكلمة فى النبوءات اليهودية تعنى السيادة، والحكمة الإلهية التى يسيطر بها الله على العالم، وعلى الرغم من اختلاف هذه الفكرة فى المسيحية عنها فى اليهودية إلا أن كلمنت عدها تمهيداً للفكرة الأساسية التى وردت فى المسيحية.

ولم يقتصر كلمنت على وصف "الكلمة" بأنها "الطريق" الموصل إلى الله بل تخطى ذلك فأشار بالكلمة إلى السيد المسيح ذاته بوصفه "المعلم" أو "الواعظ" أو غير ذلك من الألقاب[٤٤]، وما يقوله فى الحالتين يختلف عمّا فى اليهودية.

- فكرة العقاب الذى ينتظر الكافرين:

من الواضح أن كلمنت يتدرج فى عرض الأفكار المسيحية؛ فبعد أن قدّم صفات الله، وهى الأبوة، وأنه السيد، والواحد الذى لا إله غيره، انتقل إلى الكلمة،

---

(٤٠) Loc. cit. IX. 70.

(٤١) Loc. cit. IX. 70.

(٤٢) العهد القديم، أشعيا، الإصحاح٢، الآية ٦ (عن) Clement, op.cit., VIII. 67.

(٤٣) Ibid, VIII. 68.

(٤٤) "εις την μονοτροπον της εις τον θεον πιστεως σωτηριαν παιδαγωγων"
R.E. Witt., op. cit., p. 199.
راجع أيضاً: Clement, op.cit., IX. 71.

التى بواسطتها يستطيع الناس أن يصلوا إلى الله، فهو الناقل لتعاليم الله إلى عباده، حتى يصل بعد ذلك إلى العقاب الذى ينتظر الكافرين بالله، الذين لا يستجيبون له ولا يعبدونه على الرغم من كل ما يقدمه الله لعباده من مساعدة، ويقول كلمنت إن هؤلاء ينتظرهم من الله عقاب شديد. ويستشهد على ذلك بما ورد عند القديس متى فى قوله فى مجال الاستنكار والتوبيخ "لكنكم تنتظرون عقابه، وتفضلون النار التى أعدها السيد (الله) للشيطان وأتباعه"[٤٥].

وهنا نلاحظ أن فكرة العقاب فى المسيحية تقترب إلى حد كبير — يصل إلى درجة التشابه — من فكرة العقاب فى اليهودية التى جعلها كلمنت ممهداً لظهور المسيحية إذ ورد فى نبوءة داوود[٤٦] التحذير من غضب الله على الوثنيين والإنذار بأن عقاب الله لهم فى النهاية سيكون عسيراً. كما وردت الفكرة نفسها فى نبوءة أشعيا[٤٧]، عندما أشار إلى وعيد الله لهؤلاء الذين يعبدون التماثيل الجامدة التى لا تضر ولا تنفع.

ونلاحظ هنا التطابق بين فكرة العقاب فى المسيحية واليهودية، ولذلك استشهد كلمنت بما ورد عن هذه الفكرة فى النبوءات اليهودية.

- فكرة الخلاص:

ويصل كلمنت فى النهاية إلى الفكرة الأساسية التى تدعو لها المسيحية وهى الوصول إلى الخلاص، وهى المرحلة التى يتخلص فيها الإنسان من خطاياه وذنوبه ويصبح قريباً من الإله الخالق الواحد، ويرتفع إلى مملكته، وقد وردت هذه الفكرة فى النبوءات اليهودية بطريقة غير مباشرة ومختلفة عنها فى المسيحية، لكن

---

(٤٥) العهد الجديد: القديس متى، الإصحاح٢٥، الآية ٤١ (عن) Ibid, IX. 69
ويقول فيها: "ثم يقول أيضاً للذين على اليسار: اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية المُعدة لإبليس وشيعته".

(٤٦) المزامير، المزمور ٢، الآية ١٢ (السبعينية)؛ العهد القديم. سفر التكوين، الإصحاح١، الآية ١ (عن) Clement, op.cit., VIII, 68.

(٤٧) العهد القديم، أشعيا، الإصحاح١٠، الآيات ١٠-١١، ١٤ (السبعينية) (عن) Clement. op cit VIII, 67

كلمنت استشهد بها على أنها تمهيد للمسيحية، والتمهيد لا يعنى بالضرورة الكمال بل مجرد التوطئة للفكرة الأساسية فيما بعد، وقد قدمت اليهودية عدداً من الطرق يجب على من يريد الوصول إلى الخلاص أن يتبعها، ويقول كلمنت عنها "إنها (النبوءات) هى التى وصفت لنا أساساً ثابتاً للحقيقة، فالكتابات المقدسة نماذج لحياة الفضيلة، وطرق قصيرة للخلاص"(٤٨). ومن أمثلة هذه الطرق التزام الفضيلة، والابتعاد عن الرذيلة، وعبادة الأوثان، وإتباع تعاليم الله. وعلى الرغم من هذا كله ثمة اختلاف بين فكرة الخلاص فى اليهودية والخلاص فى المسيحية، وهذا الاختلاف يوضحه كلمنت، حين يقول إن النبوءات اليهودية ذكرت الطرق التى تؤدى إلى الخلاص، لكنها لم تذكر كيف نسلك هذه الطرق لكى نصل إلى هدفنا، وأهم الوسائل التى يذكرها كلمنت حتى نستطيع الوصول إلى الخلاص، الحب والإيمان إذ يقول كلمنت إن الخلاص لا يمكن شراؤه بالمال، لكن يمكن شراؤه بالحب والإيمان، ويقول: "إذا كان الخلاص الأبدى يُباع، فبأى ثمن أيها الأخوة فى البشرية، تشترونه؟ لن تستطيعوا أن تقدروه حق قدره؛ ولو دفعتم مثل وزن أحدكم ذهباً".

لكن كلمنت سرعان ما يقدم الحل لهذه المشكلة فيقول: "لكن لا تيأسوا، إنه فى استطاعتكم، إذا كنتم ترغبون، شراء هذا الخلاص الثمين، بأن تدفعوا فيه كنزاً تملكونه هو الحب والإيمان، وهما خير ما يمكن دفعه ثمناً لحياة أبدية"(٤٩). كما يشير كلمنت إلى هؤلاء الذين يتمسكون بالدنيا فيقول:

"هؤلاء الذين يتعلقون بالدنيا، مثل الطحالب البحرية الضارة التى تتعلق بالصخور"(٥٠).

وبذلك أوضح كلمنت الاختلاف بين فكرة الخلاص فى اليهودية وفكرة الخلاص فى المسيحية، أى أن الفكرة ظهرت فى صورتها الأولى فى اليهودية ثم

---

(٤٨) Ibid., VIII, 66.

(٤٩) Ibid, IX. 71.

(٥٠) Ibid., IX. 71.

طوّرتها المسيحية فأكملت التصوّر أو الطريق إلـى الخـلاص. ونلاحـظ هنـا أن استشهاد كلمنت بأفلاطون يرجع لإعجابه الشديد بآرائه التى اقتربـت مـن فكـرة الوحدانية فى صورتها المسيحية وهو ما أشرت إليه من قبل.

ـ الأساليب التى اتبعها كلمنت فى تأييد دعواه:

بعد أن استعرضت فى القسم الأول من هذا الباب استشهاد كلمنـت بالفلاسـفة والشعراء والنبوءات اليهودية وعدّه إياها ممهداً لظهور المسيحية، انتقل الآن إلى القسم الثانى؛ وسوف أتحدث فيه عن الأساليب التى اتبعها كلمنت فى دعوته إلـى الديانـة الجديدة، وقد استخدم كلمنت عدداً كبيراً من الأساليب؛ منها الجناس والتخريج والتعتيم للإيحاء بالمعنى الذى يريده مستغلاً التطابق أو التقارب بين الألفاظ.

وأول الأساليب التى استخدمها كلمنت:

ـ أسلوب الجناس الناقص:

وهو أسلوب شكلى فى الحقيقة لكنه يؤثر مع ذلك فـى السـامعين تـأثيراً كبيراً، ونلاحظ فى كتاب كلمنت "خطاب وعظى لليونـانيين" اسـتخدامه للجنـاس بكثرة، وقد أكثر كلمنت من استخدامه لما وجد الشعب اليونانى محباً له، كما يبـدو فى الأشعـار والمسرحيات، وكان هذا جزءاً من هدف كلمنت الأعظم وهـو نـشر دعوته بأية وسيلة ممكنة، واستخدام أى أسلوب من شأنه أن يوصـل دعوتـه إلـى أذهان اليونانيين، وهناك أمثلة متنوعة على استخدام كلمنت لأسلوب الجناس بكل ما يتيحه من إيحاءات.

والمثال الأول يظهر عند كلمنت عندما كان يفند مقدسات اليونانيين ويحـاول أن يثبت أنها أشياء فانية لا فائدة لها؛ فقد حمّل كلمنت الألفاظ التى تعبر عن رفضه واستنكاره لتلك العبادات إيحاءات عميقة عن طريق استخدام الجناس. وقـد ظهـر ذلك ــ على سبيل المثال ــ فى استخدامه للكلمتين (Τα αχρηστα)، التى تعنـى (لا فائدة)، و(χρηστηρια)[٥١]، التى تعنى (نبوءات) أو (تكهنات) ونلاحـظ أن

---

(٥١) Ibid., II. 10.

هناك تضادا بين الكلمتين يظهر مدى استنكار كلمنت واستيائه من تلك الأشياء.

وهناك مثال آخر على استخدام كلمنت لأسلوب الجناس، يظهر عندما كـــان يفند عبادات الأسرار وأثناء حديثه عن أسطورة ديونيـــسوس فقـــد اســـتخدم لفـــظ (Eva)[٥٢] وهى الكلمة التى كان يصرخ بها أتباع ديونيسوس أثناء أدائهم لطقوسهم السرية فى الاحتفالات، وهذه الكلمة تتشابه مع كلمـــة (Hevia) التـــى يـــستخدمها اليهود وتعنى "حواء"، ونلاحظ هنا مغزى إشارة كلمنت إلى الصراخ الـــذى يظهـــر فيه اسم "إيفا" "Evα" ، تلك التى "أدخلت الخطيئة إلى العالم"[٥٣] كما يذكر كلمنت.

"Ευαν εκεινην, δι ην η πλανη παρηκολουθησεν"

وقد استخدم كلمنت الجناس بين "إيفا" الكلمة التـــى كـــان المحتفلـــون بأعيـــاد ديونيسوس يصرخون بها والكلمة العبرية "هيفيا" التى كـــان معناهـــا عنـــد اليهـــود "الحية" أو "الأفعى".

وهناك مثال ثالث فى هذا الصدد هو الذى ظهر فـــى أثنـــاء نقـــد كلمنـــت لأسطورة الإلهة أفروديتى، فقد استخدم مهارته اللغوية فى هدم تلك العقيـــدة عنـــدما قام بتفسير اسم أفروديتى وقال إن اسمها مشتق من زبد البحر، كما ذكـــر أن لهـــا اسماً آخر وهو "فيلوميديس"[٥٤]، لأنها نشأت من الميديا (وهى الأعـــضاء الجنـــسية التى انفصلت من أورانوس)، أى أن كلمنت تلاعب بالألفاظ هنا ليوضح لليونـــانيين أصل تلك الآلهة، وليظهر بالتالى ألا فائدة من عبادتها بل ويجب الابتعاد عنهـــا أى أن كلمنت استغل مهارته اللغوية هو تنفير اليونانيين فى عبادة تلك الآلهة، وقد كـــان كلمنت وغيره من الكتّاب المسيحيين يستعملون دائماً اصطلاحات وألفـــاظ معروفـــة ومتداولة فى المجتمع الوثنى حتى يمكنهم الوصول إلى المتلقى العادى البـــسيط[٥٥]، وكان هذا أيضاً أحد دلائل مهارة كلمنت وأسلوبه فى نشر دعوته.

---

(٥٢) Ibid., II. 11.

(٥٣) Ibid., II. 11.

(٥٤) Ibid., II. 13.

(٥٥) حسين الشيخ: اليونان، ص ٢٥٩.

وهناك مثال آخر لاستخدام كلمنت لأسلوب الجناس، ففى أثناء حديثه عن قصص الآلهة نجده يقول إنها تشبه قصص الصيد لأن حروف كلمة "μυστηρια" التى تعنى "عبادة سرية" تشبه حروف كلمة "μυθηρια"، التى تعنى "الصيد"(٥٦)، وهو يقصد بذلك أنه مثلما يعنى الصيد قنص الحيوانات المتوحشة كذلك تتصيد قصص الآلهة أوقح التراقيين، وأبله الفريجيين، والذين يخافون من الشياطين من اليونانيين(٥٧).

- أسلوب التخريج:

وكان الأسلوب الثانى الذى استخدمه كلمنت فى دعوته مختلفاً عن الأسلوب السابق إذ يتعلق بالمعنى لا باللفظ — وأعنى به أسلوب التخريج، ومعناه عمل تشبيهات تخدم ما يدعو إليه كلمنت لا تشبيهات حقيقية، وهناك أمثلة عدة على استخدام كلمنت لهذا الأسلوب.

والمثال الأول لذلك عنده يظهر عند حديثه عن أسطورة ديونيسوس وأراد أن يوضح من خلال ما أورده عن هذه الأسطورة والممارسات التى تتم فى أثناء الاحتفالات بهذا الإله أنه فى ذكرى ما حدث لديونيسوس كانت تقام التماثيل لأعضاء الذكورة (الفاللوس) (φαλλοι) فى المدن، واستشهد كلمنت بما قاله هيراكليتوس الذى كان قد علّق على عبادة ديونيسوس وقال أن عبّاده يجب أن يخجلوا مما يفعلون فى تلك الاحتفالات التى يقيمونها(٥٨)، فهنا استخدم كلمنت أسلوب التخريج دون تعليق منه، لكنه أظهر من خلال هذا الاستشهاد وهذا التخريج أن تلك العبادة لا فائدة منها ويجب على أتباعها أن يتركوها.

وهناك مثال آخر على أسلوب التخريج يظهر فى أثناء حديث كلمنت عن عبادة ديميتر، إذ يتكلم عن اشتقاق الاسمين (السكر والعربدة) (οργια)(٥٩) أو

---

(٥٦) Clement, II 12
(٥٧) Ibid , II 12
(٥٨) Ibid II 12
(٥٩) Ibid . II 12

(حفلات الشطط) وكلمة "العبادة السرية" (Τα μυστηρια) ويشير إلى أن كلمـة الاحتفالات التى يرتكبون فيها "شططاً كثيراً" وكلمة "الـسر" (μυσους) لابـد أن تكون قد اشتقت من غضب ديميتر على زيوس لأنه عاشرها على الرغم مـن أنـه بمثابة ابنها.

وهنا يمكن أن نقول إنّ كلمنت حاول تشويه سمعة ديميتر بما نقل فيما يخـص أسطورتها، ويكتسب الأمر أهمية واضحة إذا عرفنا مدى أهميـة عبـادة ديميتـر وانتشارها فى بلاد اليونان القديمة، لأن تلك البلاد بالذات كانت فقيرة فـى القمـح، وكانت ديميتر إلهة الزراعة عندهم لاسيما القمح، وكـان الحـصول علـى القمـح بالنسبة لليونانيين مسألة حياة أو موت، شأنهم فى ذلك شأن بقيـة شـعوب البحـر المتوسط(٦٠).

وهناك مثال آخر على استخدام كلمنت لأسلوب التخـريج يـرتبط بمهارتـه اللغوية حيث هو ما نجده فى أثناء حديثه عن العبادات السرية وكيف أظهر تفاهتهـا مستغلاً التشابه بين كلمتى (μυθηρια) بمعنى (الـصيد)، و (μυστηρια)(٦١) بمعنى (العبادة السرية) وأن بين هاتين الكلمتين جناساً ناقصاً، ربـط كلمنـت بينـه وبين قصة مايوس الصياد الذى قُتل أثناء الصيد، وهنا يظهـر أسـلوب التخـريج واضحاً إذ استخلص كلمنت من هذه القصة والتشابه بين الكلمتين شـيئين؛ أولاً: أن عبادات الأسرار عبادات تافهة تقوم على تقديس صياد قُتل أثناء الصيد، وهذا يعنى أنهم يؤلهون الأشياء أو الكائنات الفانية بل وإنساناً مثلهم فكيف يليـق تقـديس مـا ليست له صفة الخلود؟!

ثانياً: أنه مثلما يصيد الصياد الحيوانات المتوحـشة تتـصيد هـذه القـصص الأسطورية كذلك الوقحين والبلهاء والذين يخافون الشياطين.

---

(٦٠) وعن أهمية عبادة الإلهة ديميتر فى بلاد اليونان والاحتفالات التى تُقام بها راجع:
Buxton, Richard, op. cit., pp. 135-137.

وعن مدى انتشار عبادة الإلهة ديميتر فى بلاد اليونان، راجع:
Grant. Michael, Myths of The Greek and Romans, p. 146.

(٦١) Clement, op.cit., II. 12.

فكأن كلمنت يريد أن يقول إن من يسيرون وراء تلك القصص الخرافية بُلهــاء تافهون لا قيمة لهم كالقصص التى يؤمنون بها.

كما يظهر أسلوب كلمنت فى التخريج من مثال آخر، هو استخراجه لتشبيهات تخدم ما يدعو إليه لكنها ليست تشبيهات حقيقية ويظهر هذا واضحاً فيما يذكر عــن سيدنا موسى الذى كان "يأمر بألا يدخل المعبد خصىّ أو مخنث أو ابن عاهرة"(٦٢).

وقد ذكر كلمنت كيف أشار موسى إلى سمتين مــن ســمات الإلحــاد، همــا: الافتقاد إلى توفيق الله وعونه، والعقم. كما أنه يشير فى هذا المثال إلى أن الإنــسان الذى يعبد عدداً من الآلهة الزائفة تماماً كابن العاهرة الذى يدعى أنه ابن لأكثر مــن شخص لأنه يجهل أباه الحقيقى(٦٣).

ونلاحظ هنا مهارة كلمنت فى الخروج من حديث موسى بتشبيهات تخدم مــا يدعو إليه لكنها ليست تشبيهات حقيقية؛ لأن موسى يقصد بقوله هذا أشــياء تخــص شريعته لأن الرجل الخصىّ لا يفيد فيما يخص استمرار المجتمــع اليهــودي لكــن مهارة كلمنت فى استخدام كلمات موسى جلية على أية حال واضحة فى استخراجه التشبيهات التى تتوافق مع ما يدعو إليه حتى ولو كان موسى يقصد أو يشير بقولــه إلى شئ آخر. وقد ذكر كلمنت هذا المثال فى إطار حديثه عن أن الإلحــاد وعبــادة الشياطين قمة الغباء الذى يجب تجنبه بجد(٦٤).

ـ أسلوب الانتقاء:

بعد الحديث عن التخريج انتقل الآن إلى الأسلوب الثالث وهو ما سأسّــميه أسلوب الانتقاء، وأعنى بذلك أن كلمنت كان ــ وهو يعرض الأســطورة ــ يــسلّط الضوء على الجوانب التى يريد أن يصــل منها إلى ما يساعده فى دعوتــه بينمــا

---

(٦٢) العهد القديم، سفر التثنية، الإصحاح٢٣، الآية ١، ٢.

"لا يدخل مخصىّ بالرّضىّ أو مجبوب فى جماعة الرب. لا يدخل ابن زنى فى جماعة الرب. حتى الجيل العاشر لا يدخل منه أحد فى جماعة الرب".

(٦٣) Clement, op. cit., II. 21.

(٦٤) Ibid., II. 21

يعتم على الجوانب الأخرى التى لا تخدم دعوته، أو بمعنى آخر استخدم كلمنت أسلوباً انتقائياً فى كتابته إذ كان ينتقى من الأسطورة ما يناسب قضيته الدفاعية وهدم الوثنية كما يظهر فى كثير من أساطير الآلهة التى يرويها كلمنت، ومن أمثلة استخدام كلمنت لهذا الأسلوب، ما ورد فى خلال ذكره لأسطورة ديونيسوس[٦٥]، والاحتفالات التى يقيمها أتباعه للفاللوس (رمز الذكورة) وما يؤدى فى تلك الاحتفالات من ممارسات شاذة مخجلة، لكن كلمنت لا يذكر أن استخدام أتباع ديونيسوس للفاللوس أكبر من كونه عملاً مشيناً، إذ هو فى الحقيقة رمز للخلق، وربما يقول قائل إن هذا المعنى ربما كانِ معنى علمياً حديثاً. ويجاب على ذلك بأنه لا يمكن مع ذلك أن يكون خافياً تماماً عن الشعب فى ذلك الوقت، لأن وظيفة الأسطورة قديماً كانت تقديم المعنى عن طريق التلميح والإيحاء أو التخيل لا التصريح.

وإلى جانب هذا نجد كلمنت يستشهد فى كتاباته كثيراً بكلمات عدد كبير من كتاب الأساطير لكى يؤكد أن هذه القصص التى يرويها عن الإلهة وما فيها من أمور مشينة مخجلة هى حقيقة من جعبة كتَّاب الأساطير، وبذلك يُدعم نقده لهذه الأساطير والعبادات السرية التى تتمسك بها تلك الشعوب.

- اللجوء إلى العاطفة والإيمان:

وهناك أسلوب آخر استخدمه كلمنت فى دعوته، هو إثارة النزعة العاطفية عند اليونان، فقد كان يتهمهم بالتقليد الأعمى لأنهم يعبدون بعض الأوثان تقليداً للشعوب الأخرى، وكان يتهمهم كذلك بعدم التفكير وأنهم مجرد مقلدين لا يدرون عن الحقيقة شيئاً، وهو ما كان يبغضه اليونانيون أشد البغض وهذا طبعى، ويحقق هدف كلمنت وهو أن يجعلهم يتركون تلك العبادات.

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكر كلمنت من أن الآلهة التى يعبدها المصريون أفضل من تلك التى يعبدها اليونان، لأن أساطير الآلهة المصرية وطقوس عبادتها

(٦٥) Ibid., II. 11. 12.

تخلو من الممارسات المشينة، على عكس الآلهة اليونانية، وقد كان غرض كلمنت من ذلك إثارة النزعة العاطفية عند اليونانيين وأن يدفعهم إلى أن يتركوا آلهتهم.

وصفوة القول إن كلمنت كان يحاول جاهداً ضرب الأمثلة على خطأ هذا الوضع ويعتمد كذلك على الإيمان ويظهر ذلك فى قوله:

"لأننا أيضاً كنَّا ذات مرة كغيرنا أبناء الغضب، لكن الله عظيم الرحمة بداية من الحب العظيم الذى به أحبنا، عندما كنا أمواتاً، فجعلنا أحياء مع المسيح، أما أولئك الذين لا يزالون ملحدين فيُدعون (أبناء الغضب).

كما يتحدث كلمنت من منطلق الإيمان لا من منطلق البرهان المعتمد على المنطق أو التاريخ أو الموروث الأدبى، وينبغى هنا أن نتذكر أن الوثنيين اليونان، على الرغم من اتجاهاتهم العقلانية التى كانت تستجيب للفلسفات السائدة، كانوا — فى الوقت نفسه لا يزالون يؤمنون بالعنصر الغيبى الذى كان يشكل جزءاً لا يُستهان من نسيج الأساطير التى تقوم عليها العبادات الوثنية، وهو ما يظهر فى اهتمامهم بالذهاب للأماكن المقدسة وبالتكهنات بالإضافة إلى ولعهم الشديد بالأساطير التى ترتبط بأوثانهم وتعتمد على العنصر الغيبى وقد سبق الحديث عن ذلك فى الباب الأول عند الحديث عن نقد كلمنت للعبادات الوثنية ومنها عبادات الأسرار[٦٦].

---

(٦٦) الباب الأول من الرسالة، الفصل الأول، (نقد كلمنت لعبادات الأسرار اليونانية).

الباب الثالث

أفكار كلمنت حول تدعيم المسيحية



الفصل السادس

المسيحية ومفهوم التحمل

١ - العادة تحول دون استجابة الـوثنيين للـدعوة المـسيحية وتفنيد ذلك:

(أ) على المستوى الشخصى.

(ب) على مستوى الأسرة.

(ج) على مستوى المجتمع.

٢ - المزايا التى يجنيها من يعتنق المسيحية.

(أ) مزية السؤال والاستفسار.

(ب) مزية الخلاص (تحقيق الذات).

(ج) تكريم الإنسان.

(د) مزية الحياة الهادفة.

(ه) تأدية الفرد لالتزاماته فى الحياة بشكل جيد.

بعد أن استشهد كلمنت بآراء الفلاسفة والشعراء اليونان والنبـوءات اليهوديـة وأظهر أن تلك الآراء التى يهتم بها اليونان، وهذه النبوءات التى يصغون إليها فيهـا أفكار تُمهد للمسيحية، ينتقل كلمنت إلى ذكر الأفكار أو المفاهيم الرئيسة التى يـرى أنها تدّعم عقيدة المسيحية.

١ـ المسيحية ومفهوم التحمّل:

وأولى هذه الأفكار ما يتعلق بمفهوم التحمل، وفى إطـار هـذا المفهـوم يحاول كلمنت أن يظهر مدى قبح العادة، ويفندها لكى يوضح للوثنيين أنهم يجب أن يتحاملوا على أنفسهم ويتركوا حكم العادة عليهم، ويتحملوا هذه المـشقة مـن أجـل الوصول إلى الخلاص، الذى يؤدى بهم فى النهاية إلى الله — حسب تعبير كلمنـت — وهو ما يمكن أن نصفه، فى عبارات غير لاهوتية، بأنّه تحقيق الذات عن طريق التواؤم مع النفس من جهة والتواؤم مع الآخرين أو المجتمع من جهة ثانية.

ويقسم كلمنت هذه النقطة إلى شقين: الشق الأول يبحث فيه بدايـةً الـسبب فى أن الوثنيين لا يستجيبون للدعوة المسيحية، ولا يكتفى بذلك بل يقوم أثناء بحثـه لهذا السبب بتفنيد العادات الوثنية وكيف تصل بأتباعها فى النهاية إلى وضع غيـر معقول يصبحون فيه مدعاةً للسخرية.

والشق الثانى: هو إظهار المزايا التى سوف يحصل عليها كل من يستطيع أن يتخلّص من سيطرة العادة ويدخل فى المسيحية فيحصل على الخلاص المذكور.

وسوف أبدأ بالحديث عن الشق الأول وهو: بحث كلمنت عن السبب الذى يجعل الوثنيين لا يستجيبون للدعوة المسيحية وما يترتب عليها من الخلاص.

يرى كلمنت أن ذلك يعود إلى خضوعهم لحكم العادة، فهم يتساءلون فى دهشة كيف يتركون ما وجدوا عليه آبائهم وأجدادهم؟ هـل يمكـن أن يتركـوا طعـامهم وشرابهم مثلما يتركون عاداتهم؟ ما الذى يجعلهم يستجيبون للمـسيحيين ويتركـون

عاداتهم التى ورثوها من أجدادهم؟ معرضين أنفسهم للسخرية؟[1] كما يظنون.

وينقد كلمنت الخضوع لحكم العادة على أساس انه ضد التطور الطبيعى للأشياء على ثلاث مستويات ويقدم كلمنت أمثلة على كل مستوى منها:

(أ) على المستوى الشخصى:

فيسألهم قائلاً إذا كنتم لا تريدون أن تتركوا عادات أجدادكم فلماذا إذن لا يظل الإنسان طفلاً كما هو يأكل الطعام الذى كان يأكله فى طفولته ويشرب اللبن[2]؟ ويقول إن عادات الطفولة تتغير حين ينمو الطفل وإلاّ أصبح مثاراً للسخرية، والأمر الطبعى هو أننا نغّيرها حتى دون أن يطلب منا أحد ذلك.

(ب) أما على مستوى الأسرة

فإن كلمنت يعطى مثالاً آخر؛ إذ فهو يقول إن المرء لا يترك أملاك الأسرة كما هى وإنما يزيد عليها أو ينقص منها حسب الظروف[3]، فإذا ما ورث المال مسرف متلاف بدده، وإذا ورثه مدبّر حكيم حافظ عليه ونماه، وفى كلتا الحالتين لا يبقى المال على حاله بل يتغير سواء بالزيادة أو النقصان.

(جـ) على مستوى المجتمع أو الحياة العامة

والمثال الذى يضربه كلمنت فى هذا الصدد أن الإنسان فى أثناء رحلته فى البحر لا تستمّر الأمور معه دائماً على وتيرة واحدة بل قد يتغير مسار الرحلة بأن يغيّر الشخص مما كان ينوى عمله فينتج عن ذلك خسارة أو ربح فى الحالة الثانية يكون لهذا التغيير سحره أو ما يغرى به[4]. وما يذكره كلمنت هنا لابد أن يعنى أن فائدة إيجابية تتحقق، وإن كانت من نوع جديد غير النوع الذى كانت تهدف إليه الرحلة، وإلاّ لما كان هناك السحر أو الإغراء الذى يتحدث عنه.

---

(١) Clement, op.cit., X. 73.

(٢) Ibid., X. 72.

(٣) Ibid., X. 73.

(٤) Ibid., X. 73.

ولأن الخضوع لحكم العادة مخالف لطبيعة الأشياء فإنّ المتمسكين بحكم العادة يرفضون أىّ إرشاد أو أىّ نقاش من شأنه أن يبعدهم عن الطريقة القديمة (العبادات الوثنية) ويوصلهم إلى السبيل الجديدة التى تؤدى إلى الخلاص أو تحقيق الذات عن طريق الإيمان بالله الذى يذكر كلمنت أنّه هو الأب الحقيقى.

ويصف لنا كلمنت الفرق بين الطريقتين: الطريقة القديمة التى لا تعترف بالله، (αθεον)، ولا يجنى الإنسان من ورائها أىّ نفـــع (πονηρον)، وتقـــوم علـــى العاطفة (εμπαθης) وحسب[٥]، ولا يقصد كلمنت العاطفة بمعنـــى الحـــب بـــل العاطفة على المستوى الفردى بمعنى أن يطمح الإنسان إلى ما ليس من حقـــه، ولا يحب سوى نفسه وبذلك يصبح شخصاً أنانياً ولا يمكن أن نسمى هذا عاطفـــة بـــل رغبة وهو ما تدعو له العادة، وهى تقود أصحابها فى النهاية إلى الدمار[٦]، ولنا أن نتصّور ما يقصده كلمنت من وراء هذا؛ فالشخص الأنـــانى الـــذى لا يعتـــرف إلاّ بأهوائه الشخصية أو الفردية لابد أن يصطدم برغبات الآخرين ممـــا يـــؤدى إلـــى تضارب الرغبات وبالتالى إلى الفوضى فى المجتمع وما يترتب علـــى ذلـــك مـــن سلبيات قد تؤدى إلى دمار هذا المجتمع بأسره.

وفى مقابل ذلك يصف كلمنت العقيدة الجديدة التى تقوم على العدل، المتمثـــل هنا فى الجزاء المناسب للعمل سواء أكان خيراً أم شراً، وتدعو هذه العقيدة الجديـــدة أتباعها كذلك إلى الحب، بحيث يصبح الحب علاقة قوية تجمع بـــين النـــاس فـــى المجتمع، وقبل أن يحب الناس بعضهم بعضاً يذكر كلمنت أن الله فى البداية أحـــب عباده كثيراً حيث يقول: "ما هذا الحب الفائق للإنسان ألا إن الله لا يتحدث كمـــدرس لتلاميذه، ولا كسيد لعبيده، ولا كإله لعباده، ولكن "كأب رقيق"[٧]، بذلك أصبح الحب من التعاليم المسيحية، وأصبح علاقة تربط بين الناس فى المجتمع الواحـــد ونحـــن نجد مثالاً يجّسد هذه العاطفة فى صندوق الهبات الذى يقوم من خلالـــه المـــسيحيين

(٥) Ibid., X. 73.

(٦) Ibid., X. 73.

(٧) Butterworth, op.cit., p. 183, note (f). c.f. Homer, Odyssey. ii.47.

بتقديم المساعدة للفقراء واليتامى من المسيحيين[٨].

وعلى أساس العدل يكون الجزاء المناسب للعمل؛ فالنعيم والثواب لمن يتبع تعاليم الله والعقاب لمن ينكر وجود الله ومن ثم ينكر تعاليمه[٩]، والذى يختار الخير سيكون جزاؤه خيراً والشرير يكون جزاؤه شراً [١٠] وهو يصف هذا الشر بأنه الموت الذى يوصلهم عذاب النار.

أى أن كلمنت يقرن الحبّ بالعدل الذى يكون فيه الجزاء من جنس العمل ومما يستشهد به على ذلك ما يقوله سوفوكليس حيث أشار إلى أن الذى يتوقف عند العادة لا يصل إلى شئ قائلاً: "حواس ضائعة، آذان بلا نفع، وأفكار بلا نتيجة"[١١]، أى أن من يتبع هذه العادات الوثنية يصبح إنساناً فاقداً لكل حواسه فهو لا يسمع، ولا يرى، كما أن أفكاره تصبح كذلك أفكاراً عقيمة لا فائدة منها.

وإلى جانب استشهاده باقتباس من الأدب اليونانى نجد كلمنت يستشهد بما جاء فى نبوءات العهد القديم كذلك من كلام النبى زكريا وقوله بأن الذى يتوقف عند الوثنية جزاؤه النار، بينما الذى اختار أورشليم (الله) فهؤلاء هم الطيبون الذين يخشون الله سوف يلقون جزاءً طيباً والشريرون سوف يلقون عقاباً ملائماً لأعمالهم، أما عباده الشيطان (العادة) فهى تؤدى فى النهاية إلى الندم والعقاب بعد أن نغادر هذه الحياة، وقد ظهر ذلك فى قوله "للذى اختار أورشليم (الله)، انظر. أليست هذه جمرة أخذت من النار"[١٢].

---

(٨) Hoffmann, op.cit., p. 19.

(٩) Clement, op.cit., X. 73.

(١٠) وهو ما يتشابه مع التعاليم الإسلامية فقد ورد فى الآية الكريمة: "ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره".

(١١) Sophocles, Frag. 863 Nauck، Butterworth, op.cit., p. 198, note (b) (Apud)

(١٢) Clement, op.cit., X. 73. (عن) الآية التى وردت فى العهد القديم: "فقال الرب للشيطان لينتهرك الرب يا شيطان. لينتهرك الرب الذى اختار أورشليم. أفليس هذا شعلة منتشلة من النار". العهد القديم، زكريا، الإصحاح الثالث، الآية ٢.

وأفسر هذا الوصف بأنه تشبيه لنتيجة الابتعاد عن طريق الله بالنار المحرقة، ولهذا الوصف معنيان أيضاً، معنى فى الآخرة هو العقاب بالنار، ومعنى آخر دنيوى هو أن فعل الشر يشبه ما تفعله النار أى أن الشر يؤدى بصاحبه إلى التعرّض للأذى كردّ فعل سئ من جانب الشخص أو المجتمع الذى يقع عليه الأذى مثلما تحرق النار الأشياء كما يظهر من استشهاد كلمنت بسوفوكليس وزكريا أن العادة مكروهة بوجه عام وأن هناك اتفاقاً على بغض العادة سواء من ناحية الشعراء الذين كان يحبهم اليونانيون ويؤمنون بآرائهم. أو من ناحية النبوءات اليهودية التى تمثّل تراثاً غير تراثهم.

وينتقل كلمنت إلى أسلوب آخر استخدمه مع الوثنيين؛ فبعد أن حذرهم من عاقبة أعمالهم يستخدم معهم أسلوب الترغيب عن طريق الإيمان؛ وقد يقول قائل هنا إنّ الإقناع عن طريق الإيمان لا يتفق مع الإقناع عن طريق العقلانية الفلسفية. لكننا يجب أن نتذّكر أن قدراً من الغيبية والإيمان بها كان موجوداً حتى لدى المثقفين من اليونان فى صورة الأساطير التى كانت تحتوى عليها العقائد الوثنية التى كانوا يؤمنون بها أو بعدد كبير منها، وكان كلمنت بعد أن ينذرهم ويحذرهم دائماً أن يقدم لهم البديل الأفضل من ذلك الذى يتبعونه ويظهر ذلك فى قوله "ما هذا الاشتياق الغريب، هل هذا اختيار فطرى للموت؟ لماذا تهربون إلى هذا الموت، سوف تُحرقون بناره، بينما يمكن أن تحيوا حياة طيبة مع الله، لا مع تلك العادات"[(١٣)].

وهنا يشبّه كلمنت تلك العادات الموروثة بالموت وهو شئ سيئ لأن من يتبعها سوف يلقى العذاب والنار فى النهاية بينما يحظى من يتبع الله فى النهاية بالحياة الطيبة التى يهبها الله لعباده المخلصين، وهى أمرٌ حسن يظهر عدم جدوى العادات

---

(١٣) Clement, op.cit., X. 74. نلاحظ هنا تلاعب كلمنت بالألفاظ (θεος) وتعنى (الله)، و (εθος) وتعنى (العادة) وهذا هو أسلوبه إذ يستخدم الجناس الناقص كثيراً فى الإشارة إلى العادة والله، ولا يخفى أن هذا يحمل تضادّ واضحاً يظهر مدى غضب كلمنت من الوثنيين أتباع مثل هذه العادات القديمة.

الذميمة التى تؤدى إلى الندم والعقاب حين نغادر هذا العالم(١٤).

إن فى كلمات كلمنت دعوة للوثنيين إلى أن يتحملوا مشقة ترك العادات القديمة، ويتبعوا الله وقد ورد ذلك عنده فى قوله: "وبالكدّ يتعلم حتى الأحمق". الذى يقتبسه من الشاعر اليونانى الملحمى هسيود(١٥)، وشبه كلمنت تلك العادات بالسم؛ فقال: "اطرحوا العادة جانباً مثلما تبعدون السم القاتل"(١٦).

فمثلما يقتل السم الإنسان كذلك يدمر الخضوع للعادة وعدم القدرة على التخلص منها كل من يتبعها، ونستطيع أن نشرح ذلك بشكل علمى إذا قلنا إنّ من يتبع حكم العادة يفقد إرادته وبالتالى لا يقوى على إنقاذ نفسه من أية عواقب سيئة قد تترتب على ذلك.

ولم يكتف كلمنت فى نقده لهذه العادات بأن يحذر منها فقط بل يذكر أيضاً الأسباب التى تجعله يرفضه ويلجأ إلى أسلوب ينفّر سامعيه أو قارئيه من العادات المذكورة ويصوّرها فى شكل مقزز بعدة طرق فيتحدث مثلاً عن دنس الكهنة، فيقول: "فلينظر أىٌ منكم إلى هؤلاء الذين يخدمون فى المعابد الوثنية، فلسوف يجدهم خبثاء بشعر دنس، وثياب بالية قذرة، لا يستحمون أبداً، وبأظافر تشبه مخالب الحيوانات المتوحشة، وكثير منهم مخنثون فهم خير دليل على أن هذه المعابد إنما هى فى حقيقتها مقابر وسجون"(١٧).

وينتقل كلمنت إلى الدافع الثانى الذى دفعه إلى نقد تلك العادات وهو أن أتباع تلك العادات الوثنية مثل الديدان والخنازير؛ حيث يقول: "إن بعض الناس مثل الديدان، وذلك بغوصهم فى المستنقعات والطين، وهم فى غاية السعادة، وهم أيضاً مثل الخنازير يستمتعون بالوحل(١٨)، أكثر من الماء النقى، ويأكلون الفضلات

(١٤) Clement, op.cit., X. 74.

(١٥) Butterworth, op.cit., p. 199, note (e) . c.f. Hesiod, Work and days, 218.

(١٦) Clement, op.cit., X. 73.

(١٧) Clement, op.cit., X. 74.

(١٨) Butterworth, op.cit., p. 203, Note (b), ،Heracleitus, Frag. 54 Bywater

الفصل السابع

المسيحية ومفهوم الثروة

١-موقف الرجل الغنى من الخلاص:

(أ) مقولة أن الاستغناء عن الثروة شرط للوصول إلى الخلاص.

(ب) بين الوضية والاستغناء عن الثروة.

٢-التفرقة بين "امتلاك الثروة" و "حب الثروة".

٣-الدعائم التى ينبغى أن يقوم عليها مفهوم الثروة.

(أ) واجب المسيحيين إزاء أصحاب الثروة.

- عدم تملق الأغنياء.

(ب) واجب أصحاب الثروة.

- التمسك الواعى بالمسيحية أو التضامن مع المسيحيين.

٤-ليس الفقر مرتبطاً بالفضيلة ولا الثروة بالرذيلة.

٥-كيف نسخر المال لخدمة المجتمع والأفراد.

أ- الثروة قيمة محايدة وإيجابيتها تكمن فى مساعدة المجتمع.

ب- مساعدة المحتاجين تؤدى إلى الحب ومن ثم إلى الترابط.

٦-خلاصة لرأى كلمنت فى الثروة.



بعيداً عن الحقيقة إذ صنعته أيدى حرفيين من أتيكا خلقهم الله.

ويقترب كلمنت من فكرة العقلانية؛ فيقول معتمداً على ما ورد فى العهد القديم أن صورة الله هى كلمته، وكلمة الله هى الابن الحقيقى للعقل، وصورة الكلمة هى الإنسان الحق بمعنى العقل الذى فى الإنسان، الذى يُوصف بأنه "صورة من الله" "οκατ εικονα"، و "على شاكلته" "καθ ομοιωσιν" لأنه خُلق على شاكلة الكلمة الإلهية أو العقل. "وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التى تدب على الأرض[٢٦]. فهو من ثم معقول على عكس التماثيل المصنوعة من الطين، التى هى مجرد طابع على الطين ومن ثم يصبح أخذها على محمل الجد نوعاً من الجنون.

ويذكر كلمنت أن العادة تستعبد صاحبها وتجعله ينصرف إلا ما لا فائدة فيه[٢٧].

ويشير كلمنت إلى ذلك متسائلاً: "ألا تظنون أنه من العبث أن تخدموا أنتم أيها البشر آخر خلق الله سيداً آخر، وأكثر من ذلك أن تقدسوا طاغية (τυραννος)، بدلاً من السيد العادل، أن تخدموا الطالح بدلاً من الصالح"[٢٨]؟

أى أن كلمنت يعتمد فى هذا المجال على حقيقتين تنفران اليونانيين من الاستسلام لسيطرة العادة، حين ربط بينها وبين العبودية من جهة، والطغيان من جهة أخرى. وعلى الرغم من أن معاملة العبيد عند اليونان لم تكن دائماً معاملة غير إنسانية بل كانت هناك تشريعات تخفف من وطأتها فى بعض الأحيان [٢٩] إلا أن النظرة إليهم كانت متدنية بالضرورة إذ كانوا يعاملون نظرياً على الأقل معاملة الأشياء، فهم يُباعون ويشترون ويؤجرون. وفيما يخصّ الطغيان فعلى الرغم من

---

(٢٦) العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح ١، الآية ٢٦. (عن) Clement, op.cit., X. 79.

(٢٧) Clement., X. 79.

(٢٨) Ibid., X. 74.

(٢٩) Berger, Addf: Slavery, OCD, Oxford, 1995.

أن استخدام لفظة طاغية (Tυραννος) لم يكن يعنى الاستبداد دائمـاً[٣٠]. إلاّ أن اللفظة اقترنت منذ عهد هيباس وهيبارخوس (ابنى الطاغية الأثينى بايزستراتوس) بهذا المعنى السيئ وندرك ذلك من طرد الأثينيين لأحد هذين الابنين واغتيالهم للآخر بل وتكريم اللذين اغتالاه بإقامة تمثال لهما[٣١]، ويرجع كلمنت السبب فى إتباع تلك الأشياء إلى الجهل، ويقول إن "الطقوس غير الشرعية، والاحتفالات الخادعة إنما هى بسبب الجهل"[٣٢].

لأن الجهل هو الذى يدفع صاحبه إلى عبادة أصنام لا نفع فيها ولا فائدة، واستشهد كلمنت بكلام الفلاسفة الذين يقولون إن الجهل ضرب من ضروب الجنون[٣٣]، كما نقل رأى الفلاسفة الرواقيين[٣٤] ووصفهم الجاهل بالجنون، وهو يعلم جيداً أن الشعب اليونانى يحب العلم ويكره أن يوصم بالجهل، ويظهر هنا أسلوب كلمنت فى إثارة النزعة العاطفية عند الشعب اليونانى، واستشهد كلمنت بما ورد فى العهد الجديد فى رسالة بولس إلى أهل إفسوس، وقوله لهم قائلاً: "دعونا لا نكون عبيداً، ولنكن "أبناء النور"[٣٥]، دعونا نتُب ونخرج من الجهل إلى المعرفة، من عدم الشعور إلى الشعور، من الإفراط إلى الاعتدال ومن الكفر إلى الإيمان[٣٦]. ويتكلم كلمنت عن الفوائد التى سوف يجنيها كل من يطيع الله وينقل ما ورد فى العهد القديم حيث تقول الآية:

"ارفع رأسك من الأرض للسماء، انظر للسماء وتعجب، وتوقف عن النظر

---

(٣٠) Andrews, A: The Greek Tyrants, Hutchinsons University Library, London, 1956, pp. 20-30.

(٣١) لطفى عبد الوهاب، اليونان مقدمة فى التاريخ الحضارى، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩١، ص١٣٢.

(٣٢) Clement, op.cit., X. 74.

(٣٣) Ibid., XII. 94.

(٣٤) Butterworth, op.cit., p. 261, Note (a).

(٣٥) Clement, op.cit., X. 75.

(٣٦) Ibid., X. 75.

للوراء"[٣٧]. ثم ينتقل كلمنت أخيراً إلى طريقة التصفية ليصل فى النهاية إلى أنّ عبادة الله هى الأحقّ بأن تتبع؛ فيذكر أنه إذا لم يكن اليوم أو الشهر أو السنة أو الزمن الذى يتكون من هذه الأجزاء آلهة، فمن الواضح أن الشمس أو القمر التى تحسب على أساسها هذه الأشياء ليست آلهة كذلك، كما أنه ليس من العقل أن نتخيل أن يكون العقاب أو الخير أو القدر أو الفخر أو الثروة — التى يصورها بعض الفنانين فى شكل شخص أعمى — لا يمكن أن نتخيل أن تكون تلك الأشياء آلهة. كذلك تأليه التواضع والحب بل والدوافع الغريزية، والرغبة والممارسة الجنسية هو أمر غير معقول كذلك، وهو ما يقال أيضاً عن النوم والموت اللذين لا يمكن أن يكونا من الآلهة، لأن ما سبق كله حالات تطرأ على الإنسان والحيوان وإذا كنا لا نؤله ومضات البرق وزخات المطر فكيف نؤله النار والماء ويتساءل كلمنت كيف تكون النجوم والمذنبات آلهة وهى مجرد ظواهر جوّية، وسرعان ما يخرج بإجابة قاطعة على تلك التساؤلات كلها وهى: إذا لم تكن هذه الأشياء جميعاً آلهة، فليس هناك إلاّ إله واحد حقيقى (ομονος οντως υπαρχων θεος)، وما تلك الآلهة إلا كما قال الشاعر: إن "تماثيل الآلهة ليست خالدة... لدرجة أنها شاركت حتى في الموت!".

"αθανατοι....... ινα και θανατου μετειληφα σιν".

ثم يصل كلمنت أخيراً إلى الحديث عن لا معقولية الموقف الذى يتخذه الوثنيون، وإن كان يقرن ذلك بنوع من الحديث المؤثر فى عاطفة السامعين أو القراء. كما يقول إن بعض الناس يقولون إنّ الغراب الأسمم ينعق برسالة الله، بينما الإنسان الذى لا ينعق كالغراب ولا ينقّ كالضفادع بل ينطق بلسان فصيح لا يستطيع أن يُفهم بين البشر رسالة الله"، بل وصل الأمر إلى أن ذبح الوثنيون الدعاة المسيحيين، يحدوهم إلى ذلك ما يكنونه لهم من بغض وهم الذين يعلمونهم عن طريق العقل والحب، ويدعونهم إلى الصلاح والاستقامة"[٣٨].

---

(٣٧) العهد القديم، المزمور ٤، الآية ٧ (عن) Clement, op.cit., X. 83.

(٣٨) Ibid, X. 82.

"οιμοι, λογικως και φιλανθρωπως κατηχουντα αποσφα ττειν απανθρωπως επιχειρουσιν, επι την δικαιοσυνην καλουντα".

ويريد كلمنت بذلك الإشارة إلى الأباطرة الرومان الذين يضطهدون المسيحيين، ظانين أن تلك العقيدة الجديدة عقبة أمام نظام الحكم الرومانى، ولذلك يرفضون الاستماع إلى صوتها بل ويقضون على أتباعها.

ثانياً: المزايا التى يحصل عليها من يعتنق المسيحية:

وينتقل كلمنت بعد ذلك إلى الشق الثانى من محاولته لتقديم المفاهيم المتعلقة بالمسيحية وهو المزايا التى سوف يحصل عليها كل من يتحامل على نفسه، ويتخلص من حكم العادة لكى يصل إلى الله، إلى جانب ما ينتظره من ثواب عميم فى الآخرة.

(أ) مزية السؤال والاستفسار:

وأول هذه المزايا حق السؤال والاستفسار عن كل ما يشغل بال الناس فى العقيدة المسيحية، وهنا يذكر كلمنت أنه الناصح الأمين للوثنيين فلن يجدوا مشقة فى اكتشاف الأفضل بالنسبة لهم فسوف يوضح لهم ما يريدون معرفته حيث يقول: "استمع إلىّ بدلاً من التشبث بالعادة التى ورثتها عن آبائك وأجدادك والتى تمنعك من الاستماع" ولا يلبث كلمنت أن يقدم للوثنيين ما وعد به فى هذا الصدد، وهو يتمثل، فى إعلائه من شأن "التجربة" إذ لابد لهم أن يُجربوا هذه العقيدة قبل أن يرفضوها ويضرب أمثلة على ذلك فيذكر أنهم يشربون الخمر أولاً ثم يصفون آثارها بعد ذلك وعندما يقومون بثورات فهم يندفعون إليها فى البداية دون أن يعرفوا عواقبها أو يسألوا عنها[٣٩]، أمّا عندما يكلمهم عن العقيدة الجديدة وعن الله فهم يتباطئون ويتساءلون منذ البداية ولا يريدون التجربة، وهو ينصحهم بضرورة التجربة فلن يخسروا شيئاً فى هذه الحالة وحتى لا يكون رفضهم لمجرد الرفض.

ويعد هذا أحد أساليب كلمنت فى الرد على المفكرين الوثنيين الذين يتهمون

(٣٩) Ibid., X. 77.

المسيحية بأنها تدعو إلى الغيبيات[٤٠]، وعدم السؤال والاستفسار عن أى شئ، بل الإيمان والتسليم فقط بتعاليمها. وهو يوضح هنا أن المسيحية تدعو إلى التجربة والتفكير، ولهذا يدعو كلمنت الوثنيين إلى أن يثقوا فى المسيحيين لكى يساعدوهم على التخلص من هذا الشر الذى هم فيه (يقصد به العادات الوثنية القديمة)، وبعد أن يفكروا ملياً فى هذا الإيمان، ويرغبوا فى أن يكونوا مطيعين، ويقول لهم كلمنت " تعالوا إذن، سوف أعرض عليكم الشواهد المقنعة"[٤١].

ويقصد كلمنت من ذكره للكلمة (يفكرون) أن يوضح أن المسيحية تترك لأتباعها حرية الاختيار؛ فهى لا تستخدم العنف أو الإجبار وإنما الإقناع وتقديم البراهين الواضحة، إذ لا يحق العقاب فيما بعد إلا بذلك، وهو ما أشار إليه كلمنت عندما قال عن النصيحة التى يسديها السيد للعباد بطاعة الله: "إذا أنصتم إلىّ فسوف تأكلون من طيبات الأرض، وإذا لم تنصتوا إلىّ ولم ترغبوا فسوف يلتهمكم السيف والنار"[٤٢]. ويقول أيضاً إنه سوف يقدم لهؤلاء الذين اختاروا العقيدة المسيحية الشواهد والأدلة المقنعة التى توضح لهم أنهم اختاروا الاختيار الأمثل.

(ب) ميزة الخلاص (تحقيق الذات):

وينتقل كلمنت بعد ذلك إلى المزية التالية التى يمنحها الله لمن يتحملون المشاق فى سبيله وهى أن الله يورثهم السماء والأرض خالصة لهم دون أجر، وقد استشهد كلمنت على ذلك بما ورد فى إحدى النبوءات اليهودية؛ يقول أشعيا فى نبوءته: "إن

---

(٤٠) يتهم الوثنيون المسيحية بأنها تدعو إلى الغيبيات فى حين أن المجتمع الرومانى فى هذه الفترة (القرن ٢م) كان يؤمن بالغيبيات وانتشرت فيه عبادة سيرابيس وإيزيس؛ وأشار مينوكيوس فى كتابه (أغسطس) إلى ذلك قائلاً: "إن هذين الإلهين أصبحا ضمن مجمع الآلهة". راجع:

Yehya. Lutfi. A.W.: Clement of Alexandria, p. 171, note (19). C.f. Minucius Felix, Octavius, XIII. 2.

(٤١) Clement, op.cit., X. 77.

(٤٢) Ibid., op.cit., X. 76.

"εαν σι μη υπακουσητε μου μηδε θελησητε, μγαιρα υμας και πυρ κατεδεται".

هناك ميراثاً لهؤلاء الذين يخدمون الله"[٤٣]. ويوضح كلمنت معنى الميراث معتمداً على ما ورد فى إنجيل متى ويقول إنه ليس من الذهب أو الفضة أو أى شئ آخر يمكن للسارق أن يجد سبيلاً إليه"[٤٤]. لكن الكنز الحقيقى هو الخلاص، وهو ما سبق أن حللته على أنّه تحقيق النفس عن طريق التواؤم مع النفس ومع المجتمع. ونستطيع هنا أن نقول — فى ضوء التوّجه الذى يقدّمه كلمنت — إن الخلاص المذكور يُقصد به الخلاص من الشرور التى ظهرت فى الإمبراطورية الرومانية فى ذلك الوقت ومن ثم أصبحت صفةً للناس، وبالتالى يصبح الخلاص هو الخلاص من الذنوب التى ترتبت على هذه الشرور، كما يوضح كلمنت أن السبيل الوحيد للوصول إلى هذا الكنز أن نطيع الله، الأب الحقيقى الذى لم يكف عن النصيحة، ولم يكف عن التحذير، ولم يكف عن ذكر الجزاء: بمعنى أن من يعمل خيراً يره ومن يعمل شراً يره.

وربما كان الدافع لهذا النوع من التفكير عند الشخص العادى هو ما كان يحدث فى المجتمع الرومانى فى ذلك الوقت من الصراع الدائم، لاسيما الصراع العسكرى، وما كان يترتب عليه بالضرورة من سلبيات من بينها الظلم والقهر — ومثل هذا الوضع كفيل بأن يدفع المجتمع الرومانى إلى التفكير فى البحث عن الثواب والعقاب أى الجزاء على الأعمال أعمال الخير وأعمال الشر؛ فللأولى الثواب وعلى الثانية العقاب، ويُعدّ هذا رداً على المدارس الفلسفية التى كانت تدعو إلى التقوقع على الذات والانفصال عن المجتمع، وبالتالى الابتعاد عن فكرة الثواب والعقاب على نحو ما رأينا أثناء الحديث عن بعض هذه المدارس، مثل المدرسة التشككية التى تشكّك فى جدوى العلاقة بين الفرد والمجتمع[٤٥]، والمدرسة الأبيقورية التى تدعو إلى اهتمام الفرد بمتعه الخاصة وألا يهتم الفرد

---

(٤٣) العهد القديم، أشعيا، الإصحاح ٤، الآية ١٧. (عن) Clement, op.cit., X. 75

(٤٤) العهد الجديد، القديس متى، الإصحاح ٦، الآيات ١٩، ٢٠.(عن)Clement, op.cit., X. 75

"لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون بل اكنزوا لكم كنوزاً فى السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون".

(٤٥) Fritz, Kurt von: Cynics, OCD, Oxford, 1996.

(αταραξια) بما من شأنه أن يسبب له الألم(٤٦).

كما أن الله (الأب الحقيقى) لم يكف أيضاً عن الحب(٤٧) وهو ما سبق الحـــديث عنه وإنقاذه لعباده أو لأبنائه وقد اعتمد كلمنت فى توضيح هذه الفكرة على مـــا ورد فى العهد القديم فى سفر أشعيا، حيث يقول السيد "أنتم أيها العطـــشى، تعـــالوا إلـــى الماء، وبما أن الكثير منكم ليس لديه مال، فاذهبوا واشـــتروا واشـــربوا بـــدون أن تدفعوا مالاً"(٤٨)، وهنا يوضح أيضاً أن تلك الأشياء التـــى تمـــلأ الأرض والبحـــر والسماء إنما هى أشياء خلقها الأب من أجل إسعاد عباده (أبنائه)(٤٩)، ويقصد بـــذلك أنهم سوف يحصلون على كل شئ مجاناً فى الدار الآخرة عندما يتركون هذا العـــالم المادى، ومن ثم نلاحظ أن حب الله لعباده فيه دعوة إلى الحب بين البـــشر وبـــذلك يحدث الاستقرار الذى كانت روما (وبالتالى الإمبراطورية الرومانية) تفتقـــر إليـــه، لكن الحب الذى تعنيه المسيحية وتريد نشره بين الناس هو الحب الذى يـــدعو إلـــى التكافل، بما فى ذلك مساعدة المحتاجين والمسنين، والأيتام(٥٠).

أى أن كلمنت يقدم المقابل والعوض للتحمل الذى سيجربه الوثنيون عند ترك عاداتهم والدخول فى المسيحية، والمقابل هنا هـــو أن الله ســـوف يـــورثهم الأرض والسماء، والأهم من ذلك هو الخلاص، ثم حديث كلمنت عن العالم الآخـــر الـــذى يلقى فيه كلّ جزاءه وسبب هذا الحديث انتشار هذه الفكرة فى روما فى القرن الثانى الميلادى فى شكل مبدأ من مبادئ عبادة إيزيس، وسيرابيس هو الجزاء الأوفى فـــى العالم الآخر، بل إنّ هاتين العبادتين (إيزيس وسيرابيس) أصـــبحتا مـــن العبـــادات الشائعة الراسخة بين الرومـــان حتـــى إن مينوكيـــوس (Minicius) فـــى كتابـــه

---

(٤٦) Brink, Carl Oscar: Epicurus, OCD, 1996.

(٤٧) Clement, op.cit., IX. 69.

(٤٨) العهد القديم، سفر أشعيا، الإصحاح ٥٤، الآية ١٧، (السبعينية، الإصحاح ٤، الآية ١). (عن) Clement, op.cit., X. 75.

(٤٩) Clement, op.cit., X. 75.

(٥٠) Yehya. Lutfi. A.W. op.cit., p. 173, c.f.Tertullian, Apology, 39. Hoffmann, op.cit., p, 19. Note (24).

"أغسطس" يقول إنّ "هذين الإلهين أصبحا ضمن مجمع الآلهة الرومانيـــة". كمـــا أن فقدان الأمل فى العدل يدفع إلى الإيمان بالغيب، لا بالعقل وهذا ما كـــان فـــى ذلـــك الوقت، لما يلاقيه المواطنون من ضياع وظلم نتيجة الفوضـــى العـــسكرية آنـــذاك؛ بحيث فقد الناس الأمل فى الحصول على حقوقهم فى هذا العـــالم ولـــذلك اتجهـــوا بتفكيرهم إلى الغيب يبحثون فيه عن ملاذٍ لهم ممّا يتعرّضون له من معاناة.

ونلاحظ أن كلمنت يقدم هذه المزايا أيضاً فى شكل عقلانى فهو يسأل الوثنيين لماذا التردد[٥١] فى آرائهم؟ لابد لهم أن يختاروا طريق الله، وهو يحاول أن يوضـــح من خلال تساؤله هذا أن الله لا يكتفى بمنحهم تلك المزايا مكافأة على تحملهـــم بـــل يطلب منهم أن يطيعوه، وهذا دليل على عناية الله بعباده[٥٢].

(جـ) تكريم الإنسان:

وينتقل كلمنت بعد ذلك إلى المزية التالية وهى تكريم الإنسان، وهـــو مـــا يسميه باكتساب البشر صفة القدسية بدخولهم فى المسيحية وفى هذه النقطـــة يـــذكر كلمنت للوثنيين أن الله جعل البشر هم المقدســـين، أمـــا الوثنيـــون فيجعلـــون مـــن الحيوانات والأحجار أشياء مقدسة. وهو يوضح لهم بذلك مدى اهتمـــام المـــسيحية بالبشر ومدى وضع الوثنية من شأنهم وهو هنا يقصد تكريم المسيحية للبـــشر فـــى الحياة الآخرة، وذلك تعويضاً عما يفقدونه فى الدنيا من مزايا.

ومن الواضح هنا أنّ حديث كلمنت يعتمد على عنصر الإيمان بالغيب. وكانت ظروف العصر تجعل من هذا النوع من الإيمان أمـــراً مقبـــولاً وارداً. إذ شـــهدت الفترة التى عاش فيها كلمنت تراجعاً فى تأثير المدارس الفلسفة بشكل عام واتجاهـــاً نحو اعتناق الأديان الشرقية بوجه خاص، كمـــا شـــهدت اتجاهـــاً نحـــو الإيمـــان بالمعجزات[٥٣].

---

(٥١) Clement, op.cit., X. 76.

(٥٢) Ibid., X. 76.

(٥٣) Cary, M. and Scullard, H., op.cit., pp. 482-3.

وداخل هذا الإطار من اتجاه المجتمع الرومانى نحو الإيمان يقدم كلمنت دعوته إلى اعتناق المسيحية؛ فيتساءل متعجباً "لمن يقول السيد "لكم مملكة السماء"[٥٤]؟ إنه يقول ذلك لمن يرغب فى أن يبقى مع الله، لأنهم أرادوا ببساطة ان يثقوا ويتبعوا الطريق القصير الذى دلهم عليه المبشرون المسيحيون، إن كلمنت يقول للوثنيين ــ معتمداً على ما ورد عند القديس يوحنا فى إنجيله ــ إن إتباع السيد هو السبيل للخلاص[٥٥]، إنه طريق ضيق، لكنه يأتى من السماء، إن هذا الطريق الضيق يعود بكم فى النهاية للسماء[٥٦]. "فهو طريق ضيق ويُستهان به فى الأرض لكنه محبوب وهام فى السماء"، كما ورد فى إنجيلى متى ويوحنا. ومن هنا يتضح أن الذى لا يستمع إلى الله ولا يتبعه جاهل يُعذره لجهله[٥٧].

ويوضح كلمنت أنهم على الرغم من ذلك لا يستطيعون أن يجبروا أحداً على طاعة الله، وإنما عليهم النصح فقط لهؤلاء الكافرين، لكنه يتعجب من هؤلاء الذين لا يؤمنون بالله قائلاً: "كيف تجرؤ، وأنت تتمتع وتفرح بأملاك السيد، أن تتجاهل هذا السيد؟ سوف يقول لكم السيد، اتركوا أرضى، لا تلمسوا الماء الذى أرسلته، لا تأكلوا الفاكهة التى أنتجتها زراعتى، أعط أيها الإنسان لله مقابل تربيتك"[٥٨].

(د) مزية الحياة الهادفة:

ينتقل كلمنت بعد ذلك إلى المزية التالية وهى "الحياة" ولعل من الخير هنا أن اذكّر، مرة أخرى بالظروف التى كان المجتمع الرومانى يمّر بها فى الفترة التى

العهد الجديد، القديس متى، الإصحاح ٥، الأيات ٣، ١٠؛ العهد الجديد، القديس لوقا، الإصحاح ٦، الآية ٢٠.

(٥٤) (عن) Clement, op.cit., X. 79.

(٥٥) العهد الجديد، القديس يوحنا، الإصحاح ١٤، الآية ٦. (عن) Clement, op.cit., X. 79.
"قال له يسوع أنا أهون الطريق والحق والحياة، ليس أحد يأتى إلى الأب إلاّ بى".

(٥٦) العهد الجديد، القديس متى، الإصحاح ٧، الآيات ١٣، ١٤؛ العهد الجديد، القديس يوحنا، الإصحاح ٣، الآيات ١٣، ٣١. (عن) Clement, op.cit., X. 79.

(٥٧) Clement, op.cit., X. 79.

(٥٨) Ibid., X. 82.

عاصرها كلمنت، أى ظروف عدم الاستقرار ومن ثم افتقاد المجتمع والفـرد إلـى الحياة الهادفة، وكلمنت يذكر أن العقيدة الجديدة كفيلة بأن توفر هذا النوع من الحياة لأتباعها. وهو يصف الحياة بأنّها أكبر منحة منحها الله لعبـاده ولابـد أن يـستغلها الإنسان للوصول إلى الله ويكون ذلك ــ كما يدل العقل ــ بإتباع تعاليم الله وأهمهـا الحبّ بين البشر، الحب الذى يحسّن ويوثق العلاقات بين أفـراد المجتمـع؛ وهـذه المنحة التى يهبها الله لعباده هى من وجهة نظر كلمنت المكافأة الأولى التى يمنحهـا الله لعباده حتى يستطيعوا البحث عنه؛ لذلك يجب عليهم أن يـستغلوا حيـاتهم هـذه للوصول إليه والحصول على المكافأة الأخيرة وهى الخلاص[٥٩]. ويذكر كلمنت أنه ورد فى الكتاب المقدس "ابحث عن الله، روحك سوف تحيا"[٦٠]. وهكذا يصبح مـن يبحث عن الله مشغولاً بخلاصه فى الحقيقة.

وهنا يقول كلمنت "متى وجدتم الله، فسوف تجدون الحياة، دعونا إذن نبحـث، ربما نحيا، فإن مكافأة البحث هى الحياة مع الله[٦١]، أى أن كلمنـت ربـط الحيـاة بالبحث عن الله، فكأن من لا يبحث عن الله ميت، أما من يحاول الوصول إلـى الله الحق فتصبح حياته حياة هادفة تستحق أن يعيـشها، ويحـاول كلمنـت أن يعمّـق الشعور بهذه الحقيقة فينتقل من الإقناع العقلى إلى إثارة نزعة عاطفية مقترنة بـشئ من العقلانية عند الوثنيين حيث يقول:

"إن الوحوش أسعد بالتأكيد من البشر الذين يعيشون فى الخطيئة ! فهى جاهلة مثلكم، لكنها لا تدعى زوراً معرفة الحقيقة، وليس بينها جحافـل مـن المتملّقـين، فالأسماك لا تخاف الشياطين، والطيور لا تعبد الأصنام، إنها لا تعرف الله لأنهـا لا تملك عقلاً عندما تفكر فى ذلك ألا تخجل من أن تجعل نفسك أقل عقـلاً مـن تلـك المخلوقات التى بلا عقل. لقد أضعتهم كثيراً من سنى عمـركم فـى الإلحـاد"[٦٢]،

---

(٥٩) Ibid., X. 84.

(٦٠) العهد القديم، المزمور ٦٩، الآية ٣٢، (عن) Ibid., X. 84.

(٦١) Ibid., X. 84.

(٦٢) Ibid., X. 84.

وواضح أن كلمنت يخاطب هنا ويثير النزعة العاطفية عند اليونان عندما يضعهم بإلحادهم فى مرتبة أقل من الحيوانات، والغرض من ذلك هو دفعهم لاتباع المسيحية، وكانت هذه إحدى وسائله فى الدعوة إلى المسيحية كما ذكرنا من قبل.
وتبقى مزية أخرى يتمتع بها من يدخل فى المسيحية كما يقول كلمنت؛ وهى:

(هـ) تأدية الفرد لالتزاماته فى الحياة بشكل جيد:

وفى هذه النقطة يشير كلمنت إلى أن القوانين الوضعية التى تسنّها الحكومات والمجالس التشريعية أو التى يضعها المشرعون من أمثال سولون وليكرجوس وغيرهما يظهر فيها عنصر الإجبار الخارجى من جانب الدولة لأنها تصدر من منطلق صالح المجتمع أولاً وأخيراً؛ يقول: "دع الأثينيين، والأرجيين (Argeans)، والإسبرطيين (Spartans) من ليكورجوس يتبعون قوانين سولون (Solon)، لكنكم إذا سجلتم أنفسكم بين شعوب الله، فسوف تكون السماء موطنكم والله حاكمكم"[٦٣].

أما المسيحية التى تقدّم الحكمة الإلهية، فعلى الرغم من أنها تهدف أيضاً لصالح المجتمع إلا أنها لا تنطلق من الإجبار الذى يقع على الأفراد وإنما تنطلق من الإقناع لهم. وهذا فى نظرى مزية واضحة من مزايا المسيحية. وهنا يوضح كلمنت مدى أهمية إتباع قوانين الله، فهى التى تقود إلى الحياة الفاضلة بينما القوانين الأخرى من وضع البشر ولهذا فهى ظالمة فى أحايين كثيرة وقوانين الله عادلة ولا يمكن أن تظلم أحداً، ومن أمثلة هذه القوانين ما ورد فى العهد القديم فى سفرى الخروج والتثنية من أنه يجب على من يطيع الله ألا يقتل، وألا يفسق، ولا يلوط، ولا يسرق، ولا يشهد شهادة زور[٦٤]،هذا بالإضافة إلى قوانين أخرى منها (ضرورة حب الجار)[٦٥].

---

(٦٣) Ibid., X. 85

(٦٤) العهد القديم، سفر الخروج، الإصحاح ٢٠، الآيات ١٣-١٦ (عن) Ibid. X. 84 ؛ العهد القديم، سفر التثنية، الإصحاح ٦، الآية ٥.

(٦٥) العهد القديم، سفر اللاويين، الإصحاح ١٩، الآية ١٨. (عن) Ibid., X. 85.

ويوضح كلمنت أن هذه القوانين صارمة، ومن الصعب تحملها، لكنهم يجب أن يتحاملوا على أنفسهم ويتبعوا تلك الوصايا، لأنها سوف تؤدى فى النهاية إلى الخلاص، ويشبه كلمنت هذه القوانين (الوصايا) بالدواء مر المذاق إلا أنه يعالج ويشفى ويعيد الصحة مرة أخرى[٦٦].

وبتأمل ما سبق كله نلاحظ طريقة كلمنت فى تقديمه للتعاليم المسيحية؛ فهو يذكرها فى البداية ثم يذكر بعد ذلك أنها الطريقة الوحيدة للوصول إلى الخلاص. وأن من يتحمل سوف يُكافأ على تحمله هذا، كما أن السائرين فى هذا الطريق إلى الله لن يحملوا وحدهم مشقته لكن العناية الإلهية سوف تساعدهم وتأخذ بأيديهم للوصول إلى الله.

---

(٦٦) Ibid., , X. 85.

بشراهة مثلما قال عنهم ديموكريتوس(١٩)، والغرض من استشهاد كلمنت بما قاله ديموكريتوس هو أن يوضح لهؤلاء الوثنيين أن فلاسفتهم أيضاً يشمئزون من تلك العادات التى يتبعونها.

وينتقل كلمنت إلى الدافع الأخير الذى كان وراء نقده لهذه العادات، وهو تناقض هذه العادات مع العقل والمنطق: فهذه العادات القديمة تؤله البشر على الرغم من أنهم فانون، وتقيم التماثيل للعبادة على الرغم من أنها لا تشعر ولا تفيد، ويقول كلمنت إن عبّاد الأوثان التى لا تشعر ولا تفيد يجب أن يشعروا بالخجل، ويدعو المسيحيين إلى التخلص من عقدة الإحساس بأن التسمية بالمسيحية عار يؤدى إلى الخجل، وهو يدعّم ما قاله بما جاء عند الشاعرين الملحميين هوميروس وهسيود حيث يذكر أن "الشعور بالعار يسبب للناس أذى كبيراً حين يبعدهم عن الخلاص"(٢٠)، ويقول كلمنت إن من يجب أن يشعروا بالخجل هم من يعبدون أصناماً لا تدرى شيئاً صنعوها بأيديهم، أمّا فيما يتعلق بعبادة البشر فقد ضرب كلمنت مثالاً هو الإسكندر المقدونى الذى ألّهوه وهو بشر فانٍ(٢١).

ويضرب كلمنت مثالاً آخر على صحة ما يقول حيث يستشهد بما قاله ثيوكريتوس، الذى سخر من الترّهات التى يقولونها عن الآلهة حين قال لأتباعه، بعد وفاة الإسكندر: "افرحوا، فإن صاحبكم (يقصد الإسكندر) كما ترون فانٍ، وإلهتكم تموت قبل البشر"(٢٢).

(Apud)

(١٩) Butterworth, op.cit., p. 203, Note (c), (Apud), Democritus, Frag. 23 Notorp, 147 Diels.

(٢٠) Butterworth, op.cit., p. 210, Note (B).c.f. ،Homer, Iliad XXIV, 45. Hesiod, Works and Days, 318.

(٢١) كانوا يعدّون الإسكندر الإله الثالث عشر وأضافوا اسمه للآلهة الاثنى عشر التى على جبل الأوليمبوس وقد ورد هذا فى نبوءة سيبيل. راجع:

Butterworth, op.cit., p. 210, Note (c), Apud, Sibylline Oracles. V. 6.

(٢٢) ثيوكريتوس المذكور هنا هو أحد الحكماء، من مدينة خيوس وهو شخص آخر غير الشاعر ثيوكريتوس. راجع: Butterworth, op.cit., p. 211, Note (d).

ويدّعم كلمنت ما ذهب إليه بأن يذكر أن التماثيل ليست إلا أعمالاً فنية قام بها المثالون اليونان من أمثال فيدياس وبولكليتوس وبراكسيتيليس، وعلى الرغم من روعة أعمالهم، إلا أنهم لا يستطيعون أن يصنعوا صورة تتنفس أو أن يصنعوا لحماً ليناً كالذى خلقه الله(٢٣). وقد استشهد كلمنت بما ورد فى إحدى النبوءات اليهودية من أن "سوء الحظ سوف يقضى على عالمنا، عندما يأتى اليوم الذى يضع فيه البشر ثقتهم فى تماثيل"(٢٤). وهو يريد هنا أن يقول إن صناعة المثّالين تقف عند حدود الحجر لكنها لا تصل إلى تزويد التمثال بالروح والنبض أى أن التماثيل مجرد صور لجسم الإنسان أما الإنسان أو التمثال الحى فهو صُنع الله.

ونلاحظ هنا لجوء كلمنت للناحية العقلانية فى محاولته إقناع الوثنيين بترك تلك العادات القديمة التى لا تفيد ودعوتهم إلى أن يتبعوا العقيدة المسيحية، حيث طرح عدة تساؤلات أراد من خلالها أن يوضح مدى عظمة الله الخالق حيث قال: "مَنْ الذى خلق المخ؟ من ثبّت هذه العظام؟ مَنْ الذى شدّ أوتار العضلات؟ مَنْ الذى ملأ الشرايين بالدم؟ وأخيراً السؤال الذى تصعب على هؤلاء الإجابة عليه وهو: مَنْ الذى نفخ الروح فى الإنسان؟ ومَنْ الذى أرشده إلى الصواب؟ ومَنْ الذى وعده بالخلود؟ والأسئلة كلها — كما نرى — أسئلة عقلانية منطقية تتعلق بالقوة القادرة التى خلقت الإنسان وأعطته الحياة، وإن كان السؤالان الأخيران عن الاهتداء للصواب والوعد بالخلود لا يدخلان فى هذا الإطار. واستمراراً فى شرح هذه النقطة نجد كلمنت يعلّق على عبادة التماثيل معتمداً على العهد القديم من جهة وعلى الفلسفة اليونانية، وبالتحديد على نظرية المثل عند أفلاطون (وإن كان لا يذكر هذه الأخيرة) من جهة أخرى، ويجيب فى النهاية على هذه الأسئلة قائلاً: "لا أحد غير خالق الكون، الأب الفنان العظيم"(٢٥). ومن ثم تصبح تلك الآلهة التى يعبدها الوثنيون لا شئ على الإطلاق ويصبح زيوس مجرد صورة لصورة ومن ثم يكون

(٢٣) Clement, op.cit., X. 75.

(٢٤) Clement, op.cit., X. 75؛ مصدر هذه النبوءة غير معلوم. راجع:
Butterworth, op.cit., p. 213, Note (C).

(٢٥) Butterworth, op.cit., p. 213, Note (d). c.f. Pindar, Frag. 57. Schroeder

تحدثت فى الفصل السابق عن أحد المفاهيم الأساسية التى دارت حولها المسيحية وهو مفهوم التحمل وسوف أنتقل الآن للحديث عن المفهوم الثانى الذى دارت حوله العقيدة المسيحية وهو مفهوم الثروة، ولكن قبل أن أتحدث عن هذا المفهوم وعن المقصود منه فى العقيدة المسيحية، أود الإشارة إلى المشكلة التى عاصرها كلمنت والتى من خلالها شرح مفهوم الثروة ومدى أهميتها فى العقيدة المسيحية، تكمن هذه المشكلة فى أن الكنيسة آنذاك كانت لا تزال تجاهد من أجل الظهور، وتحارب الديانات الوثنية التى كانت تقف عائقاً أمامها، كما كانت الكنيسة تحتاج إلى مزيد من الاستقرار، خاصة وأن مسألة نهاية هذا العالم (εσχατοσ) لتبدأ الحياة الأبدية، التى كانت المسيحية تعد بها مسألة تحتاج إلى وقت طويل لا فترة محدودة إذ ربما تحتاج سنة أو عشر سنوات أو أكثر من ذلك وفى خلال هذا الوقت وحتى مجيئ هذا اليوم (نهاية العالم) فإن الكنيسة تحتاج إلى الاستقرار، كما أنها تحتاج كذلك إلى تدعيم موقفها، وبنائها ولن يتحقق ذلك إلا من خلال الأموال التى لن يحصلوا عليها إلا من المسيحيين الأغنياء[1]، ومن هنا نلاحظ أن غرض كلمنت من حديثه عن موضوع الثروة كان نشر العقيدة الجديدة وتنظيم صفوف الكنيسة حتى تستطيع أن تقف أمام اضطهاد روما الوثنية، ولم يكن من الممكن تحقيق ذلك إلا بالأموال، وبالإضافة إلى ذلك فإن من شروط هذه العقيدة الجديدة مساعدة المحتاجين من المسنين والفقراء واليتامى.. إلخ وهذا كله يحتاج بالطبع إلى "صندوق" للإنفاق منه.

كانت هذه هى المشكلة التى أثرت بالضرورة على فكره أثناء تقديمه لأحد المفاهيم الأساسية التى تقوم عليها العقيدة المسيحية وهو مفهوم الثروة، وقد تحدث كلمنت فيما يخصّ مفهوم الثروة عن عدد من النقاط المهمة إذ تحدث أولاً عن الثروة، وهل يمكن أن تحول دون دخول صاحبها إلى الحياة الأبدية بمعنى: ما موقف الرجل الغنى؟ هل سيصل إلى الحياة الأبدية (مملكة السماء) أم لا؟ وبعد أن

---

(١) وعن احتياج الكنيسة لأموال الأغنياء. راجع:
Tollinton. R.B., op.cit., Vol. I, pp. 303-305.

يوضح هذه النقطة ينتقل إلى النقطة الثانية وهى التى يوضح فيها أن ثمة فرقاً بين امتلاك الثروة أو المال وبين حب الثروة ذاتها والتمسك بها على حساب اتباع طريق الخلاص وبعد أن يوضح هذا الفرق ينتقل إلى النقطة الثالثة والأخيرة وهى التى يشرح فيها الدعائم التى يقوم عليها مفهوم الثروة، وما المفهوم الحقيقى للثروة فى العقيدة المسيحية، وما الغرض من استخدام هذه الثروة، وموقف المسيحية من الأثرياء.

١ـ موقف الرجل الغنى من الخلاص:

وابدأ الآن فى استعراض النقطة الأولى التى تحدث فيها كلمنت عن موقف الرجل الغنى من الخلاص، إن مسألة العلاقات بين الغنى والفقير، أو بعبارة أخرى مسألة استخدام الأموال فى حياتنا مسألة رئيسة جعلت كلمنت السكندرى يكتب دراسة خاصّة عنها عنوانها: "من الغنى الذى سيُخلَّص"[٢]. وكان بعض معتنقى المسيحية فى الإسكندرية ينظرون إلى الثروة على أنها أمر يتعارض مع خلاص النفس، وكانوا مقتنعين بأنهم لا نصيب لهم فى الميراث السماوى، وهو الحياة الأبدية، وكانت نتيجة يأسهم من الحياة الأبدية أن اتجهوا إلى التهافت على ملذات الحياة الزائلة، وإلى ترك التفكير فى السعادة فى الحياة الأبدية، وكان الأمر الذى كان يحملهم على اليأس بالأخص تفسيرهم الخطأ لكلمات قالها السيد المسيح عن صعوبة خلاص الأغنياء، ولكى يُحيي كلمنت ثقتهم من جديد، رأى أنّ من واجبه توضيح معنى هذه الكلمات، حتى لا يفهم معناها على غير الوجه الصحيح، وقد قام بذلك من خلال مقولتين

(أ) مقولة أن الاستغناء عن الثروة شرط للوصول إلى الخلاص:

والمقولة الأولى يتحدث كلمنت من خلالها عن الثروة والخلاص بشكل مبدئى، فيذكر كلمنت الظروف التى قيلت فيها هذه الكلمات، وقد اعتمد فى هذا على

---

(٢) هذه الدراسة تتناول أمثلة من الشباب الأغنياء، وقد كتبها كعظة (كخطبة) أو محاضرة تعليمية، ويوضح فيها للأغنياء أن الثروة ليست شيئاً سيئاً، لأنه من غير اللائق القول بأن المال شئ ضار. Dowed. F. Matthew, op.cit., p. 2.

ما ورد فى إنجيل مرقص[٣]، من أن شاباً غنياً جداً ذا مكانة مرموقة اقتَرب من (المخلص) السيد المسيح فى أحد الأيام، وسأله عن الخير الذى يجب أن يصنعه لكى يكون له نصيب فى الحياة الأبدية وبعد أن قال له المخلص إن إرادة الله هى أصل الخير، أخذ يوصيه ببعض الوصايا؛ فأعلن الشاب أنه حفظ هذه الوصايا كلها ثم سأل عما يمكن أن يصنعه غير ذلك[٤]. وكانت إجابة المخلص: "إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى"، وعندما سمع الشاب الغنى هذه الكلمات مضى حزيناً إذ كانت له مقتنيات كثيرة[٥]، كما نصح السيد المسيح تلاميذه بترك ثروتهم قائلاً: "كم يصعب دخول المعتمدين على أموالهم إلى ملكوت الله"[٦].

ونلاحظ هنا أن لهذا الحديث احتمالين: إما أنه لابد من الاستغناء عن الثروة كشرط لدخول الحياة الأبدية، وقد اعتمد كلمنت على ما ورد فى إنجيل متى وإنجيل مرقص فى شرح هذا المعنى عندما قالا: "إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى ملكوت الله[٧]". وقد كانت هذه الإجابة عن صعوبة دخول الأغنياء ملكوت السماء، مُحيرة بالنسبة للأغنياء ولذلك تساءلوا: إذن مَنْ يستطيع أن يخلص؟ فكانت الإجابة على هذا التساؤل هى أن "غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله".

وهنا جاء التساؤل من جانب الأغنياء عمّا سيحدث لهم إذا فعلوا ما أمرهم به

---

(٣) Clement, πλουσιος, 5, 938 (عن) العهد الجديد، القديس مرقص، الإصحاح ١٠، الأيات ١٧-٣١؛ راجع كذلك: يوسف حبيب: كلمنت السكندرى، ١٩٧٠، ص ٨.

(٤) يوسف حبيب: المرجع نفسه، ص ٨.

(٥) العهد الجديد، القديس متى، الإصحاح ١٩، الآية ٢١، (عن) .Clement, op.cit., 10. 940

(٦) .Clement, op.cit., 2. 936؛ وعن صعوبة الطريق للخلاص. راجع:

Tollinton. R.B., op.cit.. Vol. I, p. 306

(٧) .Clement, op.cit., 26. 950؛ (عن) العهد الجديد، القديس متى، الإصحاح ١٩، الآية ٢٤؛ ؛ القديس مرقص، الإصحاح ١٠، الآية ٢٥؛ راجع أيضاً:

Tollinton, R.B., op.cit., Vol. I., p. 307.

السيد المسيح، وقد اعتمد كلمنت فى ذكر هذا التساؤل على ما ورد عند القديس مرقص فى إنجيله، سأل بطرس السيد المسيح قائلاً: "ها نحن قد تركنا كل شئ وتبعناك"(٨). فماذا يكون لنا؟

(ب) بين الوصية والاستغناء عن الثروة:

وبعد أن شرح كلمنت الاحتمال أو الوجه الأول لإشارة السيد المسيح عن الثروة انتقل إلى الوجه الثانى لهذا الحديث وهو أن اتباع الوصية كاف للحصول على الحياة الأبدية، لكن الاستغناء عن الثروة يصل بالإنسان إلى الكمال، وقد وردت هذه النقطة فى الإنجيل، ضمن الوصايا التى يجب على كل غنى أن يلتزم بها لكى يدخل فى ملكوت السماء، وقد استعان كلمنت بما ورد فى إنجيل القديس مرقص حيث قال: إنه عندما تقدم شخص إلى المعلم الصالح "المسيح" وسأله: أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية؟ كانت الإجابة عليه هى أن هناك وصايا ينبغى اتباعها للوصول إلى الحياة الأبدية، وكانت هذه الوصايا هى: لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد الزور. أكرم أباك وأمك وأحب قريبك كنفسك، ولكن من يريد الوصول إلى الكمال فعليه نبذ الثروة(٩).

وقد تتبع كلمنت هذه النقطة لأنها كانت مسألة مُحيرة بالنسبة للأثرياء، فهم يريدون أن يدخلوا فى هذه العقيدة ويحصلوا على مزيتها الأساسية وهى الحياة الأبدية، لكنهم ييأسون مما يسمعونه عن صعوبة دخولهم فى مملكة السماء ولذلك يحاول كلمنت أن يفسر هذه النقطة، وما قد يبدو تناقضاً من حيث المبدأ، إذ كيف يتمكن الإنسان، إذا التزم بالوصايا، من الدخول فى الحياة الأبدية، فى حين أنه لكى يحصل على الكمال هناك التزامات أخرى فيما يخصّ الثروة؟ وبدايةً نجد كلمنت يقدم لتفسيره لهذه النقطة من خلال تفسيرات الرسل، ويوضح أننا إذا دققنا فى النظر فى قراءة هذا النص، فلن نرى فيه أية إدانة للثروة أو للملكية فى حد ذاتها،

---

(٨) العهد الجديد، القديس مرقص، الإصحاح ١٠، الآية ٢٨، (عن) Clement, op.cit., 21, 947 "وابتدأ بطرس يقول له ها نحن قد تركنا كل شئ وتبعناك.

(٩) Clement, op.cit., 4. 938.

بل سنجد أنه يحاول أن ينصح هؤلاء الذين يريدون الوصول إلى مملكـة الـسماء، بعدم التعلق بالمال أو مغريات الحياة الدنيا. وهكذا فسّر الرسل تلك النصيحة، فقـد أوضحوا أن المسيح لم يُلزم المؤمنين جميعاً بأن يبيعوا أملاكهم ويتصدقوا بثمنهـا، بل على العكس يذكرون أن المسيح نصح الشاب الغنى قائلاً: "إن أردت أن تـدخل الحياة فاحفظ الوصايا"(١٠). أما الأغنياء الذين يريدون أن يصلوا إلى درجـة أعلـى من الكمال، فيقول الله لهم: إن أردت أن تكون أكثر كمالاً فابـذل تـضحية أعظـم، وكن فقيراً باختيارك، تمسك بالفقر، مثلما ترك أتباعى كل شـئ ليتبعـونى، وقـد أوضح كلمنت فى هذه النقطة الفرق بين الوصية والنصيحة فـى تعـاليم الرسـل؛ فالوصية هى التى قالها المسيح من قبل لتلاميذه حـين أوصـاهم بعـدم ارتكـاب المعاصى، والزهد فى متع الحياة، ولا علاقة لها بالمرّة بالمال، أما النصيحة فهـى التى وردت فى تعاليم الرسل للغنى الذى يريد أن يصل إلى مرحلـة الكمـال، وأن عليه أن يترك أمواله، ويتبع المسيح. والوصية هى القاعدة العامة التى تُطبق علـى الجميع ويجب أن يلتزموا بها، أما النصيحة فهى الاستثناء(١١)، وهى للذين يريـدون مزيداً من السمو والكمال. وبهذا يحل كلمنت الأشكال، والحيرة التـى وقـع فيهـا الأغنياء فيما يخص الحياة الأبدية موضحاً أنهم سيفوزون بتلـك الحيـاة إن كـانوا صالحين مطيعين لله، والإنسان مُلزم فى النهاية بأن يتبع طريق الخلاص لأنـه إذا ابتعد عن هذا الطريق فسوف يحرم نفسه من المزايا والنعم التى يمكن أن ينالها لـو اتبعه.

٢ـ التفرقة بين ((امتلاك الثروة)) و ((حبّ الثروة)):

إذا كان كلمنت قد حاول فيما سبق أن يقضى على الحيرة التى يشعر بهـا الإنسان الغنى فى محاولته الوصول إلى الخلاص، فإنّه يحاول الآن، أن يلقى مزيداً

---

(١٠) Clement, op.cit., 4. 938؛ (عن) العهد الجديد، القديس متى، الإصحاح ١٩، الآية ١٧ "فقال له لماذا تدعونى صالحاً. ليس أحد صالحاً إلا واحد هو الله. ولكن إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا".

(١١) يوسف حبيب: المرجع نفسه، ص ١٤.

من الضوء على مسألة الثروة مفرقاً بين "امتلاك الثروة" و "حبّ الثروة". وقبل أن أخوض فى التفسير الذى يقدمه كلمنت لهذا الأمر أن أشير إلى ما جاء فى العهد الجديد بخصوصها؛ فلصعوبة الاختيار بين طريق الخلاص وطريق الدنيا نجد السيد المسيح يساعد هؤلاء الذين تتتابهم الحيرة عند الذين الاختيار؛ فهو يُبين لهم خطر الأموال، ويقول إنه من الصعب على أولئك الذين يطلق عليهم عبيد المال أن يصلوا إلى الخلاص، وهؤلاء هم الذين ينطبق عليهم المثل القائل: "مرور جمل من ثقب إبرة[١٢] أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله"[١٣]، وليس المقصود هنا الذين "يمتلكون" الثروة، بل الأغنياء الذين "يحبون" الثروة ذاتها ويرفضون أن يسلكوا طريق الخلاص، لأن للمال وتعلقهم به هو الذى سوف يقودهم فى النهاية إلى الدمار. وقد استخدم الرسل هذا المثل أيضاً للتعبير عن صعوبة حصول الأغنياء على الخلاص، لكنهم تعجبوا من المثل فى الوقت نفسه، لكن السيد المسيح رد عليهم وطمأنهم[١٤] حيث أضاف قائلاً: "هذا عند الناس غير مستطاع ولكن عند الله كل شئ مستطاع"[١٥]. بمعنى أن الله يمكن أن يساعد الأغنياء فى نيل الحياة الأبدية (مملكة السماء)، على الرغم من اعتقاد الناس جميعاً أن هؤلاء الأغنياء لا يمكنهم نيل الحياة الأبدية، فليس على الله مستحيل، ولذلك على هؤلاء الأغنياء أن يحاولوا جهدهم الفوز بالحياة الأبدية، وأن يتركوا الحكم فى النهاية لله الذى بيده كل شئ حتى المستحيل.

أى أن اتباع الأغنياء لتعاليم الإيمان والتزامهم به يزيل – فى رأى كلمنت – العوائق التى تقف أمامهم وتحول دون فوزهم بالخلاص، لأن هذه التعاليم تنقى الإنسان من حب المال والتعلق به، ومن ثم تمكنّه من أن يستفيد من تلك الأموال،

---

(١٢) العهد الجديد، القديس متى، الإصحاح ١٩، الآية ٢٤. (عن) Clement, op.cit., 26. 950.

(١٣) العهد الجديد، القديس لوقا، الإصحاح ١٨، الآية ٢٥. (عن) Ibid., 26. 950.

(١٤) يوسف حبيب: المرجع نفسه، ص ٩، العهد الجديد، القديس متى، الإصحاح ١٩، الآية ٢٥. "فلما سمع تلاميذه بهتوا جداً قائلين. إذاً من يستطيع أن يخلص".

(١٥) يوسف حبيب: المرجع نفسه، ص ٩؛ العهد الجديد، القديس متى، الإصحاح ١٩، الآية ٢٦.

الإمكانات فى مضاعفة أعماله الحسنة (حسناته) والتخفيف من آلام إخوته. ويعتمد كلمنت على ما ورد فى إنجيل متى عن هذا حيث يقول: "إذا كنت وأنت غنى تنظر إلى الذهب والفضة والبيوت التى تمتلكها على أنها هبات من الله، وتعيدها إلى الله الذى وهبها لك فى شخص إخوتك، معترفاً بهذا أنك تمتلكها من أجل الآخرين، وإذا كنت ترتفع فوق هذه النعم وتسودها بدلاً من أن تكون عبداً لها(١٦).

ويُطمئن هؤلاء الذين لا يهتمون بأموالهم ولا يخافون عليها قائلاً:

"إذا كنت فى قرارة نفسك تعرف كيف لا تجعل لكنوزك سلطاناً عليك؛ إذا كنت تستعملها بحكمة واعتدال؛ إذا كان هدفك هو الله وحده، حتى تكون له وتتحدث إليه، فأنت فقير بكل معنى الوصية، أنت حر، لا تقهر، ولن تسبب لك الأموال مرضاً أو حرجاً"(١٧).

وإذا اتبع هؤلاء الأغنياء هذه النصيحة، فسوف يكون من اليسير السير فى طريق الخلاص.

٣- الدعائم التى ينبغى أن يقوم عليها مفهوم الثروة:

بعد أن أوضح كلمنت تفسيرات الرسل لهذه النقطة، وأوضح أن هناك فرقاً بين من امتلاك الثروة وحب الثروة وتعلق القلب بها على حساب سلوك طريق الخلاص، نجده بعد ذلك يتحدث عن الدعائم التى ينبغى أن يقوم عليها مفهوم الثروة فى نظر المسيحية.

(أ) واجب المسيحيين إزاء أصحاب الثروة:

وأولى هذه الدعامات تتصل بواجب المسيحيين إزاء الأغنياء أو أصحاب الثروة وهو يتكون من قسمين:

القسم الأول هو عدم **تملق الأغنياء**؛ ويتكلم فيه كلمنت عن العواقب السيئة

---

(١٦) Clement, op.cit., 16. 944.

(١٧) Ibid., 16. 944

المترتبة على مدح الأغنياء، الذى يعده مزيجاً من الكفر والفقر، وهو يقول بكفر متملقى الأغنياء لأنهم يمتدحون صاحب النعمة ويجحدون المنعم الإله الواحد، الكامل، البَرّ، الذى منه الأشياء كلها وإليه تعود، ويعتمد كلمنت هنا على ما جاء فى رسالة القديس بولس إلى أهل رومية عندما قال: "لأن منه وبه وله كل الأشياء. له المجد إلى الأبد. آمين"(١٨). ونحن نستطيع فى الواقع أن نقدّم إلى جانب هذا التفسير الدينى، تفسيراً آخر يدّعمه من واقع المجتمع الرومانى؛ إذ نجد أنّ البيوت الثريّة المتبقية من العهد الجمهورى بقيت على ثروتها فى العصر الإمبراطورى ثم بدأت فى التراجع والاختفاء وبدأت الثروة تنتقل إلى أيدٍ أخرى وبيوت أخرى-(١٩)، وهو أمر نستطيع أن نفهمه فى ضوء الاضطرابات العسكرية، ومن ثم الاضطرابات الاجتماعية التى تعرّض لها المجتمع الرومانى بعد فترة الاستقرار التى سادت روما خلال السلام الأوغسطى.

والدليل الثانى الذى يقدمه كلمنت على كفر من يمتدحون الأغنياء أنهم — أى المادحين — ماكرون، لأنهم يبعدون هؤلاء الأغنياء عن معرفة الإله الحقيقى ويضلونهم، كما يُبعدونهم عن طريق الخلاص؛ الذى رأينا فى مناسبة سابقة أنه يعنى تحقيق الذات عن طريق التوصل إلى التواؤم مع النفس ومع المجتمع، فهم يوصلونهم إلى درجة من الغرور تجعلهم يحيدون عن طريق الله وطريق الخلاص (الذى يؤدى إلى التكافل الاجتماعى)، ويجعلونهم يتعلقون بالثروة فينطبق عليهم المثل القائل "أنهم يزيدون النار تأججاً" — وهى إشارة واضحة إلى إشاعة الاضطراب الاجتماعى وتباعد طوائف المجتمع وطبقاته بعضها عن بعض. وفى هذه النقطة نلمس تأثر كلمنت بأفكار أفلاطون فى "محاورة القوانين"(٢٠). ولذلك ينصح كلمنت هؤلاء بأن يقللوا من أهمية الثروة ويعدونها مرضاً مميتاً، وكأن

---

(١٨) العهد الجديد، رسالة بولس إلى أهل رومية، الإصحاح ١١، الآية ٣٦؛ (عن)
Clement, op.cit., 1. 935.

(١٩) Cary and Scullard, op.cit., p. 478.

(٢٠) وقد ورد هذا المثل عند أفلاطون حيث قال إن "النار لا يجب أن تُسكب فوق النار".
Butterworth, op.cit., p. 271, note (b). c.f. Plato, Laws, 666 A.

الإنسان الذى يُمجدّ نفسه ويعظمها يظل مبتلى بهذا المرض حتى يتخلى عن ثروته؛ وهنا يعتمد كلمنت على ما جاء فى إنجيل متى حين قال: "فمن يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع"(٢١). وهذه دعوة للتواضع الذى ترغب فيه المسيحية هؤلاء الأثرياء، وهى دعوة صريحة إلى التقارب الاجتماعى الذى يؤدى إلى إشاعة الوفاق بين طبقات المجتمع المتفاوتة فى دخلها.

وينتقل كلمنت بعد ذلك إلى القسم الثانى مما يجب على المسيحيين إزاء أصحاب الثروة؛ وهو توجيه الأغنياء إلى الطريق السليم، فيقول فى هذا الصدد إن أول ما ينبغى أن يقوم به المسيحيون وتقوم به المسيحية هو أن تساعدهم فى الفوز بالخلاص، ويقول إننا يجب أن نساعد الأغنياء بأن نشاركهم فى تحمل أعباء حياتهم، والعمل على توجيههم إلى طريق الخلاص بكل وسيلة ممكنة أى أن موقف المسيحيين إزاء هؤلاء الأغنياء يتلخص فى التفّهم والرغبة الصادقة فى مساندتهم للوصول إلى الطريق الصحيح ومساعدتهم على الاقتناع بأن طريق الخلاص غير مستحيل، وأن يدعوا الله من أجلهم، فهو الذى سوف يغفر خطاياهم ويقبلهم عنده(٢٢).

كما أن مما تقدمه المسيحية من أجل مساعدة الأغنياء أنها تدلهم على أن الخلاص ليس مستحيلاً، وهنا يحث كلمنت الأغنياء على "فهم" مضمون المسيحية كوسيلة للخلاص وقد اعتمد فى ذلك على ما ورد فى رسالة الرسول بولس الأولى إلى أهل كورنثوس حين قال: "وأما للمدعوين يهوداً ويونانيين فبالمسيح قوة الله وحكمة الله"(٢٣). ويوضح كلمنت أن المسيحية تساعد الأغنياء، بأن تحثهم على "التمسك بالتعاليم" التى تدعو إليها هذه العقيدة، فحينئذ سيأتى المخلص ويعلمهم كيف يصلون إلى الخلاص"(٢٤).

---

(٢١) العهد الجديد، القديس متى، الإصحاح ٢٣، الآية ١٢؛ (عن) Clement, op.cit., 1. 936.

(٢٢) Ibid, 1. 936.

(٢٣) العهد الجديد، رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس، الإصحاح ١، الآية ٢٤.

(عن) Ibid., 3. 936.

(٢٤) Ibid, 3. 937.

وأرى أنّ المقصود بالتعليمات فى هذا الصدد ما سبق ذكره فى مواضع مختلفة من هذا البحث، من الحث على المحبّة كعلاقة دائمة بين المسيحيين، وهى المحبة التى يمكن تفسيرها بالتكافل الاجتماعى الذى يعنى مساعدة الأغنياء للمحتاجين.

(ب) واجب أصحاب الثروة:

وبعد أن أوضح كلمنت المساعدات التى تقدّمها المسيحية من أجل وصول الأغنياء إلى الخلاص، ينتقل بعد ذلك للإشارة إلى الخطوات التى ينبغى على الأثرياء أن يخطوها حتى يستطيعوا أن يصلوا إلى الخلاص. وأولى هذه الخطوات هى:

- التمسك الواعى بالمسيحية أو التضامن مع المسيحيين:

فعلى الأغنياء عدم التباعد عن طريق المسيحية بمعنى عدم اتخاذ موقف سلبى إزاء المسيحية، لأنه لابد لهم من أن يتبعوا من سوف يوصلّهم إلى الخلاص، وأول ما تجب عليهم معرفته هو الله، فهو الإله الخالد، هو الذى يمنح الهبات الدائمة، والحياة لعباده، هو الأول، والأوحد، وهو الرب البّر، وقد اعتمد كلمنت فى هذا الصدد على ما ورد فى إنجيل يوحنا عندما قال: "وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته"[٢٥].

وواضح من حديث كلمنت فى هذه النقطة أنه يدعو الأثرياء إلى التمسك بالمسيحية ومن ثم التماسك مع المسيحيين؛ ويتّضح هذا من حديثه عن الإيمان بالله الأوحد. والإشارة صريحة هنا إلى المسيحيين الذين لا يؤمنون بعبادة الإمبراطور، وهذا يُعدّ تمهيداً لدعوته بأن تخدم ثروة المسيحيين الأغنياء إخوانهم من المسيحيين الفقراء.

ثم يدعم كلمنت هذا الوضع الذى يؤدى إلى التماسك عن طريق دعوته إلى الإيمان، والفهم العميق للمسيحية عن طريق المعرفة، وهى من عند الله، والشخص المؤمن يكون من المقربين المحبين له المقتبسين من علمه، ويبدو أن كلمنت تأثر هنا

(٢٥) العهد الجديد، القديس يوحنا، الإصحاح ١٧، الآية ٣؛ (عن) .Clement, op.cit., 7. 939

بأفكار أفلاطون الذى وردت عنده فكرة (أن نصبح أشباه للإله) وذلك فـــى محاورتـــه لثياتيتوس[٢٦]، حين ذكر أن "الفلسفة هى التشّبه بالآلهة بقدر الطاقة الإنسانية"، أى أن معرفة الرب حق المعرفة تعد فى رأى كلمنت من أهم الأشياء التى يمكن للإنسان من خلالها أن يصل إلى الخلاص الذى يُنشده، وليس هذا وحسب بل إن معرفة الإنسان لله الخالق تفيده أيضاً فى أن يصبح شبيهاً بالله من كثرة معرفته به وقربه منه، وهذا وحده هو الحياة، بينما من يجهل الله فهو ميت أو كالميت.

ونلاحظ هنا أن كلام كلمنت هنا يدور حول فكرة العطاء وأن الدعوة إلـــى التشبّه بالله هى فى حقيقتها دعوة لتشبه الأثرياء فى العطاء؛ تمهيداً لـــدعوة الثـــرى إلى أن يساعد المحتاجين وفى هذا الصدد يتحدث كلمنت أيضاً عن فكرة التفضل أو العطاء حتى من غير سؤال تشبهاً بالإله وهو يدعو إلى أن يكون ذلك عـــن طريـــق التعّرف على المخَلص وهو ما يعد استكمالاً للفكرة الماضية وهـــى الحـــديث عـــن فضل الله أى العطاء الذى يتفضّل به أى "الذى يقدّمه حتى دون أن يسأله أحد"[٢٧].

"την καινοτητα της χαριτος μαθειν"

وعلى هذا فإنه من الواجب علينا أن نعرف الابن، لأنه الوحيد الـــذى يعـــرف كل شئ عن الله ويعلن لنا عنه، وقد اعتمد كلمنت فى هذا على ما ورد فى إنجيـــل متى حيث يقول: "كل شئ قد دُفع إلىّ من أبى. وليس أحد يعرف الابـــن إلا الأب، ولا أحد يعرف الأب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له"[٢٨].

ولهذا لابد من أن نُدرك فضل هذا المخلص، بعد فضل الرب أو كما قال أحـــد الرسل: "كما إن موسى قد منح لنا القانون، فإن المسيح (الابن) قد منحنـــا الفـــضل والحقيقة"[٢٩]. ومن هنا يمكن أن نفهم المقارنة بين ما أتى به موسى وما أتـــى بـــه

---

(٢٦) Butterworth, op.cit., p. 285, Note (d). c.f. Plato, Theaetetus. 176. B
راجع كذلك: أميرة حلمى مطر: محاورات ونصوص لأفلاطون (فايدروس– ثياتيتوس)، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٦، ص ١٦٣.

(٢٧) Clement, op.cit., 8. 939.

(٢٨) العهد الجديد، القديس متى، الإصحاح ١١، الآية ٢٧، (عن) Ibid., 8. 939.

(٢٩) العهد الجديد، القديس يوحنا، الإصحاح ١، الآية ١٧، (عن) Ibid., 8. 939.

المسيح، وهو الفارق بين العطاء والتفضل، فما فعله موسى يعد عطاء أما ما فعله المسيح فيعد تفضّلاً؛ والفضل يعنى الزيادة فى العطاء دون أن يسأله أحد بحيث يصل من جانب السيد المسيح إلى حدّ التضحية بنفسه من أجل خلاص البشر وفى هذا إشارة إلى أن التفضل، أو العطاء بدون سؤال — لا يتوقف عند حدّ. إذن لابد على كل مسيحى وليس فقط الغنى أن يعرف من هو المخلص، الذى عانى من أجل تلاميذه[٣٠] وضحى بحياته على الصليب من أجلهم.

ويشير كلمنت كذلك أنه إذا كان موسى قد جاء بالقانون فإن المسيح فعل ما هو أكبر من ذلك، فهو الذى أكمل القانون[٣١]، من بعده، ونشر تعاليم الله الأخرى أيضاً. وعلى الرغم من ذلك إلا أنه لم يُدن موسى على عدم إكماله للقانون، بل أكمل الأعمال الناقصة حتى أصبح القانون كاملاً، وقدمه بعد ذلك إلى من يريد الإيمان الحقيقى، وقد اعتمد كلمنت فى ذلك على ما ورد عند القديس بولس فى رسالته إلى أهل رومية حين قال: "لأن غاية الناموس هى المسيح للبر لكل من يؤمن"[٣٢]. أى أن كلمنت يصل فى النهاية إلى أن من يعرف الله (الأب) والمسيح (الابن) حق المعرفة يستطيع أن يصل إلى الهدف المنشود وهو الخلاص.

وبذلك ينتهى كلمنت من حديثه عن الدعائم التى يقوم عليها مفهوم الثروة فى المسيحية سواء فيما يتعلق بما ينبغى أن يكون عليه موقف المسيحيين عموماً إزاء الأغنياء أو بواجب الأغنياء أنفسهم فى هذا الصدد.

"لأن الناموس بموسى أعطى. أما النعمة والحق فيسوع المسيح صارا" .
(٣٠) العهد الجديد، رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية، الإصحاح ٢، الآية ٢١. (عن)
Clement, op.cit., 8. 939.
"لست أبطل نعمة الله. لأنه إن كان بالناموس بر فالمسيح إذاً مات بلا سبب".
(٣١) Clement, 9. 940.
(٣٢) العهد الجديد، رسالة بولس إلى أهل رومية، الإصحاح ١٠، الآية ٤.(عن) Ibid., , 9. 940.

٤ـ ليس الفقر مرتبطاً بالفضيلة ولا الثروة بالرذيلة:

وينتقل كلمنت بعد ذلك إلى جانب آخر من جوانب قضية الثروة فى العقيدة المسيحية؛ فيعالج القضية أو المشكلة الآن على المستوى المنطقى، وهو يذكر هنا أن الفقر ليس مرتبطاً بالضرورة بالفضيلة ارتباط النتيجة بالسبب، بمعنى أنّه لا يؤدى إليها تلقائياً، فقد يكون الفقير غارقاً فى الأهواء كما أن الثروة ليست مرتبطة بالضرورة بالرذيلة، فقد يكون الغنى غنياً من ناحية الممتلكات[٣٣] والثروة المادية، لكنه "فقير" فى الأهواء ومتمسك بأهداب التعقل وضبط النفس، وذلك مثل الشخص الضعيف الذى لا يملك نفسه عند الغضب والشخص القوى الذى إذا ضربه أحد على خده الأيمن أدار له، عن سماحة، خدّه الأيسر[٣٤] على الرغم من أنه قوى ومن ثم يستطيع الثأر لنفسه. كما يشير كلمنت كذلك إلى أن الخلاص لا يتوقف على الأشياء الظاهرية فقط؛ وإنما يتوقف على نقاء الروح، وحب الحق، والإخلاص فى العبادة، والطاعة لله، هذه هى الأشياء المطلوبة للخلاص. ولذلك لا يجب أن نلقى اللوم كله على المال، بل ينبغى أن نلوم سوء استعماله، فمن الممكن أن يكون الغنى أفضل من الفقير عند الله، لأنه يقدر بماله على ما لا يقدر عليه الفقير من الرذائل، كما أن ما له لا يمنعه من محاولة الفوز بالخلاص شأنه شأن الفقير لأن الأمر لا علاقة له بالمال فى ذاته والغنى الذى لم تمنعه أو تشغله أمواله عن عمل الخير واتباع تعاليم الله والمسيح يعيش بذلك فقيراً فى أهوائه وشهواته على الرغم من أمواله، وبذلك يمكنه أن يفوز بالخلاص. لأنه يعرف كيف يحجم عن الشر على الرغم أنه يمتلك كل ما ييسر له اقترافه، وهكذا يصبح المعنى الحقيقى الذى ينبغى أن يُفهم من وصف الفقر والغنى هو المعنى الروحى لا المعنى المادى الحرفى للكلمات، والخلاص ــ بهذا المعنى ــ لا يتصل أساساً بالممتلكات

---

(٣٣) .Clement, op.cit., 950. 951; 18. 945؛ راجع كذلك: يوسف حبيب، المرجع السابق، ص١٩.

(٣٤) العهد الجديد، القديس متى، الإصحاح ٥، الآية ٣٩؛ وإنجيل لوقا، الإصحاح ٦، الآية ٢٩.(عن) Clement, op.cit., 18. 945.

المادية سواء أكانت قليلة أم كثيرة، بل يرتبط بتخلص الروح من الأهواء وهذا التخلّص هو الذى يجعلها تتجّه إلى الفضيلة والإيمان والأمل والحب والأخوة، والمعرفة، والتسامح والتواضع والحقيقة التى يصبح الخلاص جائزتها(٣٥).

ويستكمل كلمنت هذه الفكرة بمعنى آخر يُعدّ استمراراً لها بشكل من الأشكال؛ وهو أن القضية الحقيقية ليست الغنى بالمال، وإنّما يجب أن يقترن الغنى أو الفقر بالغنى بحبّ الله وحب الجار وهما من الأشياء التى أمر بها السيد المسيح من يرغب فى الفوز بالخلاص، وعن حب الله يقول كلمنت: "إنك سوف تحب السيد إلهك بكل روحك وقوتك"(٣٦).

"αγαπησεις κυριον τον θεον σου εξ ολης της ψυχης σο υ και εξ ολης της δυναμεως σου".

وقد اعتمد كلمنت فى ذكره لهذه الوصية على ما ورد فى إنجيل مرقص حيث يقول: "وتحب الربّ إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هى الوصية الأولى"(٣٧).

ونلاحظ هنا أن هناك مغزى من هذه الوصية التى يُسديها السيد المسيح لأتباعه ويدعوهم فيها إلى حبّ الله وحبّ الجار، هذا المغزى هو الامتثال لتعاليم الله التى تقود إلى الخلاص، والتى نستطيع أن نقول — من المنظور التاريخى — إنها تؤدى بذلك إلى توحّد المجتمع حول مجموعة من القيم البنّاءة من حيث إنها تدعو إلى التماسك بين المسيحيين ومن ثم إلى رعاية الأغنياء للفقراء.

أما الوصية الثانية التى أمر بها السيد المسيح تلاميذه وهى حبّ الجار(٣٨) فقد

---

(٣٥) Clement, op.cit., 18. 945.

(٣٦) Ibid., 27. 951.

(٣٧) العهد الجديد، القديس مرقص، الإصحاح ١٢، الآية ٣٠

(عن) Ibid., 27. 951.

(٣٨) وعن ضرورة أن يكون الإنسان غنياً بحب الله وحب الجار لكى يصل إلى طريق الخلاص.
راجع: Tollinton. R.B., op.cit., Vol. I, p. 317.

اعتمد كلمنت فى ذكرها على ما ورد عند القديس لوقا فى إنجيله حيث قال: "تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك وقريبك مثل نفسك"[٣٩]. وكذلك ما ورد فى إنجيل القديس مرقص الذى قال: "أن تحب قريبك كنفسك..."[٤٠] والمغزى الذى تقصده المسيحية من هذا هو تقوية أو تدعيم هذه الوحدة وما يرتبط بها من إشاعة التماسك فى المجتمع، لا على المستوى العام وحسب بل على المستوى الفردى بين كلّ شخص وجاره كذلك.

٥- كيف نسخّر المال لخدمة المجتمع والأفراد:

(أ) الثروة قيمة محايدة وإيجابيتها تكمن فى مساعدة المجتمع:

ويتحدث كلمنت عن نقطة أخرى تتصل بحسن استخدام الثروة فى سبيل مصلحة المجتمع فيذكر أنه ما دامت الثروة فى حدّ ذاتها ليست خيراً ولا شرّاً، لكنها تصبح خيراً أو شرّاً حسب طريقة من يملكها فى استخدامها، والغرض من الاستخدام هو موضوع الحديث هنا؛ وفى هذا الصدد يحاول كلمنت أن يعالج مشكلة الثروة من جانب آخر، فليس حل المشكلة أن يتخلى الغنى عن أمواله، لكن الحل الوحيد هو أن يعرف كيف يُسخِر هذا المال لخدمة الآخرين؛ يقول كلمنت: "يجب ألا نرفض الأموال، التى يمكن أن تكون نافعة؛ فهى تُدعى ممتلكات لأنها يجب أن تكون مملوكة، وتُدعى ميزات لأنها نافعة للإنسان الذى يتفضل الله عليه بها. إن الأموال فى أيدى من يعرف كيف يستخدمها تعدّ خيراً، فإذا صنع أحد بها معروفاً بها كان هذا خيراً، وإذا لم يصنع بها شيئاً نافعاً، فإن الخطأ يعود إليه لا إلى الأموال، إذ الطبعى أن يتحكم الإنسان فى الأموال لا أن تتحكم هى فى الإنسان، ولهذا لا تستحق لوماً أو مديحاً. والشئ المهم هو الروح البشرية التى لها وحدها بموجب حريتها السلطان على تلك الأموال واستعمالها بحكمة أو إساءة استعمالها[٤١].

---

(٣٩) العهد الجديد، القديس لوقا، الإصحاح ١٠، الآية ٢٧، (عن) Clement, op.cit., 28. 951.

(٤٠) العهد الجديد، القديس مرقص، الإصحاح ١٢، الآية ٣١، (عن) Ibid., 28. 951.

(٤١) Clement, op.cit., 17. 944.؛ راجع أيضاً: Tollinton, R.B., op.cit., Vol. I, p. 319

من هذا نستنتج أن النصيحة التى يقدمها كلمنت للأغنياء هـــى أن علـــيهم ألا يتخلصوا من أموالهم، لكن أن يتخلصوا من أهوائهم التى تمنع استخدام تلك الأموال فى الخير، وتجدر الإشارة هنا ثانية إلى ما قاله السيد المسيح للشاب الغنى "تخلّـص من أموالك حتى تصل إلى الخلاص"، والذى يطلبه السيد المـسيح مـن الأغنيـاء تخلّص ولا يمكن أن نصفه بغير ذلك لكنه جاء بطريقة إيجابية تتفق مـع التعـاليم المسيحية، ويذكر كلمنت كذلك نصائح الرسل للأغنياء فيما يتعلق بكيفية التعامل مع أموالهم ومن هذه النصائح التى يذكرها كلمنت ما ورد فى إنجيل لوقا حيث يقـول: "اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم، حتى إذا فنيتم يقبلونكم فى المظـال الأبديـة"(٤٢). وهناك نصيحة أخرى ذكرها كلمنت وردت فى إنجيل متى، وهى: "لا تكتنزوا لكـم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ، وحيث ينقُب السارقون ويـسرقون بل اكنزوا لكم كنوزاً فى السماء حيث لا يُفسد سوس ولا صدأ، وحيـث لا ينقـب سارقون ولا يسرقون"(٤٣). والكلام فيه تورية بالطبع لكن المعنى واضـح؛ فالمـال على الأرض معّرض للضياع إذا أسيئ استخدامه أى استخدم فى الأهواء الشخصية (السوس والسرقة) لكنه إذا استخدم فى وجهه الـصحيح (مـساعدة المحتـاجين أو المجتمع) يكون ذا مردود إيجابى ولا يضيع. إذن فالنصيحة هنا تـتلخص فـى أن ينفق الأغنياء أموالهم فى أوجه الخير بإطعام الجـائع وسـقى العطـشان، وكـسوة العريان، وقِرى الضيف"(٤٤) وهذه هى الوصايا التى يجب أن ينفذها كل من يمتلـك أموالاً.

وهناك شئ آخر يدعم به كلمنت فكرته بأنّ الثروة فى ذاتها ليست شيئاً سـيئاً، وذلك حين يذكر أنه لا يستطيع أحد أن يعطى إن كان هو نفسه لا يملك شيئاً، فلـو

; Deiber, A., *Clement D'Alexnadrie et son oeuvre, Tome Dixéme*, Le Caire Imprimerie De l'institut Francais De Archeologie Orientale, p. 10.

(٤٢) العهد الجديد، القديس لوقا، الإصحاح ١٦، الآية ٩ (عن) Clement, op.cit., 13. 942.

(٤٣) العهد الجديد، القديس متى، الإصحاح ٦، الآيات ١٩-٢٠، (عن) Clement, op.cit., 13. 942.

(٤٤) العهد الجديد، القديس متى، الإصحاح ٢٥، الآيات ٤١-٤٣، (عن) Ibid., 13. 942.

كان كل شئ مشاعاً بين الناس، لما كان هناك أى فضل فى البذل وعمل الخير[٤٥].

وهكذا نستطيع أن نقول إن كلمنت يشير إلى أن المسيح لا يدين الغنى فى حد ذاته، بل يرى فيه وسيلة لنوال الثواب السماوى. كما نستطيع أن نعمّم هذا المعنى دون الابتعاد عن هدف كلمنت؛ بأن نقول إن الهدف الذى يريد كلمنت أن يصل إليه هو أن البشر كلهم يحتاج بعضهم إلى بعض لأنهم لا يملكون القدرات نفسها ولا الإمكانات عينها، وإنما يختلفون من جماعة لأخرى ومن فرد لآخر، ولذلك لا يستطيع الأغنياء الاستغناء عن الفقراء، والعكس، وكل واحد فى المجتمع يعطى مما لديه من قدرات، هذا يعطى من عقله، وهذا يعطى من عمل يديه، والجميع يعطون من وجدانهم وحياتهم، وهذا هو أساس عظمة المجتمعات البشرية وقوتها، ونلاحظ هنا أن كلمنت يربط ذلك بترابط المجتمع عن طريق العطاء المتبادل، فكلما زاد العطاء المتبادل بين أبناء المجتمع زاد ترابط هذا المجتمع، وهو ما تهدف إليه المسيحية.

هكذا أوضح كلمنت أن الاحتفاظ بالروح حرة خالية من كل تعلق بالثروة، وإعطاء الزائد للفقراء، من واجبات الأغنياء حسب تعاليم الإنجيل، ونلاحظ هنا أن كلمنت قد أوضح بذلك الطريقة التى يجب أن يتبعها الأغنياء فى إنفاق أموالهم، حتى يستطيعوا أن ينتفعوا بها، وينفعوا الفقراء من إخوتهم المسيحيين كذلك، وبذلك يستطيعون أن يحصلوا على الخلاص، ويصلوا إلى الرب، وقد دعّم كلمنت حديثه بما ورد عند القديسين السابقين من أمثال متى ومرقص وغيرهم.

كذلك يتضح من خلال ما ورد عند كلمنت أنه يُؤثر فكرة تكافل المجتمع الذى يؤدى إلى تماسكه الذى سبقت الإشارة إليه، ومن النصائح التى وجهها كلمنت إلى الغنى: ألا تنتظر إلى أن يسألك محتاج وإنما ابحث بنفسك عمّن تريد أن تنفعه من أولئك الذين يصلحون أن يكونوا أتباعاً للمخلّص (بمعنى الذين يتبعون تعاليم السيد المسيح بصدق)، كما اعتمد كلمنت على ما جاء فى رسالة القديس بولس الثانية إلى

---

(٤٥) Ibid., 27. 951.

أهل كورنثوس حينما قال: "أن تعطى وأنت بشوش الوجه (بمعنى الاقتناع الكامل بالعطاء)، فالله يحب المعطى البشوش"(٤٦). كما يذكر كلمنت هؤلاء الأغنياء بضرورة أن يعطوا بسخاء حتى يكون الجزاء (فى الحياة الأبدية) عظيماً(٤٧).

ويضرب كلمنت أمثلة لهؤلاء الذين يُقدم لهم العطاء؛ فالعطاء يجب أن يقدم لا للأصدقاء وحدهم بل لأصدقاء الأصدقاء كذلك، لأنه لا يجوز أن يحدد الغنى مَنْ يستحق العون ومَنْ الذى لا يستحق؛ إذ ربما يرتكب بذلك خطأ كبيراً لذلك فمن الأفضل أن يعطى الجميع حتى لا يظلم أحداً(٤٨). يجب أن يكون العطاء للمريض، والضعيف والفقير وغيرهم من المحتاجين، ويصل كلمنت فى النهاية إلى أنه لا يجب أن يتخلص الإنسان من الثروة بل يجب أن يرحب بها لأن الله يمنح الثروة لكى ينتفع بها البشر – نحن وجيراننا. والعيب ليس فى الثروة ذاتها ولكن فى طريقة استخدامها، فإذا استخدمتها الاستخدام الصحيح كانت النتيجة خيراً، وإذا استخدمتها بشكل سئ أدت بك إلى الشر، وهو يشبهها هنا بالآلة الموسيقية التى تقدم لحناً جيداً إذا استخدمها العازف بمهارة، بينما تقدم نشازاً سيئاً إذا لم يملك المهارة اللازمة(٤٩).

ثم يتحدث كلمنت عن الأشياء الأخرى التى تقرب الإنسان من الله وهى الأعمال التى تدعو إلى الحبّ فمثلاً:

(ب) مساعدة المحتاجين تؤدى إلى الحبّ ومن ثم إلى الترابط:

واستكمالاً للحديث عن مساعدة المحتاجين التى تؤدى إلى إشاعة المحبّة ومن ثم إشاعة الترابط فى المجتمع، يقول كلمنت إنه مثلما ينفق الغنى الأموال فى أوجه

---

(٤٦) العهد الجديد، رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس، الإصحاح ٩، الآية ٧، (عن) Clement, op.cit., 31. 953.

كل واحد كما ينوى بقلبه ليس عن حزن أو اضطرار لأن المعطى المسرور يحبه الله"

(٤٧) Clement, op.cit., 31. 953.

(٤٨) Ibid., 33. 954.

(٤٩) Clement, op.cit., 14. 943.

الخير، يجب عليه كذلك أن يقوم بالأعمال التى تدعو إلى الحب ومن ثم إلى الترابط، فهذه الأعمال كذلك تقرب من الله وهنا يقول كلمنت إن الإنسان لابد ألاّ يدخر وسعاً فى الوصول إلى ملكوت السماء(٥٠).

وقد ضرب كلمنت أمثلة مما يمكن أن يقوم به من يريد الوصول إلى الخلاص فيقول: "اجمع حولك بخلاف بقية الناس، جيشاً دون أسلحة، لا مهارة له فى الحرب، غير قادر على سفك الدماء، جيشاً لا تدنسه الرذائل من الشيوخ الأتقياء، واليتامى المحبين لله، والأرامل الوادعات، والرجال المُحبين، اجعل لنفسك بأموالك حُراساً ساهرين حول جسدك وروحك؛ فبدعواتهم يبتعد الشيطان عنك، وحين تجد أحدهم يدعو الله من أجلك، وآخر يواسيك فى أحزانك، وآخر يُعلمك ما يلزم للخلاص؛ فكل مَنْ حولك يكون صديقاً حقيقياً لك"(٥١). وهكذا لا تكون مساعدة المحتاجين نفعاً أو خيراً من جانب واحد، وإنما يكون النفع أو الخير من الطرفين وللطرفين. وهكذا يساعد الأثرياء أنفسهم بعملهم الخيّر وليس الفقراء وحسب.

وقد استشهد كلمنت على قيمة الحبّ ــ تأكيداً لربطه بالعقيدة الجديدة ــ بعدد من آيات العهد الجديد ــ منها على سبيل المثال ما ورد فى إنجيل يوحنا فى قول السيد المسيح: "وصية جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضاً. كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً"(٥٢). كما نجده يؤكّد مرة أخرى، على قيمة الحبّ ويربطه بالبذل والعطاء من جانب الذين يستطيعون ذلك، معتمداً فى هذا على ما ورد فى إنجيل يوحنا الذى أكد كذلك على هذا المعنى قائلاً: "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية"(٥٣).

---

(٥٠) Ibid., 32. 953.

(٥١) Ibid., 35. 933.

(٥٢) العهد الجديد، القديس يوحنا، الإصحاح ١٣، الآية ٣٤. (عن) Ibid., 37. 956.

(٥٣) العهد الجديد، القديس يوحنا، الإصحاح ٣، الآية ١٦ (عن) Ibid., 37. 956.

وأشير هنا إلى ما سبق أن ذكرته فى بداية الحديث عن الثروة وهو أن اتباع تعاليم المسيحية ومن ثم الالتزام بالوصايا، إذا كان سيصل بالمسيحى إلى الخلاص، (ومن ثم الدخول إلى الأبدية)، فإنّ هناك التزامات تخصّ حسن استخدام الثروة تصل بالمسيحى إلى الكمال، وهو الذى يستخلصه كلمنت مّما جاء فى إنجيل متى حين قال المسيح: "إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء؛ فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى"[٥٤].

ونلاحظ مما استشهد به كلمنت من كلمات القديسين مرقص ومتى أن السيد المسيح يترك حرية الاختيار لمن يريد أن يتبعه، فمن أراد أن يتبعه يترك أمواله ويبيع ممتلكاته لكنه لم يذكر له ماذا يفعل بثمنها، فربما ينفق ماله فى أوجه الخير، كما أن من يريد أن يتمسك بثروته فله الحرية فى ذلك.

ثم يدّعم كلمنت دفاعه عن الثروة مرة أخرى حين يذكر أنه بدون الثروة لن تتحقق الأهداف المسيحية؛ وأن الغنى الحقيقى هو الذى ينفق ثروته على المحتاجين، لا على أهوائه ورغباته أو أشياء أخرى كما فعل اليونانيون الذين منهم مَنْ كان يبذل ثروته للوطن، أو من أجل الحكمة وآخرون ضحوا بها من أجل الشهرة والمجد الزائف، ويضرب كلمنت أمثلة على هؤلاء بأناكساجوراس، وديموكريتوس، وكراتيس[٥٥]، وكلمنتَ هنا ينتقد موقف اليونانيين لأن ما فعلوه ليس الشئ المطلوب ممن يمتلك ثروة، لأن تخلى هؤلاء عن ثرواتهم وأموالهم فى سبيل الأغراض المذكورة يجعلهم متعالين على غيرهم وهو أمر يشيع الفرقة بين الناس، ومن ثم يتنافى مع التعاليم المسيحية التى تهدف أساساً (عن طريق المحبة ومساعدة المحتاجين) إلى إشاعة الترابط فى المجتمع.

---

(٥٤) العهد الجديد، القديس متى، الإصحاح ١٩، الآية ٢١ (عن) Ibid., 10. 940.

(٥٥) أناكساجوراس الكلازومينى (٥٠٠: ٤٢٨ ق.م) وقد تخلى عن أملاكه لكى يحصل على مزيد من الفلسفة، أما ديموكريتوس من الأبديرى (٦٤٠: ٣٦١ ق.م) فقد أنفق ثروة طائلة على السفر بحثاً عن المعرفة، وأخيراً كراتيس الفيلسوف الكلبى (٣٢٠ ق.م) الذى أعطى ماله لوطنه الأم طيبة.

هكذا يوضح كلمنت كيف أن إرادة الإنسان هى التى توجهه إلـى الاسـتخدام الصحيح للثروة ـــ وهذا يرجع إلى عقله الذى له مطلق الحرية فى هـذا الاختيـار. ويرى كلمنت أن الاختيار الصحيح هو ألاّ يتخلّص الإنسان من ثروته أو ممتلكاتـه المادّية، ولكن من نوع آخر من ممتلكاته؛ هو أهواء نفسه التى لا تتفق مـع حسن استخدام ما يملكه من الثروة المادّية. وهو يرى أنّ هذا هو المقصود من الآية التـى تقول: "وداعاً لكل ما نملك"(٥٦). والآية "فلتبع كل ما تملك"(٥٧).

٦ـ خلاصة لرأى كلمنت فى الثروة:

يختم كلمنت دفاعه عن وجهة نظره فيما يخصّ استخدام الثـروة بحـديث يجمع بين العقلانية والإيمان، فيقول إنّ الإنـسان لديـه نوعـان مـن الممتلكـات. الممتلكات التى تنطوى عليها النفس، وهى الأهواء والنزوات، ونوع آخـر خـارج النفس هو الممتلكات المادية أو الثروة؛ والثروة المادية تكون ذات صفة خيّـرة إذا استخدمتها النفس استخداماً حسناً وذات صفة سيئة إذا استخدمتها الـنفس اسـتخداماً سيئاً، ثم يتساءل أى نوع من الثروتين يشير السيد المسيح إلى التخلّص منه؟

وللإجابة على هذا التساؤل يقول: إنّ الإنـسان إذا تخلّـص مـن الممتلكـات المادية، فإنّ الممتلكات النفسية، وهى الأهواء قد تظل موجودة لتطغى علـى العقـل وتطلق العنان للرغبات المتولّدة منها επιθωμιαι ، συντροφοι(٥٨).

وهذه خسارة للإنسان لأنّه يكون قد فقد الأشياء التى يمكن أن تنفعه فعـلاً إذا استخدمها باعتدال وتعقل. والإجابة الصحيحة هنا هى أن نتخلص مما يؤذى وهـو الأهواء، ونحتفظ بالثروة المادية التى يمكن أن تنفعنا.

ثم يربط كلمنت هذا بالخلاصّ من حيث أنّ خلاص الإنسان يتم إذا تخلّص من

---

(٥٦) العهد الجديد، القديس متى، الإصحاح ١٤، الآية ٣٣. (عن) Clement, op.cit., 14. 943.

(٥٧) العهد الجديد، القديس متى، الإصحاح ١٩، الآية ١٢. (عن) Ibid., 14. 943.

راجع أيضاً: Tollinton. R.B., op.cit., Vol. I, p. 310.

(٥٨) Clement, op.cit., 15. 943.

وفرة الأهواء والنزوات، بحيث يمكن أن توصف نفسه أو روحه بأنها فقيرة منها.

ثم يستمر كلمنت فى حديثه عن المعنى الحقيقى والإيجابى للشخص الثرى حسب اقتناعه فيقول إنّه الشخص الغنّى بالفضائل؛ ومن ثمّ ينفق ثروته المادية بطريقة المؤمن بعقيدته، لا الشخص الثرىّ الذى يجمع الثروة لذاتها — فإنّ هذا النوع من الثروة من شأنه أن ينتقل من شخص إلى آخر وفى النهاية لا يصبح ملكاً لأحد. وفى هذا الصدد يذكرّ كلمنت بالشخص الثرى ماديّاً لكنّ روحه مليئة بالأهواء فيقول إنّ هذا هو الذى ينطبق عليه قول الربّ "خلص نفسك من الممتلكات الغريبة التى تسكن روحك حتى تصبح نقّى القلب وترى الله[٥٩] أى يدخل مملكة السماء ويفوز بالخلاص، وفى تحديد نهائى لتدعيم هذا المعنى.الذى يربط الثروة بالخلاص يتحدث كلمنت عن كيفية التخلّص من الممتلكات الغريبة فيقول إنّ الإنسان ينبغى أن يسعى لكى يحصل بدلاً منها على "ممتلكات" من نوع آخر متصلة باتباع وصايا الله وبذلك يحصل على الخلاص الدّائم.

وهكذا دافع كلمنت عن الثروة حتى ينقذ الأغنياء من اليأس، فقد كان يحث أولئك الأغنياء — الذين كان تعلقهم الأعمى بالأموال والأهواء قد قذف بهم فى الفوضى — على أن ينفقوا أموالهم فى أوجه الخير والمساعدة للمحتاجين من أبناء المجتمع، كما دافع عن الثروة بقوة لأن الثروة هى التى تساعد فى نشر المسيحية، بوصفها عقيدة جديدة تحتاج إلى كل ما يساعد على انتشارها وهى التى تساعدها كذلك فى التصدى للاضطهاد من قِبل الوثنية لهذا كله كتب كلمنت خطبته هذه ليوضح كل ما تحمله كلمة الثروة من معانى ظاهرة أو خفية ببساطة للمسيحيين، إذ كان التعامل الصحيح مع الثروة أحد المفاهيم الأساسية التى دارت حولها العقيدة المسيحية.

---

(٥٩) العهد الجديد، القديس متى، الإصحاح ٥، الآية ٨. (عن) Clement, op.cit., 19. 946.
"طوبى للأنقياء القلب، لأنهم يعاينون الله"

الفصل الثامن

المسيحية ومفهوم الخلاص

- تمهيد

١- محاولات سابقة للتغلب على عدم الاستقرار:

(أ) الإيمان بالرؤى، والمعجزات.

(ب) المدارس الفلسفية.

٢- الديانات الشرقية.

(أ) عبادة إيزيس وسيرابيس.

(ب) عبادة مثرا.

٣- المقصود بالخلاص:

(أ) الخلاص فى الحياة الدنيا.

أولاً: مرحلة القضاء على التنافر فى المجتمع.

ثانياً: مرحلة تماسك المجتمع.

-الأخوة.

-المحبة.

(ب) الخلاص فى الحياة الأخرى.

أولاً: التعليم.

ثانياً: القدوة المثالية.

ثالثاً: الإيمان.

رابعاً: السلام

(جـ) الخلاص وفكرة المعرفة.

أولاً: الغنوصية قبل العصر المسيحى.

ثانياً: المسيحية والغنوصية قبل كلمنت.

ثالثاً: الغنوصية فى فكر كلمنت.



- **تمهيد**:

تحدثت فيما سبق عما أظنه إشارة كلمنت للسبب الذى جعـل الـوثنيين لا يستجيبون للمسيحية؛ وهذا السبب هو تحكم العادة، وقام كلمنت كذلك بتفنيد العادات الوثنية، وانتقل بعد ذلك إلى الحديث عن المفاهيم التى رأى أنها تتصل بشكل رئيس بالعقيدة المسيحية، وقد رأينا أن أحد هذه المفاهيم هو مفهوم التحمل الذى ينبغـى أن يتصف به أتباع هذه الدعوة؛ ثم تحدث عن المفهوم الثانى وهو الثروة وبين موقـف تلك العقيدة منه، وأنتقل الآن إلى المفهوم الثالث الذى تحدث عنه كلمنت فـى هـذا الصدد، وهو مفهوم الخلاص وما يتصل به من أفكار.

ومن أهم الدوافع التى دعت المسيحية للدعوة إلى الخلاص عدم الاسـتقرار الذى عانت منه أنحاء الإمبراطورية الرومانية جميعـاً منـذ أواخـر القـرن الأول الميلادى وخلال القرن الثانى الميلادى لاسيما فى فترة الحروب الأهلية بين عـامى ١٩٣و ١٩٧م وهى الفترة التى عاصر كلمنت أحداثها بشكل خـاص؛ وقـد كانـت هناك أسباب مختلفة أدت إلى عدم الاستقرار فى فترة القرن الثانى الميلادى، ومـن هذه الأسباب: الحروب الأهلية التى تمثلت فى صراع القادة العسكريين مـن أجـل الاستحواذ على العرش الإمبراطورى، وبعد أن كانت الإمبراطورية تـنعم بالـسلام والاستقرار، انتهى السلام مع نهاية عهد الإمبراطور نيرون، وبدأت الحرب الأهلية بصراع القادة العسكريين على العرش، وكان الصراع شديداً حتى إنه فى عام واحد تولى أربعة أباطرة وهـم (جالبـا Galba وأوتـو Otto وفيتليـوس Vitellius وفسباسيانوس Vespasianus) الحكم على التوالى سُمى هذا العام وهو عـام ٦٩م بعام الأباطرة الأربعة.

وقد أشرت من قبل إلى الفترة الثانية من هذا الصراع (١٩٣- ١٩٧م) والتـى عاصرها كلمنت، وقد نتج عن تلك الحروب الأهلية تدهور فى الوضع الاقتـصادى أدى إلى حدوث ضائقة اقتصادية على مستوى الإمبراطورية الرومانية كلها، وشـح القمح فى روما حتى اضطرت فى سد احتياجاتها منه إلى الاعتماد على الولايـات

الرومانية المختلفة[1]؛ هذا بالإضافة إلى الضرائب الباهظة التى بدأ الأباطرة يفرضونها بشدة على المواطنين فأنهكتهم ودفعتهم إلى القيام بالثورات، كما حدث فى ثورة اليهود الكبرى (١١٠- ١١٣م) والتى كانت بين اليهود والإغريق من ناحية واليهود والرومان من ناحية أخرى[2].

كذلك كانت الهجمات الخارجية على حدود الإمبراطورية من أهم الأسباب التى أدت إلى عدم الاستقرار فيها، إذ كانت تلك الهجمات تمثل تهديداً لحدود الإمبراطورية، مما أدى إلى انشغال روما بصد تلك الهجمات المختلفة عليها سواء من الشرق أم الشمال، ونتج عن ذلك تشتت جهودها، فأهملت الناحية الداخلية ولم تعد توفر للمجتمع الرومانى العوامل الثلاثة التى كانت توفرها له من قبل، وهى الاستقرار والأمن والرخاء ـــ وقد تحدثت فى السابق عن تلك الهجمات البربرية فى أثناء حديثى عن ظروف العصر الذى ظهر فيه كلمنت ـــ وبالجملة كان لتلك الأسباب مجتمعة أثراً سلبياً على حالة المجتمع الرومانى؛ إذ بدأ المواطنون فى أنحاء الإمبراطورية كلها يشعرون بالخطر وعدم الاستقرار.

١ـ محاولات التغلب على عدم الاستقرار:

وكان لعدم الاستقرار فى الإمبراطورية الرومانية أثر كبير على المواطنين الرومان؛ فقد بدأ إيمانهم بالإمبراطور وعبادات الآلهة السائدة فى الإمبراطورية فى تلك الفترة (القرن ٢م) يهتز بعد أن أصبحت تلك العبادات عاجزة عن تحقيق الأمن والاستقرار لهم، ومن ثم بدأ المواطنون يتجهون إلى أشياء أخرى عسى أن يجدوا فيها ضالتهم المنشودة وظهرت فى تلك الفترة محاولات ومحاولات لتقديم حل لمشكلة عدم الاستقرار هذه؛ وقد تمثلت هذه المحاولات فى:

---

(١) Russell. Bertrand, op.cit., p. 269.

(٢) عبد اللطيف أحمد على: مصر والإمبراطورية الرومانية فى ضوء الأوراق البردية، دار النهضة العربية، ١٩٦٥، ص ٢٠٥.

(أ) الإيمان بالرؤى والمعجزات:

وفى ظل عدم الاستقرار والضياع والخوف من المستقبل الذى خـيم علـى المجتمع الرومانى، انتشرت الأفكار عن العام الآخر[٣] بـشكل كبيـر فـى أرجـاء الإمبراطورية الرومانية، وقد ظهر ذلك فى شكل الاعتماد على النبوءات وغيرهـا ومن ذلك أن نبوءة سيبيل كانت أمراً سـرياً يـستعين بـه حكـام الإمبراطوريـة ويستشيرونه فى أوقات عدم الاستقرار[٤]، وحتى على مستوى الأفـراد المتعلمـين نجد أنهم عادوا مرة أخرى لممارسة والإيمان بما كانوا قـد هجـروه بالفعـل فـى القرون السابقة، حيث انتشرت ممارسات السحر والتنجيم فى هذه الفترة (القرن ٢م)[٥]. ومنذ القرن الثانى الميلادى بدأت نبوءات جديدة تظهر إلى جانـب النبـوءات الرسمية للإمبراطورية، ففى عهد الإمبراطور ماركوس أوريلليوس كانـت بعـض الأعمال السحرية تمارس للاتصال بالإله، وكان من أهمها أن يجعلوا التماثيل تبـدو وكأنها تنطق بالنبوءات، أو أن يستدعوا بعض القوى الخارجية، ويجعلوهـا تـسكن جسد بشرى، بحيث ينطق هذا الجسد بالنبوءة[٦]، ونلاحظ هنا عودة أهمية الـسحر والتنجيم مرة أخرى، وعودة كان لهما فى العصور اليونانية القديمة من أثـر كبيـر على الشعب اليونانى، حين كان السحر يستخدم فى أغراض الحياة كلهـا تقريبـاً، ومن ذلك ــ على سبيل المثال ــ علاج الأمراض[٧]، ولم تكن ممارسـة الأعمـال السحرية تنفصل عن أية ديانة من الديانات اليونانية القديمة، وقد ظهر ذلـك أيـضاً

---

(٣) Cary. M., and Scullard, H., op.cit., p. 483.

(٤) Parke. H.W., Greek Oracles, London, 1972, p. 51.

(٥) حسين الشيخ: ديانات الأسرار والعبادات الغامضة فى التاريخ، دار العلوم العربية، بيروت، ١٩٩٦، ص ص ٥٤، ٥٥.

Buxton. Richard, op.cit., pp. 317... etc.

(٦) Parke, H.W., op.cit., p. 141.

(٧) وقد ظهر ذلك فى الكتاب التاسع عشر من الأوديسة حين عالج ابنا أتوكليس أوديسيوس مـن جراحه التـى تسبب له فيها خنزير بـرى، وهناك أمثلة أخرى على استخدام السحر فـى علاج الأمراض. راجع: Buxton, Richard, op.cit., p. 320.

فى عبادات الأسرار اليونانية فقد كانت عبادة ديميتر فى إليوسيس تتضمن — على سبيل المثال — طقوساً سحرية تتعلق بالأرض، إذ كان المتعبدون ينظرون إلى السماء ويصرخون: "أمطرى" "υε" ثم يصبون الماء على الأرض، وهم يصرخون "احملى" "κυε"، ومما كانوا يقومون به من سحر فى هذه العبادة أيضاً قيامهم بإلقاء خنزير ميت فى حفرة فى الأرض لكى يتحلل مع بذور القمح التى بالتربة، وهو ما يساعد على نمو الحبوب ويعد هذا نوعاً بسيطاً من السحر، كان من أهم أسباب هذا الاحتفال[٨].

كما عاد تأثير المعجزات والفأل (الكهانة) مرة أخرى وبقوة على الشعب الرومانى، ويمكن القول بوجه عام بأن كل شخص فى بلاد اليونان كان يؤمن بالمعجزات[٩] وكانوا يعدونها نصيحة من الإله يسد بها عن طريق هذه المعجزات، والدليل على مدى انتشار تلك المعجزات أنها لفتت نظر المؤرخين فلم يكتب عنها سويتونيوس كاتب الترهات فقط، بل كتب عنها كذلك رجل ذو ثقافة عالية هو بلوتارخ، الذى يدل كلامه على انتشار كتب تفسير الأحلام[١٠]، كما كتب هيرودوت أنه كان من الشائع فى المدن اليونانية أن يسأل الناس النبوءات، وكانت نبوءة دلفى من أهم هذه النبوءات [١١].

ومن الأدلة أيضاً على عودة الإيمان بالمعجزات إلى قوته قولهم إن

---

(٨) Buxton. Richard, op.cit., pp. 323, 324.

(٩) راجع: Ibid., pp. 76, 81... etc.

وقد كانت المعجزات والنبوءات فى بلاد اليونان ذات أهمية كبيرة من الناحية الاجتماعية فكانت الزوجات على سبيل المثال — يستشرن النبوءات فى بعض الأحيان ليعرفن ما إذا كان من الممكن أن يقمن بزيارة لأقاربهن أم لا، وهناك مثال آخر كسينوفون الذى استشار وحى أبوللو فى دلفى لمعرفة أى الآلهة يجب أن يقدم له القرابين كى ينجح فى أمر خاص به، هذا بالإضافة إلى لجوء اليونانيين للنبوءات والمعجزات، فى ناحية أخرى هى الناحية السياسية؛ إذ كان اليونانيين يستشيرون النبوءات فى حالة الحروب.

(١٠) Cary, M. and Scullard. H., op.cit., p. 483.

(١١) Price, Simon, op.cit., pp. 73, 75.

الإمبراطور فسبسيانوس إله وله معجزات، إذ هرع إليه ضرير فرد إليـه بـصره، كما جاء إليه عاجز اليد (أو الساق) فشفاه من عاهته، وزعم هذان الـرجلان بعـد شفائهما أن الإله سيرابيس أوحى إليهما أن يلتمسا الـشفاء علـى يديـه، وأثـارت المعجزة فى قلب فسبسيانوس الرغبة الشديدة فى زيارة معبد سيرابيس فى مـصر، وعندما وصل إلى المعبد أمر بإخراج جميع مَنْ فيه أولاً ثم دخله بعد ذلك وانخـرط فى الحديث مع سيرابيس، ويضيف المؤرخ سويتونيوس أن معجزة شفاء المريضين هذه منحت فسبسيانوس ما كان يحتاجه من نفوذ وعظمة(١٢) وهو أمر يـشير إلـى اقتناع المجتمع فعلاً بمثل هذه المعجزات، كذلك نجد معجزة أبوللو فـى كـلاروس (Claros) بالقرب من أفيسوس بدأت تستعيد شهرتها مرة أخرى فى القرن الثـانى الميلادى، والدليل على مدى شهرة تلك المعجـزات وانتـشارها أن الإمبراطوريـة بدأت تسن قوانين تحد من انتشارها(١٣).

وسوف انتقل الآن للحديث عن محاولة أخرى من المحاولات التـى ظهـرت لحل مشكلة عدم الاستقرار.

(ب) المدارس الفلسفية:

وكان من المحاولات التى ظهرت لحل مشكلة عدم الاستقرار أيضاً ما قدمتـه المدارس الفلسفية المختلفة ــ الرواقية والكلبية والأبيقورية ــ وعلى الرغم مـن أن تلك المدارس الفلسفية ظهرت فى العصر الهللينستى إلا أنها استمرت حتى عـصر كلمنت، بل وحاولت أن تقدم حلولاً لهذه المشكلة؛ فنادى أعضاء المدرسة الرواقيـة Stoicism بأن تسود روح الأخوة بين أبناء المجتمع، كما نادوا بضرورة التمـسك بالفضيلة، التى لا يجب أن ينتظر الإنسان مكافأة على التزامه بهـا، لأنهـا عنـدهم مكافأة فى حد ذاتها، أو هى غاية نفسها(١٤). وقـد دعـا الرواقيـون كـذلك إلـى

---

(١٢) عبد اللطيف أحمد على: المرجع نفسه، ص ص ١٤٢، ١٤٣.

(١٣) Cary. M, and Scullard. H., op.cit., p. 483.

(١٤) Cary and Scullard, op.cit., pp. 482- 483; Rusell. Bertrand, op.cit., p. 263, 271.

; John Boardman, *The Oxford History of Greece and The Hellenistic World*,

الحب[١٥]، وإلى الزهد والتقشف والابتعاد عن أية سعادة تحققها المادة.

وعلى الرغم من أن تلك المدرسة دعت إلى الأخوة والحب بين أبناء المجتمع إلا أن ذلك لم يتحقق لأنه لم يكن كافياً؛ أو لأنّ الأديان الشرقية التى كانت منتشرة فى ذلك الوقت كانت تحتوى على عنصر الخلود والعالم الآخر الذى يعّوض الإنسان عن مشاق الدنيا. (أى الخلاص)، وثانياً: لأن المصلحين الدينيين آنذاك كانوا ينادون بفكرة الخدمة الاجتماعية المتبادلة[١٦] بينما كانت الرواقية تنادى بأنه لا يهم أن يفعل الإنسان خيراً أو شراً للآخر طالما أنّ الهدف هو أن يكون صالحاً وفاضلاً فى حد ذاته وحسب وليس من اللازم أن يكون سعيداً، وهو أمر بدا سلبياً فى ضوء الاتجاهات المذكورة ــ وإنْ عد البعض هذا المذهب مذهباً بطولياً ــ [١٧] لأنه لا يقدم مكافأة فى النهاية.

ونلاحظ تأثر هذه المدرسة فيما قدمته من أفكار حاولت بها خدمة المجتمع بمدرسة الإسكندرية ــ التى نشأت بعد أن أسس الإسكندر إمبراطوريته الكبيرة ــ ونبغ فيها كثير من العلماء اليونانيين الذين كانوا يرون أنه لا يجب على الإنسان أن يفعل ما يريد فقط بل هناك واجبات عليه أن يؤديها لمجتمعه، لكن تلك الأفكار لم تكن مجدية فى ظل الظروف القاسية سادت القرن الثانى الميلادى لكنها كانت مجرد محاولات لحلّ لمشكلة عدم الاستقرار آنذاك.

والمدرسة الفلسفية الثانية هى مدرسة الكلبيين أو المتشككين Cynics. وقد حاول أعضاؤها ــ مثلهم مثل فلاسفة المدارس المتأخرة التى سبق ذكرها ــ أن يصلوا إلى الخلاص من خلال الإجابة على سؤالين هما: كيف يمكن أن يصبح الإنسان صاحب فضيلة فى هذا العالم غير المستقر؟ وكيف يمكن أن يكون الإنسان

New York, 1991, p. 482.

(١٥) Russell. Bertrand, op.cit., p. 264.

(١٦) Cary & Scullard, op.cit., p. 483.

(١٧) Russell. Bertrand, op.cit., p. 275.

سعيداً فى هذا العالم الذى يعانى من المشكلات[١٨]؟ وكان الكلبيـون (المتـشككون)، يدعون للفضيلة بحماس شديد، ويرون أنها تكمن فى التحرر من الشهوات، وكـانوا يرون السعادة فى الطعام البسيط والملبس المتواضع غير المتكلف، وكانوا يحبـون الحياة البسيطة ويدعون إلى الزهد والتقشف وهو ما دعت إليه الرواقية من قبل[١٩]، كما دعوا كذلك إلى نشر روح الأخوة بين أبناء المجتمع، لكن أملهم هذا لم يتحقـق، كما رأوا كذلك أن هذا العالم لا يفيدهم بشئ؛ ولذلك دعوا إلى أن يتحرر الفرد مـن ربقة هذا العالم ومتطلباته ولا يعتمد عليه ويبدو هذا وكأنه دعوة لأن ينعزل الفـرد عن العالم، ولم يكن أصحاب هذه المدرسة ينظرون إلى المستقبل ولا يحـاولون أن يقدموا أفكاراً خاصة به، ورأوا ألا ينغمس الفرد فى شئون المجتمع، لأن ما سـوف يحدث فى المستقبل مشكوك فيه.

وعلى الرغم من أن أبناء تلك المدرسة قدموا أفكاراً حاولوا بهـا إيجـاد حـل لمشكلة عدم الاستقرار فى المجتمع إلا أن أفكارها لم تقدم أية خدمة لأبناء المجتمـع سواء فى الحياة الدنيا أم فى الحياة الآخرة، بسبب سلبيتها الشديدة.

أما المدرسة الثالثة فهى مدرسة الأبيقوريين Epicurians. وهذه المدرسـة ــ شأنها شأن المدارس الأخرى التى كانت موجودة فى العصر الهللينستى واسـتمرت حتى القرنين الأولين من الميلاد ــ كانت تهدف إلى تحقيـق الهـدوء والاسـتقرار للمجتمع، وكانت مبادئ الأبيقوريين تدعو إلى تحقيق الفضيلة أو السعادة عن طريق اتباع كل ما يرى الإنسان فيه متعة أو لذة له سواء أكانت هـذه اللـذة حـسية أم معنوية، على الرغم من أن أبيقوروس عاش حياةً بسيطة؛ إذ كان يـرى أن حيـاة الزهد والتقشف هما منتهى السعادة والرضا[٢٠]، وكـان يؤكـد علـى أن الإنـسان يستطيع أن يكون سعيداً وهو يتحمل العذاب، لكن أتباعه دعـوا إلـى أن الـسعادة

---

(١٨) Russell, Bertrand, op.cit., p. 240.

(١٩) Ibid., p. 242.

(٢٠) Ibid, p. 250; John Boardnann, op.cit., p. 426.

تتحقق بأن يتبع الإنسان ما يجد فيه لذة ومتعة، كما دعا أصحاب تلك المدرسة كذلك إلى نشر الحب بين أبناء المجتمع لأن من لا يحب الآخرين شخص أناني، وقد كانوا يهدفون من وراء هذه الدعوة إلى تحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع، وكانوا يرون أنه بدون صداقة وحب لا تتحقق السعادة(٢١). لكن أفكارهم هذه بدورها لم تتحقق بسبب طبيعتها السلبية التى لا تقدّم حلولاً محسوسة لمشكلة عدم الاستقرار التى كان المجتمع يمّر بها فى ذلك الوقت.

وفى النهاية نجد أنه على الرغم من المحاولات المختلفة التى قدمتها المدارس الفلسفية لإيجاد حل المشكلة عدم الاستقرار إلا أن تلك المدارس لم تستطع أن تقف أمام الدعاة المسيحيين الذين يقدمون الخلود مكافأة، فى النهاية (بعد الموت)، فالرواقيون على الرغم من دعوتهم إلى الفضيلة إلا أنهم أفرغوها من محتواها الإيجابى وحولوها إلى السلبية، وبذلك لم يستطيعوا الوقوف أمام الدعوة المسيحية التى قدمت عدداً من الحلول والأفكار الإيجابية لخدمة المجتمع مثل فكرة الخدمة الاجتماعية بمعنى أن صاحب الفضيلة أو الإنسان الفاضل يجب أن يساعد أبناء مجتمعه ومثل صندوق الهبات الذى نظمته الجماعات المسيحية لمساعدة الفقراء واليتامى وكبار السن غير القادرين على العمل(٢٢)، وبذلك نلاحظ تراجع الأفكار العقلانية التى تتمثل مبادئ فى المدارس الفلسفية أمام الديانة الجديدة.

وهو ما جعل المجتمع يبحث عن الغيبيات دون الاهتمام بالناحية العقلية، لحل مشكلة عدم الاستقرار والضياع والخوف من المستقبل التى صبغت تلك الفترة (القرن ٢م)، وسوف انتقل الآن للحديث عن محاولة أخرى من محاولات حل مشكلة عدم الاستقرار هذه، وهى:

---

(٢١) Russell, Bertrand, op.cit., p. 253.

(٢٢) Hoffmann, Joseph, op.cit., p. 19.

٢- الديانات الشرقية:

كانت الديانات الشرقية ـــ على عكس ما كان سائداً فى الديانات التقليدية التـــى كانت منتشرة فى الإمبراطورية الرومانية فى القرن الثانى الميلادى ـــ تكافئ مـــن يعتنقها بالخلاص الشخصى والسعادة الأبدية فى الحيـــاة الآخـــرة، وهـــذه المكافـــأة يحصل عليها كل من تحمل مشاقّ الدنيا، ولذلك كان من الطبعـــى أن تنتـــشر تلـــك الديانات وتلقى رواجاً لها بين شعوب الإمبراطورية فى هذه الفترة[٢٣]، ومـــن أهـــم العبادات الشرقية التى انتشرت فى الإمبراطورية الرومانية فى تلك الفتـــرة عبـــادة الآلهة إيزيس وسيرابيس، وعبادة مثرا الإله الفارسى، وكيبيلى وأتيس وغيرها.

عبادة إيزيس وسيرابيس:

كانت عبادة إيزيس وسيرابيس من أهم العبادات التى نشأت فى مصر[٢٤]، وكانت لها شهرة كبيرة فى بلاد اليونان[٢٥] أيضاً، وقد انتشرت هـــذه العبـــادة فـــى أرجـــاء الإمبراطورية الرومانية، حيث لاقت قبولاً كبيراً من المواطنين الرومان لدرجة أنهـــا أصبحت منافساً خطيراً للمسيحية، إذ كانت إيزيس حامية الأسرة[٢٦]، والأسرة خليـــة المجتمع الأولى، هذا بالإضافة إلى أن تلك الديانة قد أمنت لمن يعتنقها الرفاهية فـــى العالم الآخر والحماية والخلاص الأبدى، وبعد أن كانت المدارس الفلسفية تقدم أفكاراً ـــ لم تتحقق ـــ تدعو فيها إلى الأخوة والفضيلة بين أبناء المجتمع ككل نجد أن عبادة

---

(٢٣) Witt. R.E., Isis in the Graeco- Roman World, Great Britain, (Thames Hudson), 1971, pp. 185-197.
؛ حسين الشيخ: دراسات فى تاريخ الحضارات القديمة (اليونان)، دار المعرفة الجامعيـــة، الإسكندرية، ١٩٩٨، ص ٢٢٤.

(٢٤) Witt. R.E., op.cit., pp. 14, 55. ؛ حسين الشيخ: اليونان، ص ٢٤٧.
؛ أدولف إرمان: ديانة مصر القديمة، نشأتها وتطورها ونهايتها فى أربعة آلاف سنة، ترجمة عبد المنعم أبو بكر، القاهرة، بدون تاريخ، ص ص ٤٣٢، ٤٣٣.

(٢٥) Grant. Michael, op.cit., p. 147.

(٢٦) كذلك كانت لإيزيس وسيرابيس معجزات فى شفاء المرضى. راجع:
Dorosse, J., The Secret Books of The Egyptian Gnostics, London, 1960, pp. 273-274.

إيزيس اهتمت بالأسرة التى هى نواة المجتمع؛ وقد انتـــشرت[٢٧] تلــك العبــادة فـــى الإمبراطورية الرومانية منذ عصر الإمبراطور نيرون حيث تشبهت زوجتــه بوبايــا سابينا بإيزيس وأحاطت نفسها بنفر من المنجمين الشرقيين، وتأثر الإمبراطور نيرون نفسه بعبادة إيزيس، ويرجح بعض المؤرخين أن الاعتراف الرسمى بعبادة إيزيس تم فى عهده، كما كان الإمبراطور لوكيوس أوتو من أنصار تلك الديانة المتحمسين، فقــد كان يمارس شعائرها علناً مرتدياً الثوب الكتانى الذى تقتضيه[٢٨]، واســتمرت عبــادة إيزيس فى عهد الإمبراطور فسبسيانوس[٢٩] حتى روى إن دوميتيانوس بن الإمبراطور فسبسيانوس ــ وكان قد احتمى بالكابيتول عندما أشعل جنود فيتيللوس النار فى المعبد الكبير ــ عندما أراد أن يخرج من الكابيتول خرج متنكــراً فـــى زى أحــد أشــياع إيزيس[٣٠] حتى لا يتعرض له أحد، وقد وصلت عبادة إيزيس ذروتها فى روما فـــى عصر أسرة فلافيوس إذ ظن الإمبراطــور فسبــسيانوس أن إيــزيس أنقــذت ابنـــة دوميتيانوس من موت محقق، وأن سيرابيس أيضاً شد أزره[٣١].

وقد وصلت عبادة هذين المعبودين إلى الحدود الشمالية للمقاطعات الرومانيـــة إلى كولونى (cologne)، ولندن، ويورك. بل وصلت شهرة إيزيس وسيرابيس فى الولايات الرومانية وفى روما نفسها إلى أن قال مينوكيوس عنهما: "أنهما كانا إلهين مصريين، وهما الآن من الآلهة الرومانية[٣٢]. والأسباب التى جعلت عبادة إيــزيس

---

(٢٧) وقد كتب كل من أفلاطون وهيرودوت عن عبادة إيزيس وانتشارها. راجع:
Herodotus, Histories, 2, 59.
Price, Simon, op.cit., p. 123; Witt. R. E., op.cit., p. 16.

(٢٨) عبد اللطيف أحمد على: المرجع نفسه، ص ١٥٢.

(٢٩) وعن مدى انتشار عبادة إيزيس وسيرابيس ومعجزاتهما فى عهد الإمبراطور فسبــسيانوس. راجع:
Tollinton, R.B., op.cit., Vol. I, pp. 79, 82-83; Witt. R.E., op.cit., p. 233.
؛ أدولف إرمان: المرجع نفسه، ص ص ٤٦٨– ٤٦٩، ٤٧٦، ٤٨٣، ٤٨٧.

(٣٠) Witt. R.E., op.cit., p. 234.

(٣١) عبد اللطيف أحمد على: المرجع نفسه، ص ١٥٣.

(٣٢) Yehya. Lutfi, A.W., *Alexandria and Rome in Classical Antiquity. A Cultural Approach, Rome*, 1992, p. 358.

تنتشر فى الإمبراطورية الرومانية وتتوطد لهذه الدرجة ويتقبلها الشعب ويؤمن بهـا (حيث بدأت تلك العبادة فى الانتشار بين عامة الشعب حتى وصلت وانتشرت فـى البيت الحاكم) هى أن تلك العبادة تدعو إلى الحفاظ علـى الـروابط الأسـرية[٣٣]، وكانت إيزيس حامية الأسرة كما سبق أن أشـرت فهـى التـى اعتنـت بزوجهـا أوزيريس ــ الذى كان ملكاً أيضاً ــ عناية كبيرة أثناء حياته، وبعد أن قتلـه أخـوه ست قامت بتجميع أجزاء جسده بعد رحلة مضنية، وهى كذلك أمٌ مثالية؛ فقد قامـت برعاية ابنها حورس حتى استطاع أن يتصدى لعمه ست وينتصر عليه[٣٤].

وقد كان المجتمع الرومانى فى حاجة إلى تلك العبادة، فى فترة عدم الاستقرار بسبب الحروب الأهلية فى القرن الثانى الميلادى، والتأثير السيئ لتلـك الحـروب على الروابط الأسرية حيث كان الرجال يتركون منازلهم وأسرهم وقـد أثـر ذلـك بالطبع على الأسرة واستقرارها[٣٥]. هكذا وجدت عبادة إيزيس مكانة مرموقة بـين شعوب الإمبراطورية لأنها تقدم الخلود كمكافأة بعد الموت كما تقدم قانوناً أخلاقيـاً

---

(٣٣) وعن أسطورة إيزيس وكيف كانت رمزاً للحفاظ على الروابط الأسرية. راجع:
Witt. R.E., op.cit., p. 18؛ أدولف إرمان: المرجع نفسه، ص ص ٨٠، ٨٧-٨٨.

(٣٤) YEHYA, Lutfi. A.W., op.cit., p. 359؛ Witt. R.E., op.cit., pp. 36-37

(٣٥) ومن هنا نستطيع أن نفهم المحاولات التى قام بها بعض الأباطرة للحفاظ على الاستقرار فى المجتمع، وهناك مثال على ذلك من عهد سابق، هو إصدار الإمبراطور أغسطس للقوانين للحفاظ على الروابط الأسرية ومن هذه القوانين قانونان هما:

- Lex Iulia de Maritandi Ordinifus
- Lex Popia Poppaea.

وكان كلا القانونين يهدفان إلى إعادة الاعتبار إلى الزواج.

كما أصدر قانوناً لمنع الفسق والزنا. Lex Iulia Adulteriis

راجع: YEHYA. Lutfi. A.W., op.cit., p. 359.

Cary & Scullard, op.cit., p. 489

نلاحظ هنا أن هذا المثال من عهد الإمبراطور أغسطس أول أباطرة روما وهو قبل فترتنا بأكثر من قرن ونصف، وكانت الأحوال قد تردّت فى المجتمع الرومـانى آنـذاك نتيجـة الحروب الأهلية فى الفترة الأخيرة من حياة الجمهورية، وأذكر هذا مثالاً على ما يمكن أن يصيب المجتمع من انهيار أسرى واجتماعى وعدم استقرار.

أيضاً، كان المجتمع فى حاجة إليه(٣٦).

وفى النهاية يمكن القول بأن الذى ساعد على انتشار ذلك النوع من الفكر الدينى الذى قدمته عبادة إيزيس وسيرابيس أنها كانت تعد من يعتنقها بالاستقرار فى الحياة والخلاص الأبدى.

عبادة مثرا(٣٧):

وبجانب عبادة إيزيس ورفيقها سيرابيس انتشرت كذلك عبادة مثرا الإله الفارسى، الذى وصلت شهرته إلى درجة كبيرة فى الإمبراطورية الرومانية منذ القرن الثانى الميلادى وحتى القرن الرابع الميلادى(٣٨) وكان مثرا إله الحرب يدمر الأعداء ويمنح النصر لعباده، كما أنه يحمى الفقراء والضعفاء، بل هو عندهم مانح الحياة نفسها الذى يسكن فى السماء(٣٩)، وقد تشابهت عبادة مثرا مع عبادة إيزيس فى أن كلتا العبادتين كانتا تقدمان لأتباعهما الخلود فى المستقبل، وتعدان بقانون

---

(٣٦) YEHYA. Lutfi. A.W., op.cit., p. 363.

(٣٧) وقد اختلفت الآراء حول أصل هذه الديانة، ولعل من أقدمها الرأى القائل بأنها ديانة مزدية من فارس القديمة أخذت شكلها النهائى فى آسيا الصغرى خلال العصر الهللينستى، وهناك رأى آخر يقول بأنها ديانة غربية أخذت الطابع الشرقى بعد أن أضيفت إليها بعض الملامح المميزة لديانات الشرق الأدنى، كما أن هناك رأياً ثالثاً يقول بأنها ديانة يونانية شرقية الأصل نشأت فى سوريا فى فترة متأخرة من العصر الهللينستى ثم انتقلت إلى إيطاليا.
راجع: حسين الشيخ: المرجع نفسه، ص ٧٨.
وراجع أيضاً: Haward Teeple, *The Cult of Mithras, Religion & Ethics Institute,* Evanston, U.S.A., 1988, p. 3.

(٣٨) انتقلت ديانة مثرا السرية من الإمبراطورية الفارسية إلى الإمبراطورية الرومانية حوالى ١٠٠م حيث انتشرت انتشاراً واسعاً، وخاصة منذ القرن الثانى الميلادى وحتى الرابع الميلادى؛ حتى إنها أصبحت منافساً خطيراً للمسيحية، وتحولت إلى الديانة المسيطرة على الإمبراطورية الرومانية وحول هذا راجع: Tollinton, R.B., op.cit., Vol. I, p. 79.
وحسين الشيخ: اليونان، ص ٢٤٥.

(٣٩) حسين الشيخ: المرجع نفسه، ص ٨٠.

أخلاقى[٤٠]، كما أنها وضعت الأخوة فى مكانة بارزة بين الفضائل[٤١]، وقد جعل منها هذا كله ديانة قوية راسخة بين أفراد المجتمع الرومانى، وساعد على سرعة تقبلها، لأن هذا ما كان يبحث عنه المواطنون فى ظل الظروف غير المستقّرة، وقد عبد عدد من أباطرة الرومان مثرا، ونالت عبادة تأييدهم ودعمهم المادى والمعنوى ومنهم الإمبراطور كومودوس، والإمبراطور سبتميوس والإمبراطور كاركلا، وانتشرت عبادة مثرا الفارسى حتى وصلت إلى الراين (Rhineland) وحائط هادريان، كما وصلت إلى داكيا (Dacia) وأوستيا (Ostia)[٤٢] أيضاً.

وفى نهاية الحديث عما ظهر فى المجتمع الرومانى من محاولات للتخّلص مما كان يعانيه من عدم الاستقرار — من اللجوء للغيبيات واللجوء للعقلانية الفلسفية، واللجوء إلى الأديان الشرقية — تأتى المسيحية لتغزو هذا المجتمع بمفهومها عن الخلاص.

٣ـ المقصود بالخلاص:

والخلاص فى المسيحية يعنى أن يتخلص الإنسان من الظروف القاسية المحيطة به كلها، ويتخلص من شهواته؛ فالمسيحية تقدم الحياة المثالية التى تؤدى إلى الاستقرار، وهو ما يُعرف بالخلاص فى الحياة الدنيا أى أن يكون الإنسان مستقراً فى المجتمع حتى يصبح المجتمع متماسكاً، أما الخلاص الآخر الذى تقدمه المسيحية فهو ما يصل إليه الإنسان فى النهاية أى بعد الموت وهو الخلود والوصول إلى الله حيث مملكة السماء.

---

(٤٠) Cary & Scullard, op. cit., p. 483.

(٤١) Yehya. Lutfi. A.W., op.cit., p. 363 ؛Ibid., op.cit., p. 483.

(٤٢) Cary, & Scullard, op.cit., p. 484.

(أ) **الخلاص فى الحياة الدنيا**[٤٣]:

وسوف أقدم الآن — من خلال ما تصوره كلمنت — ما دعت إليه المسيحية أتباعها لكى يحققوا الجزء الأول من الخلاص وهو الخلاص فى الدنيا، ويتحدث كلمنت فى هذه النقطة عن مرحلتين للتوّصل إلى الاستقرار المطلوب: الأولى؛ تتمثل فى وضع حدّ للتنافر فى المجتمع. والثانية تتمثل فى تحقيق التماسك بين أفراد المجتمع وطبقاته وهما تمثلان مرحلتين للوصول إلى الاستقرار فى سبيل خير المجتمع سواء فى صورته كأفراد أم صورته المصغّرة كأسرة أم فى صورته كمجتمع شامل، وليس فى سبيل الفرد وحده أو فى سبيل خير الأسرة وحسب حتى ولو كانت الأسر هى الخلايا التى يتكون المجتمع من مجموعها.

أولاً: مرحلة القضاء على التنافر فى المجتمع:

وفيما يخص المرحلة الأولى وهى القضاء على التنافر فى المجتمع نجد كلمنت يتحدث عن التحمل (υπομονης) وهو يبّين ذلك فى وضوح حين يتحدث عن تحملّ آلام السيطرة على الأهواء، وهو يشير هنا إلى الأهواء التى تؤثر على المجتمع بشكل واضح فيذكر ضمن هذه الأهواء: الغضب عند التعامل مع الآخرين أو السخرية منهم والتعالى على المسنين وتخطّى دورك فى الحديث أو المناقشة وسوء التعامل مع النساء وهكذا[٤٤].

وقد دعت الرواقية من قبل إلى التحمل فى سبيل الفضيلة، وأن الإنسان يجب أن يصبر على ترك شهواته ويفعل الخير حتى يكون فاضلاً دون أن يحصل على مكافأة، لأن الفضيلة عندهم مكافأة نفسها، وقد أشرت إلى ذلك من قبل عندما

---

(٤٣) يصف الدارسون اللاهوتيون الخلاص عن طريق التغلب على الشهوة بأنه انتصار على الشيطان، والحياة بأنها التغلب على الموت، والانتقال من العالم الأرضى إلى الحياة المثلى فى الآخرة بأنه الصعود إلى السماء. راجع:
تادرس يعقوب ملطى: الكنيسة القبطية الأرثوذكسية والروحانية، الكنيسة الأرثوذكسية (كنيسة الإسكندرية)، ١٩٨٦، ص ١٧٤.

(٤٤) Clement, The Newly Baptized. 221-22.

تحدثت عن المحاولات التى قدمتها المدارس الفلسفية للتغلب على مشكلة عدم الاستقرار، لكن التحّمل هنا يهدف إلى قيمة فرديّة بمعنى أنه لخير الفرد، ونحن نستطيع أن نستنتج ذلك بوضوح من الفلسفة الرواقية التى تذكر أن الفرد لا يقدم خيراً أو شرّاً للآخر، على نحو ما أشرت فى مناسبة سابقة، كما ظهرت فكرة التحمل فى عبادة إيزيس وذلك فى سبيل الحفاظ على الروابط الأسرية، الذى كانت تدعو إليه، فإيزيس هى عندهم حامية الأسرة وهى التى تحملت المشاق بعد مقتل زوجها، وصبرت حتى قامت بتجميع أجزائه وكابدت بعد ذلك كثيراً أيضاً فى سبيل تربية ابنهما حورس(٤٥). أى أن التّحمل الذى مثلته عبادة إيزيس لا يتوقف عند خير الفرد لكنه يتجاوزه إلى خير الأسرة الذى يتمثل فى تماسكها.

وجاءت المسيحية بعد ذلك لكى تدعو أيضاً إلى التحمل بهدف الوصول إلى الخلاص الحقيقى فى الدنيا عن طريق الاستقرار الذى سوف يجده الفرد فى تماسك أسرته، ويشبه كلمنت ذلك الخلاص بالدواء المُر الذى يصعب على الإنسان استساغته، بينما العادات القديمة التى كان يتبعها الأفراد معتقدين أنها سوف تحقق لهم الاستقرار يشبهها بالطعام الحلو الذى يستسيغه الناس ويحبونه، لكنه غير مفيد لهم كالدواء المر الذى يُعيد للإنسان صحته، هكذا الطريق إلى الخلاص مليئ بالصعاب فى بدايته، لكنه يحتاج منا أن نتحمل لكى يقودنا فى النهاية إلى السماء(٤٦).

"η δε εις ουρανον αναγει"

وأوضح كلمنت — فى سبيل تقريب مفهوم التحمل والتخلّص من الشهوات إلى سامعيه (أو قارئيه) من الوثنيين — أوضح لهم أن البشر كانوا فى البداية عندما خُلقوا دون أخطاء لكنهم سقطوا فى الخطيئة بسبب إتباعهم لشهواتهم حيث يقول: "إن الإنسان كان فى البداية بريئاً كالأطفال، لكنه وقع ضحية للذة، وضل الطريق

---

(٤٥) Yehya Lutfi. A.W., op.cit., p. 359.

(٤٦) Clement, Protrep. X. 85

الصحيح باتباعه لشهواته[٤٧] وبذلك يكون التحمل هو الطريق إلى ترابط المجتمع، وعن طريقه تقدم المسيحية الخلاص لأتباعها فى الحياة الدنيا، وسوف انتقل الآن إلى الشق الثانى أو المرحلة الثانية من الخلاص الذى تقدمه المسيحية لأتباعها فى الحياة الدنيا وهو تماسك المجتمع.

ثانياً: مرحلة تماسك المجتمع:

فى هذه النقطة سوف أشير إلى الوسائل التى دعت إليها المسيحية لكى تحقق تماسك المجتمع وبذلك يتحقق الاستقرار وتنتهى المشكلة التى كانت تهدد كل فرد فى المجتمع الرومانى، وهناك وسيلتان أو طريقان دعت إليهما المسيحية لتحقيق تماسك المجتمع وبالتالى الوصول إلى الخلاص فى الدنيا أولهما:

الأخوّة:

إذ تعتمد المسيحية على الأخوّة كوسيلة من الوسائل التى تؤدى إلى مجتمع متماسك بالتالى تؤدى إلى الخلاص فى الحياة الدنيا، وقد دعت الرواقية[٤٨] من قبل إلى ضرورة أن تسود الأخوة والمحبة بين أبناء المجتمع، كما دعت الأبيقورية[٤٩] إلى نشر روح الحب والأخوة بين أبناء المجتمع، وفى نظرهم تعد الشخص الذى لا يحب الآخرين ويعتبرهم أخوة له يُعدّ إنساناً أنانياً، وبالتالى فلن يحصل على السعادة والاستقرار فى حياته، وعندما جاءت المسيحية استمرت فى الدعوة إلى الأخوة وسيلةً لاستقرار المجتمع لكنها قدّمتها فى إطار جديد فيه محاولة واضحة للتقريب بين صاحب العقيدة الجديدة (السيد المسيح) ومن يريد أن يجذبهم إليها، وفيه كذلك خطوات عملية تدّعم هذا المفهوم مثل المساعدة الفعلية (من دعاة المسيحية) للفقراء واليتامى والمسنين كما رأينا من قبل. وقد اعتمد كلمنت على ما ورد فى رسالة القديس بولس إلى أهل رومية قائلاً: "وصلت إلى الأب على يديك،

---

(٤٧) Ibid., XI. 86.

(٤٨) Cary & Scullard, op.cit., p. 696 ;Russell. Bertrand, op.cit., pp. 263, 271.

(٤٩) Baordman. John, op.cit., p. 426; Russell. Bertrand, op.cit., p. 253.

وأصبحت وريثاً وشريكاً معك"(٥٠). ويقصد كلمنت بكلمة الشريك أنه أصبح مثل المسيح لأن المسيح لم يكتف بأن يُعلم أتباعه ويخلصهم وحسب لكنه جعلهم أيضاً على شاكلته وكان يعامل أتباعه على أنهم إخوته، وبما أن السيد المسيح هو ابن الله، والمسيحيين أخوته فهم إذن — كما يقول — فى المكانة نفسها التى للمسيح عند الله.

ومن الإشارات التى وردت عند كلمنت لتوضح أهمية الأخوة فى العقيدة المسيحية أيضاً، وإلى أى مدى يعامل السيد المسيح أتباعه على أنهم أخوته، نقل كلمنت لما ورد فى العهد القديم؛ حيث تقول الآية: "سوف أُعلن اسمك لإخوتى، فى وسط الجماعة، سوف أغنى وامتدحك"(٥١). وليست الأخوة فى اليسر فقط بل إن الإخوة تملى على المرء أن يشارك أخاه فى العسر أيضاً (السراء والضراء) على حد سواء كما ورد فى الآية التى تقول: "لقد وجدت الله من خلالك، وعرفت الله على يديك، وأصبحت وريثاً وشريكاً معك(٥٢)، منذ أن أصبحت لا تستحى من إخوتك"(٥٣).

---

(٥٠) والعهد الجديد، رسالة بولس إلى أهل رومية، الإصحاح ٨، الآية ١٧.

(وعن) Clement, Protrep. XI. 88.

"فإن كُنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً ورثة الله ووارثون مع المسيح".

(٥١) العهد القديم، المزمور ٢٢، الآية ٢٢. (عن) Clement, Protrep. XI. 88.

"أخبر باسمك إخوتى. فى وسط الجماعة أُسبحُك".

(٥٢) العهد الجديد، رسالة بولس إلى أهل رومية، الإصحاح ٨، الآية ١٧.

(عن) Clement, op.cit., XI. 88.

"فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً ورثة الله ووارثون مع المسيح. إن كُنّا نتألم معه لكى نتمجد أيضاً معه".

(٥٣) العهد الجديد، الرسالة الثانية إلى العبرانيين، الإصحاح ٢، الآية ١١.

(عن) Clement, op.cit., XI. 88.

"لأنه إن كانت الكلمة التى تكلم بها ملائكة قد صارت ثابتة وكل تعد ومعصية نال مجازاة عادلة".

المحبة:

وكانت السبيل الثانية التى دعت لها المسيحية لتحقيق تماسك المجتمع؛ هى المحبة، فالمحبة خطوة أخرى أقوى من الأخوّة، وهى من أهم الأشياء التى دعت لها المسيحية واعتمدت عليها فى نشر دعوتها والوصول إلى مجتمع متماسك مستقر، وبالتالى الوصول إلى الخلاص فى الحياة الدنيا، ويمثل الحب خطوة متطورة عن الأخوّة التى نادى بها الرواقيون(٥٤) من قبل حين دعوا إلى أن تسود الأخوة والفضيلة بين أبناء المجتمع، فى محاولة منهم لتحقيق استقرار فى المجتمع الرومانى، وقد اعتمدت المسيحية فى دعوتها على الحب حيث دعت أفراد المجتمع أن يتحرروا من الأهواء التى هى مرض الروح، وأن يبتعدوا عن الخطيئة، لأن الخطيئة هى الموت الأبدى، وأن يتجهوا بقلوبهم إلى النور الإلهى، وقد أشار كلمنت إلى ذلك قائلاً: " سوف يشرق النور من الظلام"(٥٥).

وعندما يشرق النور الإلهى بالحب والحب المنزّه عن الشهوات فى قلوب الناس يستطيع هؤلاء الناس أن يصلوا إلى الله، ولذلك اهتمت المسيحية بالدعوة إلى الحب بين أبناء المجتمع حتى يصبح مجتمعاً متماسكاً، فمن الضرورى أن يحب الإنسان جاره(٥٦) وأن يحب الله مثلما يحبه الله، وقد أظهر كلمنت مدى حب الله لعباده قائلاً: "ما كل هذا الحب للإنسان ! إن الله يتحدث إليهم لا كمعلم لتلاميذه، ولا كسيد لعبيده، ولا كإله لعباده، ولكن "كأب رفيق "πατηρ δε ως ηπιος"(٥٧) ينصح أبنائه(٥٨).

(٥٤) Cary & Scullard, op.cit., p. 696; Russell, Bertrand, op.cit., pp. 263, 271.

(٥٥) العهد الجديد، الرسالة الثانية إلى أهل كورنثة، الإصحاح ٤، الآية ٦.

(عن) Clement, op.cit., XI, 89.

"لأن الله الذى قال أن يشرق نور من ظلمة هو الذى أشرق فى قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله فى وجه يسوع المسيح".

(٥٦) Clement, op.cit., XI. 89.

(٥٧) Butterworth, op.cit., p. 183, note (f). c.f. Homer, Odyssey. ii. 47.

(٥٨) Clement, op.cit., IX. 69.

ونلاحظ فى النهايــة أن الأخــوة والحــب (المحبــة) وســيلتان متلازمتــان ضروريتان للوصول إلى مجتمع متماسك مستقر، وبهما يستطيع الفرد بل المجتمــع كله الفوز بالخلاص فى الحياة الدنيا لأنه بالمحبة والأخوة ينتهى عــدم الاســتقرار ويظهر التكافل والتساند أى يقضى على المشكلة التى كانت تؤرق المجتمع فى ذلك الوقت.

(ب) **الخلاص فى الحياة الأخرى:**

غير أن المسيّحية لا تكتفى بالعمل على الخلاص فى الحياة الدنيا وحــسب، لكنها تساعد أتباعها على الفوز بالخلاص فى الحياة الأخــرى وهــو الــذى يعنــى الخلود، بعدة وسائل، وسوف أتحدث الآن عن كل وسيلة من هــذه الوســائل علــى حدة:

أولاً: التعليــم:

وأولى هذه الوسائل هى التعليم، فقد أرسل الله الكلمة (المسيح) لعبادة بالعلم ــ وليس المقصود بالعلم طبعاً علوم الطبيعة أو الطــب أو الرياضــيات .... إلــخ، وحدها لكن المقصود كذلك معرفة العلاقات الإنسانية التى تهــدف إلــى اســتقرار المجتمع والتى رأينا، ــ فى مناسبات سابقة ــ أنها تتمثل فــى الأخــوة والمحبــة والتكافل ومساعدة المحتاجين ــ وكلها تساعد على الاستقرار الــذى يحتــاج إليــه المجتمع قبل كلّ شئ؛ وبهذا لن يحتاج الناس إلى الالتحاق بمذاهب أو مدارس لتعلّم هذا النوع من العلم مثل مدارس أثينا أو أيونيا(٥٩) ــ وهى المدارس التــى حاولــت من قبل أن تحل مشكلة الفرد فى المجتمع كما رأينا عنــد الــرواقيين والمتــشككين والأبيقوريين(٦٠) ــ فقد سبق أن رأينا نقاط الضعف فى هذه المدارس الفلسفية التــى لم تستطع أن تسدّ الفجوة بين الفرد والمجتمع.

ومن هنا نجد أن تلك المدارس كانت هروبية حيث أنها لجأت ــ إزاء عدم

---

(٥٩) Clement, op cit., XI. 87.

(٦٠) Cary & Scullard, op.cit., p. 482; Russell, Bertrand, op.cit., p. 243.

الاستقرار الذى أصاب المجتمع – للبحث عن وسيلة لفصم العلاقة بين الفرد والمجتمع.

وفى وسط هذه السلبية كان المناخ مُهيئاً لتعاليم المسيحية، فجاء المسيح المعلم بعلمه وعلَّم أتباعه القوانين، ولم يكن نشر تعاليم الله ونشر العلم مقتصراً على منطقة بعينها بل فى كلّ مكان من العالم، وقد أشار كلمنت إلى ذلك قائلاً: "إن العالم كله أصبح أثينا واليونان"(٦١)، وذلك على اعتبار أن اليونان كانت مركزاً للعلم والعلماء. ونلاحظ هنا أن كلمنت يضرب المثل بأثينا واليونان حتى بعد أن أصبحت الإسكندرية مركز الفلسفة والعلوم منذ أوائل القرن الثالث قبل الميلاد، بعد قيام المجمع (μουσειον)، ومكتبتها؛ لأن اللغة اليونانية ظلت لغة "العلم"، والثقافة، ومن هنا يمكن أن نقول إن كلمنت ينسب العلم إلى اليونان آنذاك بشكل مجازىّ.

لكن ما هو أهم أنّه يريد أن يغرى اليونان بالعقيدة الجديدة على أساس أنهم هم أهل العلم فلا يجوز أن يفوتهم العلم الإلهى الجديد الذى بشّر به السيّد المسيح، كما نلاحظ كذلك أن كلمنت يحشد – كعادته – كل إمكاناته ويعود إلى مصادر جمة لتوضيح تلك النقطة ومن ذلك عنده ذكره تعبيراً من شعر هوميروس – ذى المكانة السامية عند اليونان – أشار به إلى التمييز بين الإله والإنسان فى إشارة واضحة إلى تميّز ما هو إلهّى عما هو بشرى(٦٢) بما فى ذلك من إيحاء بـأنّ العلم يرفع الإنسان من مرتبة البشرية المتّدنية إلى الربط بينه وبين المرتبة الإلهية.

كما يستشهد كلمنت فى هذا المجال بما جاء فى النبوءات اليهودية إشارة إلى الكلمة (متضمنة معنى العلم والتعليم) "إن الكلمة هو الذى يمنحنا النور، هو أن ترغب فى ما هو أفضل من الذهب، والأحجار الثمينة، فهو أحلى من العسل

---

(٦١) Clement, op.cit., XI. 87.

(٦٢) "هكذا سوف تدركون جيداً مَنْ الله، ومَنْ الفانى".

"οφρι ευ γινωσκοις ημεν θεον ηδε και ανδρα".
Butterworth, op.cit., p. 240, note (c). c.f., Homer, Iliad. V. 128.

وقرص شمع العسل"[٦٣]، وبأفكار أفلاطون الذى وردت عنده نقطة التمييز هذه بين ما هو إلهّى وما هو بشرى عندما قال: "كيف يمكن أن نساعده فى رغبته هذا الذى أضاء العقل الذى كان فى الظلام و "أضاء نور عيون"[٦٤] الروح؟"

وفى النهاية يقول إن المسيح لم يكن مخلّصاً فقط، لكنه كان معلماً كذلك[٦٥]، وفى إشارة أخرى إلى العلم والتعليم كوسيلة تقدمها المسيحية للتوصل إلى الخلاص، يذكر كلمنت أنّ "المسيح نقل أتباعه بتعاليمه من الظلام إلى النور ومن الجهل إلى المعرفة"[٦٦]. فقد شبه كلمنت تعاليم المسيح بنور الشمس عندما قال: "إذا لم تشرق الشمس، فإن العالم، سوف يظل فى ظلام دائم"[٦٧]، فلولا تعاليم المسيح لما استطاع أحد أن يصل إلي الخلاص وبالتالى إلى الله، وقد انطبق ذلك على كلمنت نفسه فبعد أن كان فى ضلالة الوثنية اهتدى بتعاليم المسيح إلى الله كما تقول الآية:

"أغنيتك سوف تُرضينى، حتى الآن كُنت أُخطئ فى بحثى عن الله، لكن منذ أصبحت أنت أيها السيد نوزى الهادى، وجدت الله بواسطتك، وصلت إلى الأب

---

(٦٣) العهد القديم، المزمور ١٩، الآية ١٠. (عن) Clement, op.cit., XI. 87.
"أشهى من الذهب والإبريز الكثير وأحلى من العسل وقطر الشهد".

(٦٤) حيث قال: "إنه هو الذى أمر العيون أن تضئ".
Butterworth, op.cit., p. 240, note (c). c.f. Plato, Timaeus. 45 B.

(٦٥) نلاحظ اهتمام كلمنت بالمقارنة بين الطبيب والسيد المسيح، وبجانب ذلك نجد أنه كان مولعاً أيضاً بالمقارنة بين الطرق التى كان يتبعها المسيح فى جلب الخلاص للبشر، والطرق التى يستخدمها الطبيب فى علاج مرضاه. قائلاً إن الدواء لا يكون مستساغاً دائماً وأن مثل "تلك الأشياء المُرة التى لا يستسيغها الفم أشياء شافية ونافعة" (Clement, Protrep. X. 202 a). وفى الحقيقة تقترب الوسائل التى يستخدمها المسيح للخلاص من الخطيئة بدرجة كبيرة من تلك التى يستخدمها الطبيب والأهواء هى داء الروح، ولذلك يجب استئصالها. راجع: Dowed. Matthew. F., op.cit., p. 3.

(٦٦) Clement, op.cit., X. 75.

(٦٧) Butterworth, op.cit., p. 240, note (f) (Apud) Heracletus, Frag. 31, (Bywater), 99, (Diels).

على يديك، وأصبحت وريثاً وشريكاً معك"[٦٨] ـ بما يعنى وصلتُ إلى التعاليم التى تؤدى إلى الخلاص.

ثانياً: القدوة الحسنة:

وسوف أنتقل الآن إلى الوسيلة الثانية أو الطريقة الثانية التى ساعد بها السيد المسيح الناس على الخلاص، وهى القدوة الحسنة التى تصل عند اللزوم، إلى درجة التضحية حتى لو وصل ذلك إلى التضحية بالنفس. وفى هذه السبيل نجد السيد المسيح يمثّل قيمة التضحية أو القدوة الحسنة، فهو يعلّم ما ينبغى عمله للتوصل إلى الخلاص حتىً لو كانت النتيجة هى أن يضحى بحياته الدنيوية ثمناً لذلك.

ويحاول كلمنت أن يعّبر عن هذا المعنى، بطريقته اللاهوتية الخاصّة، حين يذكر أن السيد المسيح أراد أن يحرر الإنسان من قيوده، ولكى يفعل ذلك وضع نفسه فى شكل آدمى، واستطاع أن ينقذ الإنسان الذى أخطأ ووقع فى اللذة، وحرره مرة ثانية "بواسطة يديه الممدودتين"[٦٩]. "χερσιν ηπλωμεναις εδειξε

λελυμενον " ونلاحظ هنا أن كلمنت استخدم تعبير "الأيدى الممدودة" "χερσιν ηπλωμεναις"، الذى قد يحمل معنيين: المعنى المجازى وهو المساعدة الكاملة بكلّ ما فى وسع السيد المسيح، أو المعنى الحرفى وهو اليدان (بمعنى الذراعين) الممتدتين على الصليب، أى أنه يشير إلى صلب السّيد المسيح (حسبما جاء فى العقيدة المسيحية)، وهذه العبارة تحتاج كذلك إلى توضيح بسيط

---

(٦٨) العهد الجديد، رسالة بولس إلى أهل رومية، الإصحاح ٨، الآية٧،(عن) Clement, op.cit., XI. 88.

(٦٩) بالنسبة لكلمة (يديه الممدودتين)، نجد أن اللفظ اليونانى يعنى "بأيدٍ غير مفكوكة" لكن يدى المسيح الممدودتين على الصليب صورة مألوفة عند الآباء المسيحيين، وقد أشار لها القديس جستين الشهيد. St. Justin. I. Apol. 35، والقديس إيرينايوس St. Irenaeus. V. 17. 4. استخدمت هذه الكلمة كذلك (η πλυμενας) فى المزمور Psalm. XLV. P. 277. بمعنى (ويداه ممدودتان بطريقة ما على الصليب). راجع:

Buterworth, op.cit., p. 238. note (a).

يؤكد معنى التضحية: بمعنى أن يفقد السيد المسيح حياته الدنيوية (نتيجة للـصلب) فى سبيل تخليص حياة أتباع العقيدة من الخطيئة التى ارتكبوها وذلك حتى يـصلوا إلى الخلاص الكامل (مع العلم أن السيد المسيح ليس لـه أى دخـل فيمـا اقتـرف المذنبـون من خطايا ومع ذلك ضحّى بحياته فى سبيل خلاصهم). من هنا يظهـر أن الإنسان يكسب كثيراً باعتناقه المسيحية، فهناك مَنْ يضحى فى سـبيل خلاصـه بحياته الدنيوية، وهنا يقول كلمنت إن "السيد غاص لأسفل، بينمـا ارتفـع الإنـسان لأعلى"(٧٠).

ثالثاً: الإيمـــان:

وسوف أنتقل الآن إلى وسيلة أخرى يتحقق عن طريقها الخلاص فى الحياة الآخرة وهى الإيمان بالله تقوى الله(٧١) والالتزام بكلمته وهـذه الطريقـة (الوسـيلة) ضرورية للوصول إلى مملكة السماء. وتعد من أهم الطرق التى تؤدى إلى الحيـاة الأبدية أو الخلود (الخلاص). فإذا كان المجتمع يجرى فى البداية وراء العقلانيـات التى تتمثل فى آراء الفلاسفة، فبعد أن أصيب المجتمع بعدم الاستقرار فـى أواخـر القرن الأول الميلادى والقرن الثانى المـيلادى، نجـد عـودة الإيمـان بالأديـان والمعجزات مرة أخرى، عسى أن يجد فيها الناس ملاذاً مـن الظـروف القاسـية، فانتشرت بدرجة كبيرة عبادة الآلهة الشرقية مثل إيزيس وسيرابيس ومثرا وغيرهـا وشاعت الديانات التى تقدم لأتباعها مكافأة فى الحياة الأخرى، بالإضافة إلى الإيمان بالمعجزات وتفسير الأحلام(٧٢) كما رأينا فى مناسبة سابقة، والسبب فى ذلك عجـز الفرد عن أن يفعل شيئاً لإصلاح المجتمع، ومن ثم لجـأ إلـى الإيمـان بالغيبيـات والبحث عن قوة عليا من شأنها أن تقدم حلولاً للمواطنين، وتفعـل مـا لا يـستطيع هؤلاء أن يفعلوه إزاء الفوضى الضاربة بأطنابها فى المجتمع، ومـن ثـم جـاءت المسيحية لتقدم الحلول لعدم الاستقرار والفوضى، وكان الإيمان بالله وتقـواه أحـد

---

(٧٠) Clement, op.cit., XI. 86.

(٧١) Ibid., XI. 87.

(٧٢) Cary & Scullard, op.cit., p. 483.

الطرق للخلاص من الأوضاع غير المستقّرة فى المجتمع، وإذا كان الذين يؤمنـــون بالسحَّرة يلجأون إلى التعاويذ، فلماذا لا يلجأون إلى تعويذة الإيمـــان التـــى تقـــدمها المسيحية، بالإضافة إلى الآلهة الوثنية التى كان اليونان يؤمنون بها بشكل أو بآخر.

وإن كان هذا الإيمان قد تعرض للاهتزاز فى بعض الأحيان كما كانت الحـــال مثلاً عند بعض الشعراء الكلاسيكيين (يوريبيـــديس علـــى ســـبيل المثـــال) إلا أن العبادات الوثنية والأساطير المتصلة بها استمرت شائعة حتى بين المثقفين اليونـــان كما نعرف من كلمنت نفسه الذى توقف كثيراً عندها ــ ومن هنـــا يـــصبح حـــديث الإيمان وارداً بشكل قوى فى محاولة كلمنت لإقناع اليونان بالعقيدة المسيحية.

يقول كلمنت إن الله يساعد كل من يؤمن به ويتقيه حتـــى ولـــو كـــان إيمانـــه ضعيفاً، وهو يذّكرهم بنعم الله أو خيراته التى يهبها لكل عبد من عباده سواء أكـــان إيمانه ضعيفاً أم قوياً، فهو يذكر أن الله يمنحهم على ســـبيل المثـــال الأرض لكـــى يزرعوها، والماء لكى يشربوا منه، أو يبحروا فيه، والهواء لكى يتنفـــسوه، والنـــار لكى يقضوا بها حاجاتهم، والعالم ليسكنوا فيه، هذا بالإضـــافة للخيـــرات الأخـــرى الكثيرة التى يمنحها الله لعباده(٧٣).

وبذلك يكون الهدف الوحيد لله بالنسبة لهؤلاء الذين آمنوا به واتقوه هو إنقاذهم من الخطايا والذنوب وعبادة الأوثان، وهنا يقول كلمنت "أن غـــرض الله دائمـــاً أن ينقذ البشرية، ولهذا السبب نفسه أرسل الراعـــى الـــصالح(٧٤)، وينبغـــى أن يكـــون المقابل لهذه المساعدة التى يقدمها الله لعبده أن يلتزم بكلمته فيبتعد عـــن الـــشهوات وطرق الغواية، مثلما يُلقى أحد بزهرة فى مهب الرياح أو فـــى النـــار، وأن يلتـــزم بكلمة الله ويعمل ما تقتضيه الحكمة بكل جهده، ويسلم نفسه إلى الله، ويتبـــع تعـــاليم السيد المسيح حتى يستحق أن يدخل مملكة الـــسماء(٧٥)، ويـــصبح مـــن ســـكانها،

---

(٧٣) Clement, op.cit., XI. 88.

(٧٤) العهد الجديد، القديس يوحنا، الإصحاح ١٠، الآية ٢. (عن) Ibid., XI. 89.
"وأما الذى يدخل من الباب فهو راعى الخراف".

(٧٥) Clement, op.cit., XI. 90. 91.

ويحصل فيها على الخلود .

وفى النهاية فإن من يتبع هذه السبيل يصل إلى الخلاص، ويفوز بالمنحة التى يقدمها الله لعباده المخلصين، وهى رؤية الله، والأماكن المقدسة المباركة فى مملكة السماء، التى منها الجبل الطاهر المظلل بالأشجار المباركة[٧٦]، والملائكة يحملون المشاعل الجميلة[٧٧]، ويمارسون الطقوس المقدسة للكلمة ويغنون ترنيمة لمدح ملك العالم (الله)، ونلاحظ أسلوب الترغيب الذى اتبعه كلمنت مع الوثنيين؛ فهو يحاول أن يغريهم بالأشياء الجميلة التى سوف يرونها ويتمتعون بها إذا أطاعوا الله؛ بل يقول إن الأمر عند المنح التى يمنحها الله لعباده لكنه يساعدهم أيضاً فى الوصول إليه، حيث يشير كلمنت أنه سوف يرى الله، وذلك عن طريق المسيح فى قوله "بواسطة المسيح سوف تُبصر عينا الكفيف مرة ثانية"[٧٨]. وقد خصّ الله الإنسان بهبات ومزايا من أهمها العقل والخلود؛ وعن طريق العقل يستطيع الإنسان أن يميز بين ما هو خير له، وما هو شر له، ويصل إلى الخلود.

رابعاً: السلام:

السلام هو الوسيلة الأخيرة التى تنصح بها المسيحية، ويتحقق فى إطارها الخلاص؛ فبدون السلام لن يتحقق تماسك الأسرة، وبالتالى لن يتحقق تماسك المجتمع، وهما ــ أى الأسرة والمجتمع ــ اللذان ينبنى عليهما الخلاص فى الحياة الدنيا، فالوسائل السابقة كلها التى قدمتها المسيحية ــ وهى الأخوة والمحبة والإيمان ــ تدعو بالضرورة إلى السلام، أى أن السلام هو الهدف والإطار النهائى لتلك الطرق جميعاً وهو الطريق الموّصل إلى الخلاص.

وقد وجه كلمنت المجتمع إلى السلام وشجع عليه وفق ما ورد فى الآية التى تقول: "دعونا نطوّق أنفسنا بسلاح السلام، ونضع على صدورنا درع العدالة،

---

(٧٦) Ibid., XII. 92.

(٧٧) Ibid., XII. 92.

(٧٨) Ibid., XII. 92.

ونرفع درع الإيمان، ونضع على رؤوسنا خوذة الخلاص، دعونـا نـشحذ سـيف الروح وهو كلمة الله"[٧٩]. وقد قدمت المسيحية السلام كأحـد الحلـول أو الوسـائل للخلاص لما كان يسود المجتمع فى تلك الفترة مـن اضـطرابات كثيـرة بـسبب الحروب الأهلية والهجمات الخارجية على حدود الإمبراطورية، ومـن ثـم دعـت المسيحية إلى السلام فى محاولة للحد مما يعـصف بـالمجتمع مـن اضـطرابات وقلاقل، أى أنها دعوة لنشر السلام على المستوى المحلى، ثم على مـستوى العـالم بقولها إن من يتمسك بالسلام يصل فى النهاية إلى الخلاص.

ونلاحظ هنا استخدام كلمنت لمهارته اللغوية، فقد استخدم عدداً من التـشبيهات مثل استخدام كلمات درع، وخوذة وحجاب، وذلـك ليوضـح أن الإيمـان والعـدل والخلاص، إنما هى أسلحة قوية لمن يتسلح بها، حتـى يـستطيع أن ينجـو مـن الأخطار والمهالك التى تسببها له الوثنية، وأن من يلجأ إلى تلك الوسائل للوصـول إلى الله، فإن الله لا يتركه وحده بل يساعده فى الوصول إليه، وقد اعتمد كلمنت فى ذلك على ما ورد عند أشعيا، حين يقول: "حينئذ تدعو فيجيب الرب. تستغيث فيقول هأنذا"[٨٠].

وفى النهاية نلاحظ أن هذه الوسائل التى قدمتها المسيحية تعد مـشاركة مـن العقيدة الجديدة فى حل مشكلة عدم الاستقرار التى كانت سائدة فـى الإمبراطوريـة الرومانية فى القرن الثانى الميلادى، وكانت الفرصة مهيأة بالفعل لتقبل تلك العقيـدة الجديدة، ولم يدخر كلمنت وسعاً فى دعوته بل تسلح بالأدوات كافة ولجأ إلـى كـل وسيلة من شانها أن توصله إلى هدفه.

وهكذا جمع فى ردوده على الوثنيين وفى دعوتـه للمـسيحية، بـين التفكيـر العقلانى ـــ الذى تميّزت به الفلسفة اليونانية واتبعه المثقفون اليونان ـــ مـن جهـة

---

(٧٩) (عن) Clement, op.cit., XI. 90.
العهد الجديد: رسالة بولس الرسول إلى أهل إفسوس، الإصحاح ٦، الآيات ١٤: ١٧؛
العهد الجديد: رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكى، الإصحاح ٥، الآية ٨.

(٨٠) العهد القديم: أشعيا، الإصحاح ٥٨، الآية ٩. (عن) Clement, op.cit., XI. 9.

والإيمان ـــ الذى يتبعه المثقفون فضلاً على العامة ـــ من جهة أخرى.

(جـ) الخلاص وفكرة المعرفة:

وأصل الآن إلى مفهوم المعرفة كجانب آخر من جوانب الخلاص وسيكون ذلك فى عدة نقاط، فى البداية سأتكلّم باختصار عن المعرفة قبل ظهـــور المـــسيحية وأتعرض بالضرورة إلى ظاهرة الغنوصيّة التى هى نوع خاص من المعرفـــة ثـــم أتحدث عن المعرفة من حيث التعريف بأصل الكلمة ومعناها وتطورها، ثـــم انتقـــل بعد ذلك للحديث عن المسيحية والمعرفة قبل كلمنت وفى النهاية سوف أتحدث عـــن المعرفة فى فكر كلمنت.

تمهيد: المعرفة والغنوصية:

وأعرض هنا بشكل مختصر لأصل كلمة غنوصية[٨١] وتطورها قبل العـــصر المسيحى؛ فأقول إن كلمة (غنوصية) جاءت من الفعل اليونانى (γνωσκω) الـــذى يعنى المعرفة[٨٢]، والغنوصية تختلف عن المفهوم العام لكلمة معرفة التى تعنـــى أن إلمام الإنسان بأى شئ أو أى علم من العلوم المختلفـــة؛ لأن المعرفـــة الغنوصـــية تختصّ بمعرفة الطريق الذى يوّصل إلى الله، ومن يمهر فى هذا النوع من المعرفة يستطيع بذلك أن يصل إلى الله ومن ثم إلى الخلاص، ويمكن لبعض الأشـــخاص أن يحصلوا على المعرفة عن طريق الوحى أو الإلهام مباشرة فى حين لا يصل إليـــه آخرون إلا عن طريق ممارسة بعض الطقوس السرية[٨٣]، وقد ظهرت الغنوصـــية نتيجة تضارب الأديان فى تلك الفترة من ناحية، ولانتشار المدارس الفلـــسفية مـــن ناحية أخرى.

وأخذت من الأديان جوهرها وهو الإيمان بفكرة الإله، وأخذت من فلـــسفة

---

(٨١) The Coptic Encyclopedia, V. 4, p. 1147-8; *The Encyclopedia of Religion*, Article Gnosticism; Kraft. H., op.cit., p. 25.

(٨٢) رأفت عبد الحميد: المرجع نفسه، ص ٤٩.

(٨٣) Malaty. Tadros, op.cit., p. 124.

فيلون العبرى الجانب التصوفى فى الوصول إلى المعرفة الإلهية[٨٤]، وحالياً نجد عدداً من الآراء تشير إلى أن أصل الغنوصية يرجع إلى أسس يهودية هللينستية[٨٥].

ويذهب أحد هذه الآراء[٨٦] إلى "إن الغنوصية كانت مجرد نوع من الفكر الدينى الخاص (صفوة الفكر الدينى)، الموجود فى الدوائر الفلسفية اليهودية والوثنية، وقد كان هذا الفكر منتشراً أيضاً بين المسيحيين الذين زعموا إلمامهم بنوع خاص من المعرفة يمكنه أن يُحدث انقلاباً فى التفكير الخاص بإدراك الوجود[٨٧]، ويذهب رأى آخر إلى أن "الغنوصية يمكن رؤيتها على أنها طريقة خاصة فى فهم الدين والفلسفة وليست جزءاً من الأفكار أو التعاليم الدينية أو الفلسفية[٨٨]".

وقد ظهرت الحركة الغنوصية فى البداية كمدرسة (أو كمدارس) ضمن فكر الكنيسة، حيث حاولت وضع حلول جادة لمشكلة ترجمة الإنجيل، وطريقة العبادة الصحيحة، وبعد فترة قصيرة اشتدت قوتها فى المراكز المسيحية الرئيسة كلها، وبنهاية القرن الثانى الميلادى، أصبحت الغنوصية أكثر الأفكار انتشاراً، وبذلك أكون قد استعرضت بشكل سريع أصل كلمة غنوصية.

---

(٨٤) مصطفى العبادى: المرجع السابق، ص ص : ٢٣٣-٢٣٤.

(٨٥) رأفت عبد الحميد: الفكر المصرى فى العصر المسيحى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠، ص ٤٩.

(٨٦) Daley. Brain. E., The Hope of The Early Church, Cambridge, 1991, p. 25.

(٨٧) Ibid., p. 25.

(٨٨) Ferguson, John, Clement of Alexandria, Twayne Publishers, N.Y. 1974, p. 38.
، ومصطفى العبادى: المرجع نفسه، ص ٢٣٣.

أولاً: الغنوصية قبل العصر المسيحى:

وسوف أنتقل الآن للحديث عن تطور الغنوصية قبل العصر المسيحى قائلة إن اليهودية عرفت الغنوصية[٨٩] إذ المعرفة عند اليهود تعنى معرفة الـرب. ويعنـى ذلك بالنسبة لهم الاعتراف بأن يهوا إله، وأنهم يدركون أعمال هذا الإله.

وقد وردت كلمة المعرفة كذلك عند أفلاطون[٩٠] ولكن ليس بهـذا المعنـى، إذ استخدم المعرفة فى الوصول إلى حقيقة الوجود وخالقه[٩١]، وقد ظهر ذلك فى كتابه "السياسى" (πολιτικος) وكان التكنيك الغنوصى أو فن المعرفة عنده مخالفاً لكل ما هو قابل للممارسة، وهو يعد السياسة المثالية أساساً للفن الغنوصى أو لفـن المعرفة، وقد فسّر الأفلاطونيين الغنوصية بأنها وسيلة يحول بها الإنـسان انتباهـه نحو الداخل، باللجوء إلى الإدراك العقلى والعاطفى. وبدلاً من أن تكـون المعرفـة خارجية أداتها العقل تصبح داخلية عن طريق الروح ولأن الروح نقيـة بـالفطرة؛ فهى وسيلة جيدة للمعرفة ومن ثم لا نحتاج للعقل والإدراك، فالروح تظل كما هـى فى معظم الحالات ولا تتغير حتى نهاية العالم[٩٢]. وكانت فكرة الأفلاطونيون هـى أن الإله مجهول وأن الشخص العارف هو الذى يصل إلى أن الله مجهـول. ولكـى ندرك الإله يجب على هذا الإله أن يعلن عن نفـسه، وهكـذا تـصبح الغنوصـية الأفلاطونية معرفة وجدانية تلقائية عن طريق الوحى أو الإلهـام[٩٣]. وهـى تـدور حول محورين: أحدهما العلم الذى يستطيع الإنسان من خلاله أن يعرف نفسه وذلك بتحويل انتباهه إلى الداخل، والثانى: هو تغليب الجانب الروحـانى علـى الجانـب المادى فالروح عندما تكون نقية تستطيع أن تصل إلى الله.

---

(٨٩) رأفت عبد الحميد: المرجع نفسه، ص ٤٩.

(٩٠) Broke. R. Van Den, Religions in The Graeco-Roman World, Netherlands, 1996, p. 185.

(٩١) Plato, Politicus, 258 e- 267 a.

(٩٢) Russell, Bertrand, op.cit., p. 266.

(٩٣) Malaty. Tadros, op.cit., p. 125.

أما بالنسبة لفكرة الرواقيين عن المعرفة فهي على النقيض من فكرة الأفلاطونيين عنها إذ ذهب الرواقيون إلى أن الإنسان يمكن أن يعرف نفسه ولكن بنظرة خارجية هذه المرة لعناية وتناسق الكون وإلى أن الإنسان جزء من هذا الكل[٩٤]، أي أن فكرة الرواقيين عن المعرفة تدور حول العلم، الذي يستطيع الإنسان من خلاله أن يعرف نفسه عن طريق النظر في الكون وتناسقه وإدراك الإنسان أنه جزء من هذا الكون.

أما المتشككون فكانوا على عكس المذهبين السابقين حيث أثبتوا أن الإنسان لا يمكن أن يثق بمعرفته لأي شئ، خاص بالإله، ويجب أن يعترف بأن قدرته على المعرفة تتوقف قبل هذا الحد. أي أن فكرة المعرفة عند المتشككين قائمة على العلم أيضاً لكنهم إلى جانب ذلك يشكّون في هذه المعرفة سواء فيما يتعلق بمعرفة الإنسان لنفسه أو معرفته بالله.

وثار جدل بين المدارس الغنوصية حول العلاقة بين العالم الروحي، والعالم الماديّ واتفقت معظم المدارس الغنوصية على أن أصل المادة ينسب إلى إله الخير[٩٥]، في حين اتفقت بعض المدارس الأخرى على بغض المادة، وربما يرجع السبب في ذلك لأفلاطون؛ فقد تأثر به الغنوصيون في نواحي كثيرة منها كراهية الأشياء المادية، وعدم نسبتها إلى الله[٩٦]، وعلى هذا اعتقد أصحاب هذه المدارس الغنوصية أنّ الأشياء الموجودة في الكون جميعاً مثل الشمس والقمر والنجوم أشياء خلقتها روح شريرة، وأن روح الإنسان فقط هي التي تنسب إلى الله، وكانوا يعتقدون أن هناك خالقاً لهذه الموجودات جميعاً، وقوة أخرى عظمى مؤلهة لكنها مجهولة.

---

(٩٤) Ibid., op.cit., p. 125؛ وعن الأفكار الرواقية راجع: رأفت عبد الحميد، المرجع نفسه، ص ص ٤٧، ٤٨.

(٩٥) Malaty, op.cit., p. 129؛ وحنا الخضري: تاريخ الفكر المسيحي، المجلد الأول، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨١، ص ٤٧٥.

(٩٦) Russell, Bertrand, op.cit., p. 295.

ثانياً: المسيحية والغنوصية قبل كلمنت:

بعد أن قمت بتقديم عرض سريع عن أصل الغنوصـــية وتطورهـــا قبـــل العصر المسيحى انتقل الآن للحديث عن نقطة ثانية وهى المسيحية والغنوصية قبـــل كلمنت.

تميزت الفترة السابقة لظهور كلمنت بظهور عـــدد كبيـــر مـــن المحـــاولات الغنوصية فظهرت الغنوصية المصرية والغنوصـــية الهرمـــسية، بالإضـــافة إلـــى الغنوصية التى ظهرت فى العصر المسيحى المبكر بما فى ذلك محـــاولات الآبـــاء السكندريين قبل كلمنت. وسوف أبدأ بالحديث عن الغنوصية المصرية، التى كانـــت نزعة فلسفية دينية صوفية معاً، وكان شعارها الأول طلب الكمال والسمو إليه.

وتتمثل طريقة الوصول إلى ذلك عند الغنوصيين المصريين فى معرفة أصـــل الإنسان ونموه وتطوره وما يئول إليه فى النهاية، بوصفها سبيلاً لمعرفة الله وكنهـــه حتى يصل العارف إلى حالة من التوافق مع ذاته ويحقق النجاة والخلاص لنفـــسه، ومن هنا صارت المعرفة محور ارتكاز الفلسفة الغنوصية فى مفهومهـــا المـــسيحى فى مصر(٩٧)، واعتقد أتباع الغنوصية أن ظهور المسيحية على الأرض فى صورة مادية لم يكن ظهوراً حقيقياً(٩٨)، وإنما كان هذا الجسد خيالاً حل به الـــروح القـــدس من الرب بعد التعميد، وأن ظهور المسيح كان وقتياً من أجل تحرير الفكر ــ الـــذى هو جزء من التكوين الإنسانى ــ من الشرور المحيطة به وهى الجسد أو الكامنـــة فى الجسد كالشهوة والطمع والحقد ومغريات الحياة الدنيا كافة، ولهذا ترك الوصـــايا للعارفين بأسراره من أجل تخليص البشر من شرور أجـــسادهم حـــسبما أوصـــاهم المسيح(٩٩). كانت تلك النظرية العامة للفكر الغنوصى المصرى والتى يظهـــر لنـــا

---

(٩٧) محمد عبد الفتاح: المتغيرات التاريخية فى مصر خلال القرنين الثالث والرابع الميلاديـــين، وأثرها فى الفن المصرى (دراسة حضارية)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كليـــة الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٨، ص ١٠٧.

(٩٨) حنا الخضرى: المرجع نفسه، ص ٤٧٤.

(٩٩) محمد عبد الفتاح: المرجع نفسه،ص ١٠٧، وراجع أيضاً: رأفت عبد الحميد، المرجع نفسه،

أنّها تدور حول محورين:

أحدهما هو العلم الذى يوّصل الإنسان إلى معرفة نفسه والثـانى هـو تغليـب الجانب الروحى على الجانب المادى فى الوصول إلى الله.

وإلى جانب الغنوصية المصرية ظهر نوع آخر من الغنوصية هو الغنوصيـة الهرمسية(١٠٠)، وقد عُرفت ببساطة بأنها معرفة من الله(١٠١)، وأن الله أيضاً يرغـب فى أن يعرفه أذكى مخلوقاته وهو الإنسان(١٠٢)، وبذلك يكون الإله فى النهايـة هـو الذى منح الإنسان بعض القوة والتحرر، وأطلعه على سر من أسـراره (إذ أصـبح ممكناً له أن يرى الإله)(١٠٣) ونحن لا نتعلم أسرار الروح "ولكننـا نتلقاهـا مـن الله عندما يرغب هو فى ذلك"(١٠٤) وقد اهتمت الهرمسية كذلك بمعرفة الإنسان لنفـسه، فهناك مقولة تنسب إلى هيرميس المعظم ثلاثاً (تريسميجيستوس) (Trismegistos) يقول فيها إن "الذى يعرف نفسه، يعرف الجميع"(١٠٥)، ومعنى معرفة الإنسان لنفسه أنه عندما كان روحاً كان محبوباً من الطبيعة ثم وقع فى الجـسد المـادى، ولكـى يصبح محبوباً من الطبيعة مرة أخرى عليه البحث عن الناحية الروحية والـتخلص

ص ٥٠ ؛ ومنسى يوحنا: تاريخ الكنيسة القبطية المرقسية، ١٩٨٣، ص ٢٠.

؛ Griggs, *Early Egyptian Christianity from its Origins to 451.* C.E, Leiden, 1993, p. 45.

(١٠٠) ظهرت الهرمسية فى القرن الثانى الميلادى؛ وهى تنسب إلى هـرمس – تحـوت الإلـه المصرى للحكمة والفنون، أما بالنسبة للمؤلفات الهرمسية فهى ترجع إلى أواخـر القـرن الرابع الميلادى وتحتوى على اللاهوت المصري والفلسفة المصرية، وترجمت من اللغـة المصرية إلى اللغة اليونانية على أيدى كهنة مصريين تعلموا اليونانية. راجع: نجيب بلدى: تمهيد لتاريخ مدرسة الإسكندرية وفلسفتها، دار المعارف بمصر، ١٩٦٢، ص ٩٧.

(١٠١) Fowden. Garth, *The Egyptian Hermes. A Historical Approach to the Late pagan mind, Princeton University, Princeton*, New Jersy, 1993, p. 104.

(١٠٢) Ibid., p. 104.

(١٠٣) Ibid., p. 104.

(١٠٤) Ibid., p. 104.

(١٠٥) Malaty, p. 125.

من خطايا الجسد، ونلاحظ هنا فى وضوح التأثير الأفلاطونى فيما يتعلق بمسألة الخلاص؛ وكيف يجب على النفس التى سقطت فى العالم المادى أن تبذل أقصى ما تستطيع للصعود للعالم العلوى مرة أخرى وذلك بالخلاص من شرور الجسد والابتعاد عن العالم المادى[١٠٦]. وبذلك أكدت الغنوصية الهرمسية على معرفة الله والمعرفة الذاتية[١٠٧].

هكذا نجد أن النظرية الغنوصية الهرمسية تعتمد على التأمل الذى يوصل إلى الله، ومن ثم إلى الخلاص، وهو مسألة تشمل جانبين: رغبة الإنسان فى الوصول إلى الله، ورغبة الله فى أن يعرف الإنسان بنفسه. كذلك نجد تغليب الجانب الروحى على الجانب الجسدى حتى يصل الإنسان إلى النقاء اللازم للاتصال بالله.

وقد انتشرت الغنوصية بشكل كبير منذ القرن الثانى الميلادى، وكانت الإسكندرية من أكثر مراكزها أهمية[١٠٨]. إذ ظهر فى الإسكندرية أعظم أساتذة الغنوصية وهم باسيليديس، وكاربوكراتيس، وفالنتينوس[١٠٩].

وكان باسيليدس[١١٠] من أشهر الكتاب الغنوصيين. وكانت طريقته فى الوصول إلى المعرفة ومن ثم إلى الخلاص، وتعاليمه عن الإله السامى الكامل[١١١]

---

(١٠٦) رأفت عبد الحميد: المرجع نفسه، ص ٤٦.

(١٠٧) Malaty, op.cit., p. 125؛ Fowden, Garth, op.cit., Vol. I, p. 105.

(١٠٨) وصلت الغنوصية فى الإسكندرية إلى أقصى ازدهارها فى عهد الإمبراطور هادريان، راجع:

Tollinton, R.B., op.cit., Vol. I, pp. 33, 43.

(١٠٩) Ibid, pp. 38-40.

; Valentine, Pierre, op.cit., p. 31.

(١١٠) كان باسيليديس رجل دين، ومن الغنوصيين المعروفين فى القرن الثانى الميلادى فى الإسكندرية، كما أشار القديس إيرينايوس. راجع: حنا الخضرى، المرجع نفسه، ص ٤٧٧؛ محمد عبد الفتاح: المصريون والمسيحية، ص ص ٦١، ٦٢.

; Grant. R.M., *Gnosticism and Early Christianity,* New York, Columbia University Press, 1959, p. 13.

(١١١) منسى يوحنا: المرجع نفسه، ص ص ٥٤، ٥٥؛ وحنا الخضرى: المرجع نفسه، ص

أنه كان يستخدم المادة الإنجيلية إلى جانب الطقوس السرية التى يزعم أنـــه أخـــذها من القديسين بطرس ومتى، واعتمد أيضاً على عناصر من الفلــسفة الأفلاطونيـــة، وكان يلجأ إلى السحر بطريقة مباشرة للوصول للمعرفة والوصول للخـــلاص عـــن طريق عدة مراحل أولها تنقية الروح من أدران العالم المادى، بطريقة تمكنها مـــن أن تسمو إلى مملكة الروح بعد ذلك، ثم يصل الإنسان إلى المرحلة الثالثة والأخيرة وهى الكمال وعندئذ يفوز بالخلاص.

أى أن باسيليديس كان يعتمد على التعاليم الإنجيلية إلى جانب عناصر فلــسفية أفلاطونية ورواقية وبالإضافة إلى ذلك اســتعان بعناصـــر أخـــرى غيـــر هـــذين العنصرين هما: الطقوس السّرية، والسحر، وكان الوصول إلى الله (الخلاص) عنده يأتى على مراحل.

أما كربوكراتيس (Carbocrates)(١١٢) فقد اتجه فى تفــسيره للمعرفـــة إلـــى الإيمان؛ فالمعرفة يتم التوصل إليها عن طريق التفسير الغيبى(١١٣) للأشياء ونخـــرج من هذه التفسيرات بأن العالم وما به من أشياء يرجع إلى الإله (الـــرب) الـــذى لـــم يولد(١١٤).

وبالنسبة لفالنتينوس(١١٥) فقد جمع فى نظريته عن المعرفة، بين ما اكتسبه مـــن

٤٧٧؛ ومحمد عبد الفتاح: المصريون والمسيحية حتى الفتح العربى، الإسكندرية، ٢٠٠١، ص ص ٦٢، ٦٣.

(١١٢) هو أحد المعلمين الغنوصيين الذين ظهروا فى القرن الثانى الميلادى وهو شخصية مجهولة إلى حد ما عند المؤرخين من حيث أصله وحقيقة تعليمه، راجـــع: محمـــد عبـــد الفتـــاح: المصريون والمسيحية، ص ٥٥.

Tollinton, op.cit., Vol. II, p. 40.

(١١٣) محمد عبد الفتاح: المرجع نفسه (الرسالة)، ص ١١٠؛ ومنسى يوحنا: المرجع نفسه، ص ٥٥.

(١١٤) محمد عبد الفتاح: المصريون والمسيحية، ص ٥٨.

(١١٥) ويعد فالنتينوس من ألمع الشخصيات فى عصره. راجع: Malaty, op.cit., p. 146 ؛ محمد عبد الفتاح: المصريون والمسيحية، ص ص ٦٦، ٦٧.

دراسته للفلسفة اليونانية والغموض[١١٦]، وكان نقاء الروح عنده السبيل للوصـــول إلى الخلاص، وهو يقّسم البشر إلى ثلاث طبقات: العليـا تـصل إلـى الخـلاص، والوسطى إلى مرتبة متوسطة، والسفلى تهلك، أى أن فالنتينوس يعتمد بشكل كبيـر على نقاء الروح من أجل الوصول إلى المعرفة ومن ثم إلى الكمال، ولكـي يـصل إلى هذا الكمال يكون المؤمن قد مر بعدد من المراحل الصعبة، لذلك يجب عليه أن يعرف كل شئ ويتخطى كل شئ حتى يصل إلى مستوى المتعلمين فيتعرف علـى الأسرار جميعاً إذ الوصول إلى المعرفة لا يكون إلا عن طريق المعرفـة والزهـد والتقشف، وهو بذلك يتخطى مرحلة الحياة الدنيا. وهكـذا نجـد فـالنتينوس يهـتم بالتركيز على دور التعلّم ودوره المهم، إلى جانب عناصر أخـرى مثـل عقلانيـة الفلسفة اليونانية والإيمان بالغيبيات التى يتعرّف من خلالها على أسـرار الوصـول إلى الله، كما أن الخلاصّ عنده يكون نتيجة لمرور الإنسان بعدة مراحـل صـعبة، ولهذا فمن غير الممكن لكلّ الناس أن يصلوا إلى الخلاص.

وجملة القول أن الغنوصية انتشرت فى الفترة السابقة لظهور كلمنت انتـشاراً واسعاً مما كان له أثر كبير على طريقة التفكير، ودعا الآباء المسيحيين، إلى توجيه انتباههم لها، لأن الغنوصية كانت تهدد تعاليمهم[١١٧].

ولذلك حاربوها بضراوة [١١٨]؛ حاربها القديس إيريناوس فى كتاباتـه وكـان معظم ما كتبه فى مؤلفه "الهرطقات المختلفة "Adversus Haereses" هجوماً على تلك الجماعة إذ حلل ناقداً هذه التعاليم كلها، وخاصة التعاليم التـى تتعلـق بنظـرة الغنوصيين للمسيح[١١٩].

---

(١١٦) منسى يوحنا: المرجع نفسه، ص ٥٦؛ Broke. Van Den., op.cit., p. 185

(١١٧) Bell. David. N., *A cloud of witnesses, Michigan*, 1989, p. 29.

(١١٨) حنا الخضرى: المرجع نفسه، ص ٥٠٦؛ Buell. Denise, Kimber, *Making Christians*, U.S.A., 1999, p. 9, n. 16, p. 80.

(١١٩) حنا الخضرى: المرجع نفسه، ص ٤٣٤.

ثالثا: الغنوصية فى فكر كلمنت:

كان كلمنت من أكثر المهتمين بالغنوصية[١٢٠] كإحدى وسائل الوصـــول إلـــى الخلاص، ولكن فى الفترة التى ظهر فيها كلمنت والتى سبقته منذ ظهور المـــسيحية أى فى القرنين الأولين من الميلاد كانت كلمة "غنوصية" تطلـــق علـــى الهراطقـــة، وحمل عدد كبير من الهراطقة اسم "الغنوصيين"[١٢١]، واعتقد هـــؤلاء الهراطقـــة أنّ المعرفة (الغنوصية) هى الطريقة الوحيدة للخلاص، وكـــان كلمنـــت مـــن الآبـــاء السكندريين الذين واجهوا تلك الهرطقة الغنوصية[١٢٢]؛ وقد حاول هؤلاء الآبـــاء ــ ومن بينهم كلمنت ــ التصدى لها لا بمهاجمتها وحسب، بل بمحاولة إعطـــاء فكـــرة جديدة عن "المعرفة" وذلك بتنقيتها وتهذيبها من الأعمال اللا أخلاقية، وتنقيتها كذلك من النظريات المعقدة، إذ كان كلمنت يعتقد بأهمية المعرفة وتأثيرهـــا علـــى عقـــل المجتمع المسيحى وتعهد بالدفاع عن هذه المعرفة من أجل الكنيسة موضحاً العلاقـــة بين الإيمان والمعرفة، وذاكراً أنّه إذا آمن الإنسان، فإن هذا الإيمان ســـوف يدفعـــه للبحث عن المعرفة[١٢٣].

وكان كلمنت يعتمد على الإيمان فى الوصول إلى الله ومن ثم إلى الخـــلاص، وعلى الرغم من أنه آمن بضرورة التلازم بين العلم والإيمان فـــى التوصّـــل إلـــى الخلاصّ، إلا أنّه فضّل الإيمان (ηπιστις) علـــى العلـــم والمعرفـــة (γνωσις)، وهكذا جعل للإيمان الأولوية فى دخول المسيحية[١٢٤].

بالإضافة إلى ذلك نجد أن كلمنت يشير إلى أنه حتى يصبح الإنسان غنوصـــياً

---

(١٢٠) Tollinton, op.cit., Vol. II, pp. 63-64; Ferguson. John, op.cit., p. 370. ; Chadwick, Early Chruch, London, 1974, p. 30.

(١٢١) Buell. Denise, Kimber, op.cit., p. 12.

(١٢٢) كان لكلمنت موقف عدائى من الغنوصيين. راجع: Tollinton, op.cit., Vol. II, pp. 35, 36, 47, 50.

(١٢٣) Kraft. H., op.cit., p. 40.

(١٢٤) محمد عبد الفتاح: المصريون والمسيحية، ص ٨٩.

كاملاً[١٢٥] لابد أن ينقى روحه أولاً، ثم يتبع التعاليم الصالحة بعد ذلك وعندما تتوفر تلك الصفات فى إنسان يكون بذلك غنوصياً كاملاً، لكـن إذا فقـد أحـدها تـصبح غنوصيته ناقصة، ويعتقد كلمنت أيضاً أنه يمكن للغنوصيين أن يحصلوا على نـوع من الكمال بينما يعيشون هنا فى هذا العالم، إذ يستطيعون بفضل الإله أن يـصبحوا أشباه المسيح، كما أكد أيضاً على أنه لا يوجد إنسان كامل (بالمعنى المطلق للكمال) أى أنه لا يمكن لبشر أن يصل إلى درجة الكمال مثل السيد المسيح، لكـن الكمـال الغنوصى عند كلمنت فى حالة الإنسان العادى يكون بإتباع التعاليم التى ذكرها مـن قبل، وهى تنقية الروح باتباع التعاليم الصالحة، كما أكد على أن الغنوصية تهتم بأن نعرف الله، وأن نرى الله، وأن نصل له[١٢٦] ولن يكـون وذلك إلا بـالتحول عـن الجسد ورغباته إلى الناحية الروحية[١٢٧] وهو يشير إلى أنّ هذه المعرفة تـأتى فـى النهاية من الأب (الله) عن طريق الابن (المسيح) والأرواح النقية هى التى تـستطيع أن تحصل على المعرفة من المسيح، والغنوصى الحقيقى هو الـذى يرغـب فـى المعرفة، ويكافح من أجل عمل الخير[١٢٨]، وأتباع تعاليم الإله للوصـول للخـلاص فى النهاية.

وقد اهتم كلمنت كذلك بالعلم كأحد الوسائل الموصلة للمعرفة الغنوصية، ومـن الموصلة إلى الله ثم للخلاص، وربما يرجع السبب فى اهتمامه بالعلم والمعرفة إلـى

---

(١٢٥) وحول الوصول إلى المعرفة الكاملة (التامة) عند كلمنت؛ راجع: Kraft. H., op.cit., p. 42.

(١٢٦) Malaty, op.cit., p. 155, note (109). c.f. Clement, Protrep. 106: 3; 113: 3.

(١٢٧) Kraft. H., op.cit., p. 42.

، يرى كلمنت أيضاً أن أفضل المسيحيين هم العارضون وهم الذين يتغلبون على شـهواتهم ويتغلبون حتى على المرض، فالعارضون الحقيقيون عنده هم الذين إذا مرضوا توجهوا إلى الله بالصلاة من أجل أن يشفيهم دون الحاجة إلى استشارة الطبيب. راجع:

Dowd. Mathew. F., op.cit., p. 7.

(١٢٨) رأفت عبد الحميد: المرجع نفسه، ص ١١٣.

دراسته للعلوم والفلسفات اليونانية التى كانت تهتم بالمعرفة بدرجة كبيرة(١٢٩).

وكان يعتمد على الفلسفة اليونانية كأحد العوامل الأساسية فى الوصـــول إلـــى المعرفة الحقيقية ويرى أن الفلسفة لم تكن مجرد تمهيد للمسيحية فقط، بل هى عامل مهم فى فهمها فهماً عقلانياً أيضاً.

وعرض كلمنت فى هذا الجانب كذلك لنوعية المعلم عرضاً جمـــع فيـــه بـــين التعليم العقلى والروحى حيث جعل المعلم بالنسبة لتلاميـــذه بمثابـــة الأب بالنـــسبة لأبنائه فهو الذى يعلم وينصح ويرشد ويساعدهم فى الوصول إلـــى الحقيقـــة التـــى ستؤدى بهم فى النهاية للخلاص، كما تكلم كذلك عن نوعية المـــتعلم وأشـــار إلـــى أهمية استمرار التعليم الروحى والعقلى للمسيحيين كلهم بطبقاتهم كافة. وهو يـــشبّه المسيحيين الذين تم تعميدهم بالأطفال المحتاجين رعاية ثابتـــة مـــستمرة بواســـطة التعليم والتدريب من المعلم (παιδαγογος) فهو يقـــول "التعلـــيم هـــو تـــدريب الأطفال"(١٣٠).

وهنا يمكن أن نستنتج أن هؤلاء الذين يدعوهم الكتاب المقدس" أطفالاً، إنما هم بالنسبة للغنوصية هؤلاء الذين على درجة بسيطة من الإيمان المسيحي.

وقد سيطرت الرواقية فى هذه النقطة إذ ميَّزت بين الروحيين والماديين، فـــى حين ميّز كلمنت بينهما ولكن لا كطبقتين منفصلتين بل كان يعد المسيحيين جميعـــاً محتاجين إلى التعلم باستمرار، ولا يمكن أن يكـــون إنـــسانٌ عارفـــاً كـــاملاً مثـــل المسيح(١٣١). أى أن كلمة أطفال عند كلمنت تعنى هؤلاء الذين تم تخليصهم وولـــدوا من جديد بواسطة التعميد(١٣٢)، ويقول كلمنت فى كتابـــه "المعلـــم" "παιδαγογος"

---

(١٢٩) Buell. Denise. Kimber, op.cit., p. 52؛ وقد كان كلمنت يهتم بالفلـسفة بدرجـة كبيرة فهو يرى أن الفيلسوف صديق مقرب له بالنسبة للهراطقـة؛ راجـع: Tollinton, op.cit., Vol. II, p. 35.

(١٣٠) Malaty, op.cit., p. 132.

(١٣١) Ibid., p. 131.

(١٣٢) Ibid., p. 136.

كن معمداً، نحن تمت إنارتنا، وعندما تمت إنارتنا، أصبحنا أبناء، وعندما أصبحنا أبناء، أصبحنا كاملين، وعندما أصبحنا كاملين، أصبحنا خالدين(١٣٣).

ونلاحظ أن مصطلح الطفولة عند كلمنت هنا يعنى الطفولة الروحية لا الطفولة بمعناها المعتاد وهو يعنى موسم الربيع مدى الحياة، حيث تكمن الحقيقة بداخل الإنسان إلى ما لا نهاية، ولذلك شبّه كلمنت المسيحيين بالأطفال لأنهم يمتازون دائماً بالحيوية والبراءة، ويقول إن الله ينظر لهم على أنهم أطفال أبرياء. كما أن المعلم أطلق اسم "الصغار" أيضاً على المسيحيين، وهذا يعنى أنهم أكثر استعداداً للخلاص من الدينيين الذين يظنون أنهم حكماء(١٣٤).

ولهذا يجب أن ندرك أن صفة "صغار" لا تستخدم بمعنى نقص الذكاء، فالصبيانية هى التى تعنى ذلك، لكن "الصغار" تشير هنا إلى الطفولة التى هى البساطة والحقيقة كما أن هذا الاسم لم يقتصر أيضاً على معنى البساطة والبراءة والحقيقة وإنما يحمل أيضاً كثيراً من الصفات الحميدة.

وقد اهتم كلمنت بالغنوصية وخصص كثيراً من كتاباته للهجوم عليها، إذ وجد أنها تتعارض مع المقومات الأساسية للمسيحية، وقد ميّز بين ما يسميه بالغنوصية المزيفة والغنوصية الحقيقية(١٣٥)، وكان يدرك جيداً خطر الغنوصية المزيفة على المسيحية لأن تعاليم هذا النوع من الغنوصية تنادى بعدم إمكان التوفيق بين العلم والإيمان، أما كلمنت فكان يعتقد على العكس من ذلك أن المؤمن الحقيقى ما هو إلا ثمرة انسجام الإيمان والمعرفة، كما أكد على أن الفلسفة والعلم خادمان للإيمان، وكان هدفه محدداً وواضحاً فى هذه النقطة، فهو يعترف تماماً بأهمية العلم والمعرفة القائمة على الفرض والاستنتاج والواقع والمنطق الفلسفى، لكنه ربط ذلك ربطاً وثيقاً بالإيمان الروحى المجرد تماماً من الأهواء الشخصية.

---

(١٣٣) Malaty, op.cit., p. 132, note (24) (Apud). Clement, παιδαγογος.1: 6: 26: 1.

(١٣٤) Malaty, op.cit., p. 133.

(١٣٥) رأفت عبد الحميد: المرجع نفسه، ص ١١٢.

ومن الذين تأثر بهم كلمنت فيلون العبرى إذ تأثر بمحاولته التوفيق بين الفلسفة اليونانية والعقيدة سواء أكانت هذه العقيدة يهودية كما عند فيلون أم مسيحية كما عند كلمنت. وقوبلت محاولة كلمنت هذه فى البداية بالخوف والتردد من جانب آباء الكنيسة حتى إن كلمنت هاجم صراحة هؤلاء الذين يخافون من دراسة الفلسفة وشبه خوفهم "بخوف الطفل من القناع"(١٣٦).

هكذا كانت الغنوصية عند كلمنت قائمة على الإيمان بالإضافة إلى تغليب الجانب الروحى على الجانب المادى فى الوصول إلى الله، وكذلك العلم الذى يستطيع الإنسان من خلاله أن يتعلم من الأب (الإله) الحقيقة التى ستؤدى به إلى الخلاص فى النهاية.

وهكذا نجد أنه كانت هناك محاولات كثيرة من جانب الغنوصيين للوصول إلى المعرفة الحقيقية التى تؤدى فى النهاية للخلاص مع اختلاف طريقة كل منهم فى أفكاره وتطبيق هذه الأفكار للوصول للمعرفة لكن بعض الجماعات لم تكتف بالطريق العقلانى أو الروحانى، بل زادت عليه؛ مثل أولئك الذين لم يقتصروا على الفلسفة والإيمان كوسائل للوصول إلى المعرفة المذكورة، وإنما زادوا عليها عوامل أخرى لا تنتمى لأىّ منهما من بينهما السحر على سبيل المثال، وقد حارب كلمنت تلك الجماعات وقدم الطريقة الصحيحة للوصول إلى المعرفة الحقيقية.

---

(١٣٦) رأفت عبد الحميد: المرجع نفسه، ص ٧٢.

الخاتمـــــة



يكتسب الحديث عن الفكر الدينى عند كلمنت أهمية كبيرة فى تـاريخ انتـشار المسيحية. ويرجع ذلك إلى أمرين أساسيين: وأحد هذين الأمرين هو الظروف التى كانت تمر بها روما فى الفترة التى ظهر فيها كلمنت، وهى النـصف الثـانى مـن القرن الثانى الميلادى وبداية القرن التالى، أما الأمر الآخر فهـو أن كلمنـت كـان يمثل مرحلة جديدة من المواجهة الكلامية بـين المـدافعين عـن المـسيحية ضـد الاتهامات التى كان يوجهها إليهم المدافعون عن العقائـد الوثنيـة. وفيمـا يخـص ظروف روما. فقد اتسمت الفترة المذكورة بعدم الاستقرار الذى سـاد الحيـاة فـى المجتمع الرومانى، وهو وضع انتقل أثره بالضرورة إلى الولايات الرومانية.

وأستطيع أن أقول إن عدم الاستقرار المذكور لم يقتصر على جانـب واحـد دون آخر من الحياة فى المجتمع الرومانى سـواء فـى رومـا أو فـى ولايـات الإمبراطورية. ويرجع ذلك إلى عاملين أحدهما هو صراع القادة العسكريين علـى العرش الإمبراطورى فقد كان كلُ من هؤلاء القادة يعتمد على جنوده فـى التـسابق على الحصول على منصب الإمبراطورية، وكان من الطبيعـى فـى مثـل هـذه الظروف أن ينشأ الصدام بين قائدين أو أكثر للحصول على هذه الغنيمـة الكبيـرة. ونتيجة لذلك تأثرت الحياة الاقتصادية فى روما إلى حد كبير وهو أمرٌ كان لابـد أن ينعكس بدوره على الوضع الاقتصادى والمعاملة المالية من جانب روما مـع هـذه الولايات وكان من الطبيعى كذلك أن يؤثر عدم الاستقرار الاقتصادى فى الأحـوال الاجتماعية سواء فى روما أو فى الولايات.

والعامل الثانى الذى أدى إلى ذلك الوضع غيـر المـستقر هـو أن الحـدود الإمبراطورية التى كانت آمنة قبل ذلك قد بدأت تتعرض للتهديد. فكانت هناك علـى سبيل المثال هجمات البرابرة، حيث ظهرت بعض التمـردات مـن قبـل القبائـل والشعوب البربرية والتى بدأت منذ عصر الإمبراطور دوميتيـانوس (٨١- ٩٦م)، ومن أمثلة الهجمات البربرية تلك التى كانت من قبل قبائل الـداكيين التـى كانـت تسكن شرق أوروبا، وقبائل الجرمان حيث قبيلتا الكواديين والماركومانيين.

ولم تكن تلك هى الهجمات الوحيدة التى تعرضت لها حدود روما بـل كانـت

هناك إلى جانبها هجمات البارثيين من الشرق وهى تلك الهجمات التى ظهر خطرها مرتين إحداها فى عهد الإمبراطور أنطونينوس حيث استطاع صد هذه الهجمات، والأخرى كانت أشد من الأولى وهى التى كانت فى عهد الإمبراطور ماركوس أوريلليوس (١٦٤- ١٦٥م).

وقد بينت هذه الظروف التى أدت إلى عدم الاستقرار فى القسم الأول من المدخل الذى شكّل الموضوع الأول فى هذا البحث ثم انتقلت بعد ذلك فى القسم الثانى من المدخل إلى الحديث عن ظهور المسيحية وموقف روما منها، وهو أمر كان يُعتبر تطوراً طبيعياً فى ظروف عدم الاستقرار المذكورة، ومحاولة المجتمع الرومانى التغلب عليها. وهنا نجد أن الرومان يلجأون فى محاولتهم هذه إلى تبنى أو اعتناق عدد من العقائد الشرقية التى وجدت طريقها إلى روما والتى كانت تعد بالخلاص أو الاستقرار الذى كان ينشده الرومان تحت ظروفهم التى أشرت إليها، ومن بين هذه العقائد الجديدة كانت المسيحية.

ولكن المسيحية لم تكن مثل العقائد الأخرى فقد كان بإمكان الرومان أن يجمعوا بين واحدة أو أخرى من تلك العقائد وبين عبادة الإمبراطور التى كانت قد أصبحت فى ذلك الوقت ركناً أساسياً من الحياة فى المجتمع الرومانى. أما فى حالة المسيحية فقد كان الأمر مختلفاً، ومن هنا فقد انتهى الأمر بأن تأخذ حكومة الإمبراطورية موقفاً إزاء هذه العقيدة، إذا كان قد بدأ بشئ من التسامح فإنه اتجه إلى التشدد بشكل تدريجى.

ولم يكن الأمر فى التعامل مع العقيدة الجديدة قاصراً على الحكومة الإمبراطورية وحدها وإنما شمل كذلك عدداً من أنصار الوثنية الذين كانوا يرون فى العقائد الوثنية وبخاصة فى عبادة الإمبراطور نظاماً أساسياً لاستقرار المجتمع، ويرون كذلك أن العقيدة المسيحية، برفضها لهذه العبادة، إنما تسهم فى زعزعة هذا النظام، ومن هذا المنطلق تحدثت فى القسم الثالث من المدخل عن المواجهة الكلامية التى نشبت بين أنصار المسيحية وأنصار الوثنية قبل كلمنت. وقد اتخذت هذه المواجهة الكلامية شكلين: أحدهما هو الذى قام به الحواريون الذين لجأوا إلى

التحذير من الاستمرار فى العبادات الوثنية بما فى ذلك عبادة الإمبراطور بطبيعة الحال، وذلك من حيث أن هذه العبادات لن تؤدى إلى الخلاص الذى يسعى إليه الإنسان.

ولكن إذا كان الحوارين قد لجأوا إلى هذه الطريقة من المواجهة مع الوثنيين فى البداية فإن المدافعين عن المسيحية قد عمدوا بعد ذلك إلى طريقة أخرى فيما يخص المواجهة المذكورة، وهى طريقة اتبعها الوثنيون كذلك، وأعنى الاتهامات المتبادلة بين الفريقين. ومن أمثلة تلك الاتهامات هى الممارسات اللا أخلاقية التى زعم الوثنيون ان المسيحيين كانوا يمارسونها فى اجتماعاتهم، ولهذا كان على المدافعين عن المسيحية الرد على هذه الاتهامات، وذكر تفسير لكل ما يقوموا به من أعمال، وليس هذا فقط بل وتوجيه الاتهام للوثنيين بأنهم هم الذين يمارسون تلك الأعمال اللا أخلاقية فى احتفالاتهم بالآلهة الوثنية.

على أن الأمر لم يتوقف عند هذا فما لبثت هذه المواجهة الكلامية أن اتخذت شكلاً جديداً على يد أحد هؤلاء المدافعين وهو تيتوس فلافيوس كلمنس والمعروف بكلمنت السكندرى، وهكذا انتقلت فى القسم الرابع من المدخل إلى الحديث عن شخصية هذا المدافع التى مكنته من أن ينقل المواجهة الكلامية من الاتهامات المتبادلة إلى الجدل المنطقى الذى يعتمد على أسس فكرية، مما يعنى أن المفاضلة بين المسيحية والوثنية على أساس فكرى كانت قد أصبحت آنذاك أمراً وارداً. وقد ساعد كلمنت على ذلك دراسته للفلسفة اليونانية والأدب اليونانى القديم ممثلاً فى الشعر، والأدب المسرحى، وهو ما كان يستخدمه كوسيلة فى دعوته للمسيحية والدفاع عنها فى كثير من الأحيان.

وبعد أن قدمت المدخل وهو الذى أوضحت فيه ظروف العصر الذى ظهر فيه كلمنت، والتى ساعدت فى تكوين شخصيته وأثرت فيه، انتقلت بعد ذلك إلى الموضوع الذى تحدث فيه كلمنت وهو دعوته للمسيحية وذلك من خلال عمله "خطاب وعظى لليونانيين" "Προτρεπτικος προς Ελη νας" وكذلك عمله الثانى وهو "من هو الغنى الذى سيخلص؟" "Τις ο Σοιζομενος πλουσιος".

وفى القسم الأول من دعوة كلمنت يأتى نقده للعبادات الوثنية فقد كـــان علـــى كلمنت قبل أن يبدأ دعوته إلى العقيدة الجديدة (المسيحية) والتى كانت تلقى هجومـــاً شديداً من جانب أنصار الوثنية ــ كان عليه أولاً أن ينقد تلك العبادات الوثنية ويبين لأصحابها أن معبوداتهم وما يمارسونه من أعمال فى عباداتهم إنما هـــى أمـــور لا قيمة لها ولا فائدة منها بالنسبة لهم. وليس هذا فقط بل هى كذلك تبعث على الـــتهكم والسخرية، وهو ما عالجه الباب الأول من هذه الرسالة.

ونظراً لأن العبادات الوثنية تتمثل فى أكثر من جانب مثل عبـــادات الأســـرار والأشخاص والآلهة والتماثيل كان الحديث عن كل نوع من هذه العبادات على حدة. ففى القسم الأول، وهو عبادات الأسرار اليونانية، قدم كلمنت حديثـــه بنقـــد عبـــادة الأقداس والنبوءات المتصلة بها وهى التى وصلت عند اليونانيين لدرجة كبيرة مـــن الاهتمام والتقديس وهى تتمثل فى فوهات المغارات أو جذوع الأشجار أو غير ذلك من الأشياء الأخرى، وقد أشار كلمنت إلى أن تقديس تلك الأشياء يعد خطـــأ كبيـــر وذلك لأنها أشياء لا فائدة منها لأنها فانية.

ثم تحدث كلمنت عن الأسباب التى فند بها عبادات الأسرار. وهنا قدم كلمنـــت العديد من الأسباب التى أوضح من خلالها أن عبادات الأشرار هذه لا فائـــدة منهـــا ويتحتم على اتباعها أن يتركوها، ومن هذه الأسباب التى قدمها كلمنت: الممارسات اللا أخلاقية (الشهوانية) والهمجية والضعف التى تتسم بها قصص الآلهة، وهو يقدم أمثلة على ذلك، فعلى سبيل المثال يذكر قصة الإله ديونيسوس الذى كان شخـــصية همجية، وطقوس عبادته يتم فيها الممارسات اللا أخلاقية، وفوق هـــذا فهـــو كـــان ضعيفاً فعندما كان طفلاً قام العمالقة بتمزيقه ولم يستطع أن يدافع عن نفسه كما لـــم يقم أحد من الآلهة كذلك بالدفاع عنه، وهو ما لا يتناسب وقدرة الآلهة.

نقد آخر يقدمه كلمنت لعبادات الأسرار وهو الممارسات التـــى تـــدعو إلـــى السخرية، والتى قدم عليها أمثلة عديدة ومنها يذكر الطقوس التى تقـــام فـــى عبـــادة أتيس وكيبيلى والكوروبانتيين، وكيف أن هذه الطقوس تبعث على السخرية. كـــذلك فإن بعض هذه العبادات كانت قائمة على الخداع مثل عبادة أبوللو البيثـــى، حيـــث

كانت تعتمد تلك العبادات فى طقوسها على عنصر الخداع.

كما قدم كلمنت عدداً من شهادات الفلاسفة والحكام ضد عبادات الأسرار، فبالنسبة لشهادة الفلاسفة استشهد بالفيلسوف اليونانى هيراكليتوس الذى شهد فى كتاباته ضد الباخيين، والسحرة والمعربدين، والمتعبدين المتحمسين للعبادات السرية، هذا بالإضافة إلى شهادة العديد من الفلاسفة الآخرين الذين استخدم حججهم فى نقده لعبادات الأسرار. كما قدّم كلمنت شهادة أخرى فى نقده لعبادات الأسرار وهى رفض بعض الحكام لهذه العبادات، وقدم مثالاً على ذلك ملك سكيثيا، الذى عاقب أحد مواطنيه على نشره لطقوس عبادة الإلهة كيبيلى.

بعد ذلك قام كلمنت بنقد عبادات الأشخاص والآلهة اليونانية، فقد بدأ بإبداء رأيه فى نشأة العبادات الوثنية، وهو أمر يمثل نقطة ضعف أساسية فى العبادات الوثنية، فقد أوضح فيه أن تلك الظواهر الكونية التى يعبدها اليونانيين ما هى إلا مخلوقات وليست هى الخالق. وقد قسم كلمنت بعد ذلك هذه الظواهر إلى خمسة أقسام (أنواع)، الظواهر الكونية، والطبيعية، والاجتماعية، والعواطف والانفعالات البشرية، والأبطال.

وعن تأليه الظواهر الكونية حاول كلمنت التشكيك فى كنه عبادة الآلهة اليونانية وذلك من حيث أن هذه الآلهة كانت مجرد رموز ثم تحولت بمرور الوقت إلى آلهة. وبالنسبة للظواهر الكونية فيذكر كلمنت أن بعض البشر قد خدعوا منذ البداية من منظر الأجرام السماوية، فهم كانوا يتعجبون من حركتها ولذلك عبدوها. ولكنه قدّم سبباً لتأليه اليونانيين لهذه الظواهر الكونية، وهو أنه نظراً لأن هذه الأجرام السماوية كانت بعيدة ويصعب الوصول إليها، هذا بالإضافة إلى الاستفادة التى يحصلون عليها منها فقد رأوا أن الوسيلة الوحيدة للتقرب من تلك الأجرام، والتعامل معها هو عبادتها وتقديم القرابين لها وذلك لكسب عطفها أو على الأقل لتلافى شرورها.

وبالنسبة للظواهر الطبيعية فقد ذكر كلمنت أن هناك بعض الناس يقدسون الثمار مثل القمح حيث كانوا يقدسونه فى صورة الآلهة ديميتر، وذلك نظراً

لاحتياجهم للقمح فى حياتهم فقد رمزوا له فى صورة إلهية وقدسوه.

كذلك كان من الطبيعى أن يعيش الإنسان ضمن تكوينات اجتماعية مختلفة ومتعددة مثل الأسرة، العشيرة، القبيلة، المجتمع ككل، ومن ثم تأثر الإنسان بالظواهر الاجتماعية التى توجد فى المجتمع مثل الحقّ، النصيب، العقاب، الصفح، وغيرها فجعل من تلك الظواهر آلهة يعبدها ومن بينها وعلى سبيل المثال ربات الصفح والتى كان يطلق عليها اليونان اسم الربات الصافحات.

وبما أن الفرد يعيش فى مجتمع ويتأثر به إذن لابد له من أن ينفعل كذلك بهذا المجتمع، ومن هنا يتحدث كلمنت عن الانفعالات البشرية التى تخصّ الفرد ذاته مثل الخوف، والحب، والقوة، وغير ذلك، ويذكر كلمنت أن اليونانيين كانوا يجعلون كلّ انفعال من هذه الانفعالات إلهاً، فعلى سبيل المثال نجد إله الخوف وهو فوبوس، وإله الحب وهو إروس وغيرهما، ولكن كلمنت يقدم هنا سبباً لنقده لهذا النوع من الآلهة أو بمعنى آخر لتأليه مثل هذه الانفعالات، وهو أن الإله الحقيقى يجب ألا يمثل عاطفة معينة ولكن يجب أن يكون رمزاً للكمال وليس رمزاً لعاطفة أو انفعال.

ويذكر كلمنت كذلك نوعاً آخر من التأليه وهو تأليه الأبطال، ويقدم مثالاً على ذلك الأخوين التوأمين، وهيراكليس، واسكليبيوس، الطبيب، ويقدم سبباً لتأليه هؤلاء الأبطال وهو أنه عندما توقف الناس عن إدراك أن هناك إله يفيدهم فقد اخترعوا بعض المنقذين لهم.

ومن الأسباب التى قدمها كلمنت لتفنيد عبادة الآلهة اشتراك عدد كبير من الآلهة فى نفس الاسم، وقد قدم كلمنت الأمثلة على ذلك فعلى سبيل المثال هناك بعض ممن سجّلوا ثلاثة أسماء باسم الإله زيوس، واحد فى أركاديا، وهو ابن إيثيروس واثنان أخوان وهما أبناء كرونوس أحدهما فى كريت والآخر فى أركاديا. ومن ثم يريد كلمنت أن يصل إلى إظهار مدى تهاون من يعبدون تلك الآلهة فقد وصل العبث بهم لدرجة أنهم لم يلحظوا هذا التكرار الذى حدث فى أسماء الآلهة.

ولم تتوقف الصفات السيئة فى عبادة الآلهة عند اشتراكهم فى نفس الاسم، ولكن هناك صفات أخرى سيئة وهى عجز الآلهة عن ضبط أنفسهم. وهذا ينطوى على صفات تتنافى مع مفهوم الألوهية الحقيقى، فهى تتشابه مع البشر فى صفاتهم. ويقدم مثالاً على ذلك الإله بوسيدون الذى كان من أهم طقوس عبادته ممارسة الأعمال الشهوانية، والسكر والعربدة، وبذلك يحاول أن يثبت أن تلك الآلهة لا فائدة من عبادتها.

فهم يعتقدون أنهم يعبدون آلهة ويقيمون لها اجتماعات واحتفالات على شرف تلك الآلهة فى حين أنهم لم يدركوا أن تلك الشخصيات التى يقيمون الاحتفالات على شرفها هى شخصيات فانية ويقدم مثال على ذلك الألعاب البيثية التى ترجع إلى عبادة الثعبان.

ويرى كلمنت أن بعض هذه الآلهة كانوا عبيداً لفترة من الزمن، وهو أمر لا يليق بالآلهة. ويقدم الأمثلة على هؤلاء الآلهة الذين أصبحوا عبيداً وعلى سبيل المثال الإله أبوللو الذى ذكر عنه أنه رضى أن يكون عبداً عند أدميتوس فى فيراى.

ثمّ يقدم كلمنت تساؤلاً عن مكانة الآلهة اليونانية، فهو يحاول أن يتساءل هل هذه الآلهة هى شياطين (أرواح حارسة) أم هى معبودات من الدرجة الثانية فهو يفترض إنه بما أن هذه الآلهة ليست ذات صفات إلهية، وهو ما فنده فى النقطة السابقة، فهى ربما كانت أرواحاً حارسة أو شياطين.

وليس هذا فقط فهى (الآلهة) كذلك لا تحب البشر، ويقدم أمثلة على ذلك ما ورد فى مسرحية يوريبيديس حيث مثّل محاولة التضحية بإفيجينيا التى قام بها التاوريون عندما غرقت سفينتهم. وفى النهاية يصل كلمنت من ذلك أن الذى يربط الآلهة بالبشر ليس الحب ولكن القرابين التى تصل إلى التضحية بالبشر وبما أن تلك الآلهة فى النهاية ليست لها أهمية إذن فإن هناك نتيجتين يخرج بهما كلمنت من كل هذا وهما أن البشر أفضل من تلك الشياطين (الأرواح الحارسة)، والنتيجة الثانية أن معابد الآلهة هى مقابر حقيقية.

أما النوع الثالث من العبادات الوثنية التى تحدث كلمنت عنها وقــام بتفنيــدها فهو عبادة التماثيل، حيث تدرج فى نقده للعبادات الوثنية ابتدأ من عبادات الأســرار ثم عبادات الآلهة والأشخاص حتى وصل فى النهاية إلى عبادة التماثيل وهى التــى تعتبر نتيجة لتلك العبادات فمن الطبيعى أن اليونانيين يقومون بتصوير آلهتهم التــى يعبدونها فى أشكال ترمز لها ويقومون بالتعبد وتقديم القرابين لها.

فقد أوضح كلمنت أن هذه التماثيل أو الصور ما هــى إلا خــشب أو حجــر، وليس ذلك فقط ولكنها من صناعة آدمية. فعلى سبيل المثــال يــذكر تمثــال أثينــا بولياس، وزيوس فى أوليمبيا الذين شُكلا من الذهب والعاج على يد الفنان فيــدياس، وتمثالى أثينا المكرمة اللذين تم عملهما على يد الفنان سكوباس وهما مــن الحجــر. وقد أرجع كلمنت سبب عبادة هذه التماثيل إلى أنها مجرد عادة عند من يعبــدونها، فهم تعودوا على مثل هذه العبادة، ولكنهم دون تفكير أو تقدير، ومثال علــى ذلــك شعب السكيثيين الذين كانوا يعبدون أشياء غريبة مثــل الخنجــر، وكــذلك تمثــال أرتميس فى إيكاروس وهو عبارة من جذع شجرة، هذا بالإضافة إلى تمثــال هيــرا الذى يذكر عنه أنه كان عبارة عن دعامة خشبية تم تشكيله بعد ذلــك علــى شــكل آدمى — وكلها فى النهاية أشياء فانية.

وقد استشهد كلمنت على ذلك بما جاء فى النبوءات وهنا نجده يقدم أمثلة على ذلك وهو ما ورد فى شهادة نبوءة سيبيل — تلك النبية اليونانيــة — علــى تــدمير المعابد وخرابها، فقد تنبأت لمعبد أرتميس إفيسوس بأنها سوف تبتلع بواسطة أفــوه الذئاب والزلازل وكذلك نبوءتها لتماثيل الآلهة إيزيس وسيرابيس فى مصر حيــث تنبأت لتلك التماثيل بالكسر والحرق.

وبالنسبة لشهادة الفلاسفة فقد ذكر كلمنــت أمثلــة عليهــا وهــو الفيلــسوف هيراكليتوس من إفيسوس وذلك عندما قام بنقد عبادة التماثيل من جــانبين: الجانــب الأول هو عدم شعور أو إحساس تلك التماثيل. والجانــب الثــانى هــو أن أدنــى الحيوانات أفضل من التماثيل، فقد ذكر هيراكليتوس عن هذه التماثيــل إنهــا مهمــا كانت المادة المصنوعة منها فهى لا تشعر بالتكريم الذى يقدم لهــا ممــن يعبــدونها

وكذلك فهى لا تشعر بالإهانة، وليس هذا فقط بل أنه فضّل عليها الحيوانــات فهــى على الأقل كائن حى لديه شعور وإحساس فعلى ســبيل المثــال يــذكر الديــدان، وغيرها من الكائنات الصغيرة، فهى وإن كانت كائنات صغيرة وتظهر فى شــكلها وكأنها لا قيمة لها، فهى على الرغم من ذلك لديها بعض الحواس مثــل الــسمع، أو اللّمس.

وبما أن تلك التماثيل ليس لديها شعور أو إحساس وذلــك بــشهادة الفلاســفة والنبوءات فهى بالطبع تكون عاجزة عن ردّ الإهانات عن نفسها وحماية نفسها مــن الأخطار التى يمكن أن تتعرض لها مثل خطر النار والــزلازل. فبالنــسبة لعجــز التماثيل عن رد الإهانات عن نفسها يقدم كلمنت مثالاً وهو احتقــار الحكــام لتلــك التماثيل ومن أمثلة ذلك أن الطاغية ديونيسيوس الأصغر نــزع مــن علــى تمثــال زيوس فى صقلية عباءته الذهبية وأمر بأن يُدثر بمعطف آخر من الــصوف حيــث أشار أن هذه العباءة أفضل من تلك الذهبية فهى خفيفة فى الــصيف ودافئــة فــى الشتاء.

أما بالنسبة لعجز التماثيل عن حماية نفسها ضد النار والــزلازل واللــصوص فيذكر كلمنت مثالاً على ذلك حيث الكاهنة خروسيس كاهنة المعبــد فــى أرجــوس والتى أحرقت المعبد. ويثبتُ كلمنت كذلك صحة ما يقوله عن ضعف تلك التماثيــل بذكره لسبب آخر، وهو أن هذه التماثيل والتى من المفترض أنها تماثيل للآلهة، إنما هى لا تملك لنفسها شيئاً حتى اختيار شكلها، حيث يذكر كلمنت أن تماثيل الآلهــة لا تمثل الآلهة بل إن هؤلاء الصناع المهرة الذين يقومون بصناعتها كانوا يــصنعونها على شاكلة أصدقائهم أو محظياتهم وهو ما لا يصح للوثنيين أن يعبــدوه، فبمــا أن تلك التماثيل على شاكلة بشر هى بالطبع سوف لا تخلو من العيوب وهو ما يجعــل من عبادتها شيئاً غير ذى قيمة.

ويقدم كلمنت أمثلة عديدة على ذلك من بينها تمثال زيــوس الأوليمبــى الــذى صنعه فيدياس على شاكلة الشخص المفضل عنده وهو بانتاركيس الجميل.

وفى نهاية الحديث فى هذا القسم يوضّح كلمنت أن سحر الفن هو الذى جعــل

البشر يقعون فى حب تلك التماثيل ومن ثم يعبدونها، وهو فى هـذه اللحظـة ألقـى اللوم إلى حد كبير على تأثير الفن ومهارة الفنانين فهم عن طريـق إتقـانهم لهـذه التماثيل أثروا بذلك على إتباع هذه العبادة (عبادة التماثيل) وجعلوهم أسـرى لهـذا الفن، ويقدم كلمنت أمثلة على ذلك حيث يذكر أن بيجماليون من قبرص قد وقع فـى حب تمثال لأفروديتى من العاج.

كان هذا هو القسم الأول من حيث كلمنت، وقد قام فيه بنقد عبادات الأسـرار، وقدم الأسباب التى دعته إلى هذا النقد، أمّا القسم الثانى من الحديث فقد استخدم فيـه كلمنت إلمامه الكبير بالتراث اليونانى من حيث الأدب والفلـسفة، ودارسـته لهمـا واستخدم ما ورد فيهما كممهد لظهور المسيحية، وقد كان كلمنت على علـم كبيـر بالمذاهب الفلسفية، وهى التى قام بدراستها فى مدرسة الإسكندرية وقد جاء الحديث هنا فى مجالين: المجال الأول وهو الذى استشهد فيه كلمنت بالفلاسـفة والـشعراء، والمجال الثانى، وهو الذى استشهد فيه بالنبوءات اليهودية التـى كـان لهـا أتبـاع كثيرون فى المجتمع الرومانى وكانوا قد بدأوا يتصدوا هم الآخرون لهـذه العقيـدة الجديدة (المسيحية).

وفيما يخصّ المجال الأول من هذا الموضـوع استـشهد كلمنـت بالفلاسـفة والشعراء على أساس أن اليونان يميلون إلى الفكر التنظيرى العقلانى كما يميلـون إلى الاستشهاد بالشعر.

وهناك سببان متكاملان لهذا الاستشهاد أولهمـا أن أعـداء المـسيحية كـانوا يعيبون على المدافعين عنها أنهم يعتمدون على العاطفة والغيبيات، فهم يشيرون إلى أن الدعاة المسيحيين يقدمون التعاليم المسيحية دون تبرير لها وعلى من يتلقى هـذه التعاليم أن يؤمن بها دون نقاش، والسبب الآخر المكمل لاستـشهاد كلمنـت بتلـك الآراء هو أن طريقة التفسير العقلانى للفلسفة كانت هى الأسلوب الذى يسير عليـه اليونان وعلى وجه التخصيص الطبقة المثقفة كطريقة للتفكير والإقناع.

وليس هذا فقط بل نجد أنه فى ظل فترة عدم الاستقرار هـذه بـدأ المجتمـع الرومانى الاتجاه للمذاهب الفلسفية لإيجاد حل لمشكلتهم هذه والمتمثلـة فـى عـدم

الاستقرار. ومن هذا المنطلق فقد تحدث كلمنت فى الفصل الأول (شهادة الفلاسفة والشعراء) على تدرج أفكار الفلاسفة حول فكرة الإله الخالق، ورتبت هذه الأفكار التى ذكرها كلمنت عن الفلاسفة ابتداءاً من فكرة تأليه العناصر الأساسية للكون ثم ظهور فكرة التعددية فى الآلهة بجانب العناصر الأساسية للكون وتدريجياً على هذا النحو حتى الاقتراب من فكرة الوحدانية التى ظهرت عند أفلاطون.

وفى هذا الصدد يذكر لنا كلمنت أن بعض الفلاسفة نظروا إلى العناصر الأساسية المادية للطبيعة وهى (الأرض، الماء، الهواء، النار) على أنها هى أصل الأشياء، وهم وإن كانوا يؤلهون هذه العناصر على أنها ظواهر إلا أن كلمنت يرجع إليهم الفضل فى أنهم ارتفعوا عن تأليه الأشياء المتفرقة التى لا تشكل ظواهر، مثل الحجر أو جذع الشجرة أو غير ذلك من الأشياء الأخرى. هذا وقد اتجه بعض الفلاسفة إلى تأليه عناصر أخرى بجانب العناصر الأساسية للكون فعلى سبيل المثال يذكر كلمنت أمبيدوكليس من أكراجاس الذى أضاف إلى جانب العناصر الأساسية للكون عنصرين آخرين وإن كانا غير ماديين وهما "الحب" و "الصراع" إلى قائمة الآلهة، وهذا الفيلسوف وجد سبباً لإضافة هذين العنصرين وهو أن العناصر الأساسية عندما اندمجت مع بعضها أصبحت فى شكل دائرة واحدة، وأحد أجزاء هذه الدائرة وقع تحت تأثير قوة الحب والجزء الآخر، وقع تحت تأثير الصراع.

كان هذا شكلاً أو اتجاهاً نحو فكرة الإله الخالق وهو فكرة التعددية فى الآلهة، وامتداداً لهذا التفكير من قبل الفلاسفة عن الإله الخالق وكيفية الوصول إليه نجد بعض الفلاسفة الذين قدمهم كلمنت قد ظهرت عندهم فكرة أخرى غير التعددية وهى الثنائية الإلهية، فقد قدم كلمنت مثالاً على ذلك كلاً من ليوكيبوس من ميليتوس وميترودوروس من خيوس اللذين ذكرا أن هناك اثنين من الأساسيات الأولى الأرقى والأكثر تميزاً يمكن أن نضعها فى اعتبارنا على أنها آلهة وهما "الاكتمال" أو "الوفرة" "Το πληρες" و "النقصان" أو "الفراغ" "Το κενον".

ولم يذكر كلمنت هذا التدرج نحو فكرة الإله الخالق من جانب الفلاسفة من

فراغ ولكن كان لهذا سبب وهو أن بعض هذه المحاولات الفلسفية اقتربت من فكرة الوحدانية وهى الأساس الأول للدعوة التى تدعو لها العقيدة الجديدة (المسيحية) فقد ذكر كلمنت بعض من الفلاسفة الذين اقتربوا بالفعل من فكرة الوحدانية.

وهنا يذكر كلمنت، على سبيل المثال، طاليس من ميليتوس الذى يشير إلى الماء كعنصر أساسى فى للكون، فهو ظن أن الماء هو المادة الأصلية، فهى — من وجهة نظره — تختلف فى تكوينها عن باقى المواد الأخرى، حيث أنه لاحظ أن الأرض ترقد على الماء. كما يقدم كلمنت مثالاً آخر فى هذا الصدد، وهو الفيلسوف أناكسيمينيس من ميليتوس، وهو الذى امتدح الهواء وميزه بما يفيد أنه العنصر الأول أو الأساسى فى الكون. فقد أشار هذا الفيلسوف إلى أن الروح هواء، وأن النار أصلها هواء، وأن الهواء يحيط بكل شئ. وهناك أمثلة كثيرة قدمها كلمنت على هؤلاء الفلاسفة الذين اقتربوا من فكرة الوحدانية. كذلك قدم مذهب المشائين الذى نجد فيه رأى أرسطو القائل بأن الله هو روح العالم حيث أطلق عليه اسم (الأعلى). إلا أن كلمنت وجه إليه النقد لأنه ذكر أن العناية الإلهية تمتد حتى القمر فحسب، ويعتبر بذلك مناقضاً لنفسه برأيه هذا، فكيف يكون الله روح العالم فى حين أن عنايته تمتد حتى القمر فقط، فإذا كان الله روح العالم إذن لابد ان تشمل عنايته العالم كله. كما يوجد مثال آخر على محاولات المذاهب الفلسفية فى البحث عن المفهوم الحقيقى للإله هو مذهب الرواقيين حيث ظهرت عندهم فكرة الصانع الأول أو العقل الأول حيث أن الطبيعة الإلهية عند أصحاب هذا المذهب موجودة فى كل أشكال المادة حتى فى أدنى هذه الأشكال.

ورغم أن كلمنت لم يمتدح هذه الفكرة إلا أنه اعتبرها من ضمن الأفكار التى مهدت للمسيحية من حيث اعتراف أصحابها بوجود إله يسيطر على كل شئ فى الكون. ومن بين هذه المذاهب والآراء الفلسفية يثنى كلمنت بوجه خاصّ على طريقة أفلاطون فى البحث عن الله. فقد ذكر أفلاطون أن الله لا يُرى ولا يمكن وصفه. كذلك وجد كلمنت أن أفلاطون قد اقترب من المفهوم الحقيقى للإله عن طريق إشارته لفكرة الخير الأسمى، فقد أشار أفلاطون إلى أن هناك آلهة كثيرة

تملأ هذا العالم، ولكن هناك إله واحد فقط هو الحقيقى، فهو الواحد، وهــو الخيــر، وهو الأفضل من أى شئ آخر.

كان هذا عن الشوط الأول من القسم الأول (شهادة الفلاسـفة والـشعراء) ثــم انتقل كلمنت بعد ذلك للحديث الشوط الثانى منه وهو شهادة الشعراء. وقد استــشهد كلمنت بالشعراء لما لهم من مكانة كبيرة بين اليونانيين حيث إنّ كلمنت لــم يكتــف بالاستشهاد بالفلاسفة فحسب لأنه عن طريق الفلسفة فهو بــذلك يخاطــب المثقفــين اليونان فحسب، أما عندما إستشهد بالشعراء فهو بذلك يخاطب كلّ اليونانيين، حيــث كان الشعب اليونانى يقدر الشعر والشعراء، ويحبهم كثيراً ففى أحيان كثيرة كــانوا يتفاخرون بقدر ما يحفظون من الشعر وقد كان هذا سبباً واضحاً فى ذهــن كلمنــت عندما استشهد بالشعراء كممهدين لظهور المسيحية.

وقد قسمّ كلمنت حديثه عن الشعراء إلى شقين: الــشق الأول وهــم الــشعراء الذين عظّموا الله وذكروا صفاته، وقد قدم كلمنت أمثلة على ذلــك، مثــل الــشاعر أراتوس الذى تحدث عن الله، وذكر أنه الأب العظيم، والمساعد العظيم للبشر. وهنا نجد أن صفة الأبوة عند أراتوس تقابل فكرة الأبوة عند المسيحية، وهذا يعتبر ســبباً لاستشهاد كلمنت ببعض الشعراء دون البعض الآخر، فهو يستشهد بالشعراء الــذين ورد فى شعرهم ما يمكن أن يأخذه كتمهيد لدعوته للمسيحية. وهناك أمثلــة أخــرى كثيرة أوردها كلمنت عن هؤلاء الشعراء.

كذلك استشهد كلمنت بالشعراء الذين نقدوا فى المقابل عبادة الآلهــة الوثنيــة، وهو ما استخدمه كلمنت كسلاح يقف به فــى وجــه الــوثنيين الــذين يهــاجمون المسيحية، ويدافع به عن دعوته. وهناك أمثلة كثيرة قدمها كلمنت والتى يــدلل بهــا على صحة ما يقول. فعلى سبيل المثال يذكر الشاعر هوميروس الذى ســخر مــن عبادة الإله ديونيسوس حيث قال عنه "إن هذا الإله الأحمق كان يتعقب مربياته فوق التل المقدس لنيسا".

كذلك هناك مثال آخر على نقد الشعراء وسخريتهم من عبادة الآلهة وهو مــا قدمه الشاعر ميناندروس فى مسرحيته (سائق العربة)، حيث أنه لم يعتــرف فيهــا

بالطقوس التى كانت تمارس فى عبادة الآلهة الوثنية، فيقول: "بالنسبة لى لا يكـــون إله من يسير فى الشوارع مع سيدة عجوز، ثم يتسلّل (ومعه صـــورة) موضـــوعة على صينية إلى البيوت "معابد الآلهة". هذا بالإضافة إلى العديد من الأمثلة الأخرى التى قدمها كلمنت كدليل علىٰ صحة قوله بنقد عبادة الآلهة.

ثم يأتى القسم الثانى من هذا الباب وهو شهادة النبوءات اليهوديـــة فقـــد كـــان كلمنت يحب أن يدعم دعوته كذلك بالأدلة التى تتصل بالديانات الـــسابقة، تـــدعيماً للديانة الجديدة (المسيحية). والسبب الذى جعل كلمنت يستشهد بهذه النبوءات هو ما لها من قيمة كبيرة فهى تقدم أسس الحياة الفاضلة، وأقصر الطرق للخـــلاص وهـــو السبب الأهم، من حيث أن اليونان كانوا يبحثوا عن الخلاص فى ظـــل الظـــروف (الصراعات التى كانت قائمة فى مجتمع الإمبراطوريـــة الرومانيـــة التـــى كـــانوا يتبعونها فى عصر كلمنت، وهى عدم الاستقرار.

والنوع الأول فى هذه النبوءات، حسب تبويب، كلمنت يتحدث عن صفات الله، ونبوءات أخرى تنقد عبادة الآلهة الوثنية، وقد تحدث كلمنـــت عـــن نبـــوءة النبـــى اليهودى إرميا حيث ظهرت عنده كذلك فكرة الإله الواحد، وأن الله يرى كل شـــئ، وأنه قريب من خلقه ويساعدهم، وهنا تظهر فكرة المساعدة من جانب الإله لخلقـــه مثلما يساعد الأب أبناءه، وهى إحدى الأفكار التى تقترب من الأفكار المسيحية. هذا بالإضافة إلى أمثلة أخرى على النبوءات اليهودية التى قدمها كلمنت والتى تتحـــدث عن صفات الله وتقترب فى أفكارها من الأفكار المسيحية. أما بالنسبة للنوع الآخـــر من النبوءات اليهودية وهى التى تنقد عبادة الآلهة الوثنية، فقد قدم كلمنت أمثلة على ذلك وهو ما ورد عند أشعيا الذى أشار فى نبوءته بأن الذين يعبدون تماثيل وصوراً منحوتة فإنها لن تفيدهم ولن تنقذهم. ثم يأتى الشوط الثانى من هـــذا القـــسم وفيـــه يعرض كلمنت للأفكار المسيحية التى تتميز عن الأفكار التى وردت فى اليهوديـــة. والسبب وراء حديث كلمنت فى هذه النقطة ربما يرجع لرده على أعداء المـــسيحية (الوثنيين) الذين اتهموها (المسيحية) بأنها طائفة من الطوائف اليهودية ليثبـــت لهـــم أنها ليست طائفة يهودية بل هى عقيدة مستقلة. هذا من جانب ومن جانب آخر فقـــد

عرض كلمنت للأفكار المسيحية بعْد استشهاده بالنبوءات اليهودية والتى وردت فيها بالطبع بعض الأفكار اليهودية، وذلك لكى يثبت لليهود ذاتهم أن الأفكار المسيحية رغم مشابهة بعضها للأفكار اليهودية إلا أنها تتميّز عنها من حيث تفاصيلها.

وفى هذا الصدد فقد كانت فكرة الأبوة إحدى الأفكار المسيحية التى قدمها كلمنت والتى تتميز عن اليهودية من حيث أن الأبوة عند المسيحية لا تعنى بأن الله يكون أباً فحسب لأبنائه، ولكنه يكون أيضاً المعلم، حيث يقول أن الله يتحدث ليس كسيد لعبيده، ولا كمعلم لتلاميذه، ولا كإله للبشر، لكن كأب رقيق "يحب أبناءه". وهناك كذلك فكرة السيد التى قدمها كلمنت كأحد الأفكار المسيحية حيث يقول "تعالوا، أيها الأطفال، استمعوا لى، سوف أعلمكم الخوف من السيد" ولكن هذه الفكرة كانت مختلفة فى المسيحية عنها فى اليهودية، فهى لم تتوقف عند الإشارة بأن السيد (الله) لا مثيل له، أو أن كلمته سوف تبقى للأبد كما ورد فى النبوءة اليهودية لأشعيا، ولكنها قدمت المزيد من الصفات إلى السيد فى أنه يمنح الحرية لأتباعه، وبذلك فإن هناك فارق بين فكرة السيد عند المسيحية عنها عند اليهودية من حيث العلاقة بين الله والإنسان.

ففى اليهودية نجد الله يُعاقب عقاباً شديداً، فهو يدمر المدن والبشر، ويتوعد دائماً بأشد العقاب لمن يخالفه ولا يتبعه، ولكن فى المسيحية نجد العكس من ذلك.

وفيما يخص فكرة الوحدانية، وهى من أهم الأفكار التى قامت عليها المسيحية، ووردت قبل ذلك فى اليهودية، نجد أن كلمنت يوضح الفارق فى المسيحية عنها فى اليهودية. فالأمر فى المسيحية لا يتوقف على الوحدانية فحسب، وإنما يزيد عليه التوجيه من حيث أنه "القائد" وكذلك "المعلم". بينما الأمر فى اليهودية يقتصر على فكرة الوحدانية فحسب، فاليهود يشهدون بأن هناك إله واحد، هو الخالق لهذا الكون، لكن دون التعليق على صلاحيات ووظائف هذا الإله. كذلك فمن الأفكار المسيحية الأخرى التى قدمها كلمنت والتى تميزت عن الأفكار اليهودية فكرة الكلمة، فقد أشار كلمنت بأن الكلمة هى الطريق للوصول إلى الله، فهو الذى يقدم الهداية والتوجيه للبشر حتى يستطيعوا الوصول إلى الله والحصول على

الخلاص فى حين أن هذه الفكرة اختلفت عند النبوءات اليهودية، فالكلمة عندهم تعنى السيادة، والحكمة الإلهية التى يسيطر بها الله على العالم.

ويتدرج كلمنت فى أفكاره حتى يصل بعد ذلك إلى العقاب الذى ينتظر الكافرين الذين لا يستجيبون لله ولا يعبدونه بالرغم من كل ما يقدمه الله لعباده. فهو يذكر لهم أنهم سوف يتعرضون لعقاب شديد من الله. ونلاحظ هنا أن هذه الفكرة لم تختلف مع فكرة العقاب التى وردت عند اليهودية. وعندما يتخلص الإنسان من خطاياه وذنوبه يستطيع أن يصل بعد ذلك إلى الله، وهو الهدف الأسمى للمسيحية وهى فكرة الخلاص، ولكن فكرة الخلاص لم ترد عند اليهودية بطريقة مباشرة، فقد تحدثت اليهودية عن الطرق التى يتبعها الإنسان كى يتخلص من خطاياه وهو إتباع الفضيلة والابتعاد عن الرذيلة، ولكنها لم تذكر كيف يتبع الشخص هذه الطرق لكى يصل إلى الخلاص، أمّا كلمنت فقد ذكر هذه الوسائل التى تقدمها المسيحية والتى يمكن للشخص أن يتبعها لكى يصل إلى الخلاص وهى الحب والإيمان.

وعند تقديم كلمنت لدعوته لاتباع المسيحية نجد أنه تأثر بالتراث القديم، وهو ما ظهر فى كتاباته وهو الموضوع الذى تحدثت فيه فى نهاية هذا القسم. وهو عن الأساليب التى اتبعها كلمنت فى تقديم دعوته وهى الجناس والتخريج وغيرها من الأساليب الأخرى. وقد كان كلمنت يتبع هذه الوسائل لجذب انتباه القارئين والمستمعين له.

وأحد الأساليب التى استخدمها كلمنت هو الجناس، وقد استخدم كلمنت هذا الأسلوب بكثرة فى عمله "خطاب وعظى لليونانيين" فهو وإن كان شكلياً فى الحقيقة، ولكنه يؤثر فى السامعين إلى حد كبير، وأعنى به بعض المفردات التى كان يستخدمها كلمنت.

وهناك أمثلة عديدة على استخدام كلمنت لهذا الأسلوب، فعلى سبيل المثال استخدامه للكلمتين (Τα αχρηστα) والتى تعنى (لا فائدة)، وكلمة (χρηστηρια) والتى تعنى (نبوءات أو تكهنات) ونلاحظ هنا التضاد بين الكلمتين، فقد استخدم كلمنت الإيحاء لهاتين الكلمتين فى إظهاره لمدى استنكاره

ورفضه للنبوءات الوثنية.

ولم يقتصر كلمنت على اللفظ فقط ولكنه اهتم بالمعنى أيضاً وكان ذلك عن طريق استخدامه لأسلوب آخر وهو أسلوب التخريج، ويعنى به استخراج تشبيهات تخدم ما يدعو له كلمنت، لكنها ليست تشبيهات حقيقية. وهناك أمثلة عديدة على ذلك، فعندما كان يتحدث عن عبادات الأسرار وإظهار أنها ما هى إلا أشياء تافهة نجده يستخدم أسلوب التخريج بجانب مهارته اللغوية. فقد استخدم التشابه بين الكلمتين (μυθηρια) بمعنى (الصيد) وكلمة (μυστηρια) بمعنى (العبادة السرية) حيث اعتمد على التشابه الكبير بين الكلمتين وربطه بقصة مايوس ذلك الصياد الذى قُتل فى الصيد. وهنا يظهر أسلوب التخريج حيث أنه استخرج من هذه القصة والتشابه بين الكلمتين شيئين:

أولاً: أنها عبادات تافهة تقوم على تقديس إنسان يعمل صياداً وقتل فى الصيد.

ثانياً: استخرج كلمنت من هذه القصة أنه مثلما يقوم الصياد بصيد الحيوانات المتوحشة فإن هذه القصص الأسطورية تتصيد كذلك الناس الوقحة والبلهاء والذين يخافون الشياطين.

والأسلوب الثالث الذى استخدمه كلمنت هو أسلوب الانتقاء، فهو يسلط الضوء على الجزء الذى يخدم دعوته فى أثناء ذكره لأساطير الآلهة ويعتم على الجانب الذى لا يخدم دعوته من هذه الأسطورة، وهناك امثلة على ذلك ففى أسطورة ديونيسوس يذكر أنهم أثناء احتفالاتهم بهذا الإله كانوا يقيمون تماثيل لعضو الذكورة (الفاللوس) فى حين أنه لم يذكر الجانب الآخر من الأسطورة وهو أن هذا العضو كان يّعبر عن التكاثر، ومن ثم عن فكرة الخلق.

ولأن كلمنت كان يعرف أن الشعب اليونانى شعب فخور بنفسه ومحب لذاته، ومعتقد بتميّز حضارته فقد لجأ إلى استخدام أسلوب آخر فى دعوته وهو إثارة النزعة العاطفية عند اليونانيين بهدف إبعادهم عن الوثنية وإقناعهم بالمسيحية، وقد ظهر ذلك فى كتابته عندما وصفهم (اليونانيين) بالتقليد الأعمى حيث أنهم كانوا فى

إتباعهم لبعض عباداتهم مجرد مقلدين للشعوب الأخرى الأقل منهم تحضراً (في نظر أنفسهم)، وهو ما كان يهدف من خلاله إلى أن يجعلهم يتركون العبادات الوثنية التي تتبعها تلك الشعوب.

بعد ذلك ينتقل كلمنت للقسم الثالث والأخير من حديثه حيث يقدم فيه الأفكار أو المفاهيم التي تساعد على تدعيم المسيحية. وهى ثلاثة أفكار أو ثلاثة مفاهيم رئيسية هي: التحمل والثروة، والخلاص.

وفيما يخصّ فكرة أو مفهوم التحمل فقد رأى كلمنت أن العادة هي المسيطرة على الوثنيين، وأنهم مقيدون بها فقدّم، بهدف التخلص من العادة، مفهوم أو فكرة التحمل، والتي تمثل الشوط الأول من هذا القسم حيث أظهر من خلال حديثه في هذه الفكرة مدى قبح العادة، وفندها، وذلك لكي يوضح للوثنيين أنهم يجب أن يتحاملوا على أنفسهم ويتركوا حكم العادة عليهم وأن يتحملوا هذه المشقة من أجل الوصول للخلاص، الذي يؤدي بهم في النهاية إلى الله.

وقد فنّد كلمنت الخضوع لحكم العادة على أساس أنه ضد التطور الطبيعي للأشياء على ثلاث مستويات فعلى المستوى الشخصي، أعطى كلمنت مثالاً حيث أنه يتساءل لماذا لا يظل الإنسان طفلاً، كما هو، يأكل الطعام الذي كان يأكله وهو طفل ويفعل ما كان يفعله وهو طفل ولكنه إذا استمر على ذلك الوضع فسوف يصبح مثاراً للسخرية والأمر الطبيعي هو أن يتغير. وهكذا الوضع بالنسبة للأسرة فهو يمثل ذلك بقوله أن الشخص لا يترك أملاك الأسرة كما هي وإنما أحياناً يزيد عليها وأحياناً أخرى ينتقص منها حسب الظروف. وفي كلتا الحالتين هناك تغيير. وعلى مستوى المجتمع يذكر كلمنت مثالاً وهو أن الإنسان في أثناء رحلته في البحر فإن الأمور لا تستمر معه دائماً على ما هي عليه، فقد يتغير مسار الرحلة، وقد تنتج عن ذلك خسارة، ولكن في النهاية سوف يكون لهذا التغيير سحره أو ما يغري به.

أما الشوط الثاني من هذا القسم فهو يناقش المزايا التي ذكرها كلمنت وهي التي يحصل عليها من يعتنق المسيحية، وهي عدة مزايا: أولها هي حق السؤال

والاستفسار أى أن أى شخص من حقه أن يسأل عن أى شئ فى هذه العقيدة الجديدة، وقد ذكر كلمنت هذه الميزة فى مقابل ما يحدث فى العبادات الوثنية بأن من يعتنقها ليس له الحق فى السؤال أو الاستفسار عن أى شئ بداخلها، إذ يقدم كلمنت أهم شئ فى هذه الميزة وهو حق التجربة، حيث أنه من حق من يريد الدخول فى عقيدة المسيحية أن يجرب أولاً قبل أن يرفضها، فلابد ألا يكون الرفض لمجرد الرفض. وهذا يعتبر من جانب آخر رداً من كلمنت على من يتهمون المسيحية بأنها قائمة على الغيبيات وعدم السؤال والاستفسار.

ثم انتقل كلمنت بعد ذلك فى الشوط الثانى من هذا القسم للحديث عن الفكرة الثانية التى تدعم المسيحية والتى ذكرها كلمنت وهى مفهوم الثروة. حيث كان هذا المفهوم يشكل وقفة هامة فى العقيدة المسيحية فالكنيسة كانت فى فترة كلمنت تحتاج إلى الاستقرار، كما أنها تحتاج كذلك إلى تدعيم موقفها، وبنائها وذلك لن يتحقق إلا من خلال الأموال التى لن يحصلون عليها إلا من المسيحيين الأغنياء. ولذلك كان غرض كلمنت من حديثه عن الثروة، هو تدعيم العقيدة الجديدة وتنظيم صفوف الكنيسة حتى يستطيع أن يقف أمام اضطهاد روما الوثنية، ولم يكن من الممكن تحقيق ذلك إلا بالأموال. وبالإضافة إلى ذلك فقد كان من شروط هذه العقيدة الجديدة مساعدة المحتاجين (المسنين، والفقراء واليتامى... إلخ) وكل هذا كان يحتاج بالطبع إلى "صندوق" للإنفاق منه. كانت هذه هى المشكلة التى عاصرها كلمنت، والتى أثّرت بالضرورة على فكره أثناء تقديمه لإحدى الأفكار الأساسية التى تدعم العقيدة المسيحية وهى مفهوم الثروة.

وقد كانت الثروة تشكل نقطة خلاف بين معتنقى المسيحية، حيث أن بعضهم يرى ضرورة الاستغناء عن الثروة حتى يصل الإنسان إلى الخلاص، والبعض الآخر يؤمن بأهمية هذه الثروة، ولذلك كان على كلمنت أن يقنع الرافضين للثروة أن الثروة شئ هام وأساسى تحتاجه المسيحية. وهنا نجد كلمنت فى البداية يتحدث عن موقف الرجل الغنى إزاء الخلاص، حيث كان بعض معتنقى المسيحية يقفون فى وجه الثروة وكان هذا يحمل الأغنياء على اليأس من الوصول إلى الخلاص.

وقد أوضح كلمنت ذلك فى شقين تحدث فى الشق الأول عن المقولة التى تنادى بالاستغناء عن الثروة كشرط للوصول إلى الخلاص حيث يقول المسيح: "إذا أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك.." حيث أوضح كلمنت أن هذا الحديث يشير إلى ضرورة الاستغناء عن الثروة كشرط لدخول الحياة الأبدية، ولذلك استكمل كلمنت حديثه فى الشق الثانى الذى توقف فيه عن المعنى الحقيقى المقصود من التنازل عن الممتلكات التى تمثل ثروة المسيحى الذى يريد أن يصل إلى الخلاص.

وفى هذا الصدد فقد أظهر كلمنت أن هناك فرقاً كبيراً بين امتلاك الثروة وحب الثروة، حيث يوضح أن الذين لن يدخلوا ملكوت السماء هم الذين يحبون الثروة فى حد ذاتها، حيث أنه من الصعب على محبى الأموال أن يصلوا إلى الخلاص، لأن الأموال تكون دائماً عائقاً أمام الوصول للخلاص، أما من يمتلك الثروة دون أن يحبّها فليس هنا ما يحول دون وصوله إلى الخلاص.

وحتى يتم ذلك يوضّح كلمنت واجب أصحاب الثروة تجاه المسيحيين فهو فى هذه النقطة يدعو الأثرياء للتمسك بالمسيحية ومن ثم التماسك مع المسيحيين، وخدمتهم بثروتهم حيث يساعدوا المسيحيين الفقراء. ومن هنا أوضح كلمنت أن الفقر ليس مرتبطاً بالفضيلة بالضرورة ولا الثروة بالرذيلة، حيث أنه يمكن لصاحب الثروة إذا وجّه ثروته فى أعمال صالحة يرضى بها الله أن يصبح بذلك إنساناً صالحاً أى صاحب فضيلة فى حين أنه يمكن أن يكون الشخص الفقير غارقاً فى الأهواء.

وبما أن كلمنت توصل إلى أهمية الثروة فى المجتمع المسيحى فقد أوضح أنها ذات قيمة محايدة وأن إيجابيتها تكمن فى مساعدة المجتمع وكيفية تسخير هذا المال لخدمة أفراد المجتمع من حيث أن مساعدة المحتاجين تدعو إلى الحب ومن ثم إلى الترابط، وهو ما يحتاجه المجتمع فى ذلك الوقت، وتدعو له العقيدة المسيحية، ثم يأتى الحديث عن المفهوم الثالث الذى وجد كلمنت أنه يدعم العقيدة الجديدة وهو مفهوم الخلاص.

وإذا كان يبدو لنا فى هذا المجال أنّ الخلاص هو الهدف الــذى تهــدف إليــه المسيحية، وهذا فى حدّ ذاته صحيح، إلا أننا عند الحديث عن هذا الهدف لا نلبــث أن نتبّين أنه لا يتحقق بشكل تلقائى، وإنما يتطلب من جانب المسيحيين تحقيق عــدد من الوسائل التى تؤدى إلى التوصل لهذا الهدف ومن هنا أدخلت مفهوم الخــلاص فى مجال الحديث عن المفاهيم التى تدعم هذه العقيدة.

وفى القسم الأول من هذا الفصل تحدثت عن المحاولات التى سبقت المسيحية بهدف التغلب على عدم الاستقرار (ومن ثم الخلاص)، وذلك عن طريــق الإيمــان بتفسير الأحلام، والمعجزات حيث بدأ أفراد المجتمع يلجأون إلــى تلــك الأشــياء للوصول إلى الاستقرار، وكذلك من هذه المحاولات أشرت إلى محاولات المــدارس الفلسفية التى كانت تقدم الوسائل للوصول إلــى المفهــوم الحقيقــى للاســتقرار أو الخلاص.

وبجانب المدارس الفلسفية والإيمان بتفــسير الأحــلام والمعجــزات وجــدت الديانات الشرقية سبيلها إلى المجتمع الرومانى حيث وجد أفراد هذا المجتمــع فــى إتباعها وسيلة للخلاص من هذا التــوتر أو الاضــطراب الــذى يــسود المجتمــع والوصول إلى الاستقرار. ومن بين هذه الديانات الشرقية وجدت الديانة المــسيحية طريقها للمجتمع الرومانى، فهى قدمت من خلال دعوتها الخلاص والــسبل التــى يمكن إتباعها للوصول إليه، حيث أوضح كلمنت مفهــوم الخــلاص الــذى تقدمــه المسيحية، وهى أن يتخلص الإنسان من كل الظروف القاسية المحيطة به.

وفى هذا الصدد قدم كلمنت نوعين من الخلاص: النوع الأول وهو الخــلاص فى الحياة الدنيا حيث قدّم السبل التى يستطيع الفرد من خلالها أن يصل إلــى هــذا الخلاص، والسبيل الأول للوصول إلى هذا النوع من الخلاص هو بالقــضاء علــى التنافر فى المجتمع الذى كان بمثابة ظاهرة سادت المجتمع الرومانى فى الفترة التى عاصرها كلمنت. ولكى يتم ذلك يكون عن طريق السيطرة على الشهوات من حيث أن الشهوات هى مرادف للفرديّة التّى كثيراً ما تفرق بين الناس. وكذلك يقدم كلمنت طريقتين أُخريين يمكن للمجتمع من خلالهما أن يصبح مجتمعــاً متماســكاً وهمــا

الأخوة والمحبة. فالمحبة تمثل خطوة متطورة من الأخوّة وكلتا الطريقتين تكملان بعضهما البعض فعندما يصبح أفراد المجتمع أخوة متحابين يحدث تماسك لهذا المجتمع ومن ثم يتحقق الاستقرار.

ثم يأتى حديث كلمنت عن النوع الثانى من الخلاص الذى يقدمه كذلك لمعتنقى المسيحية وهو الخلاص فى الحياة الأخرى، وهذا النوع من الخلاص كذلك كان ينتظره أفراد المجتمع الرومانى، وذلك بسبب يأسهم من الحصول عليه فى الحياة الدنيا، وهنا يذكر لنا كلمنت الطرق التى يجب على من يريد الوصول إلى هذا الخلاص أن يتبعها.

ومن بين هذه الطرق التعليم، وهى الوسيلة التى ظهر فيها السيد المسيح لمساعدة الناس على الخلاص. ولم يكن المسيح هو المعلم فحسب ولكنه كان يمثل القدوة المثلى التى تصل عند اللزوم إلى درجة التضحية حتى لو وصل إلى التضحية بحياته الدنيوية ثمناً لذلك، وأمام هذه التضحية التى كان يقدمها السيد المسيح لأتباعه كان يلزم على أتباعه أن يؤمنوا به ومن ثم بطريقته، فالإيمان هو وسيلة أخرى من الوسائل التى تحدث عنها كلمنت للوصول إلى الخلاص فى الحياة الأخرى، ولكنه أظهر أن الإيمان بالله أقوى من الإيمان بالمعجزات والنبوءات التى كانوا يؤمنون بها من قبل فهو يؤدى إلى الخلاص الحقيقى.

وقد قدم كلمنت كذلك الوسيلة الأخيرة التى يتحقق من خلالها الوصول للخلاص وهى السلام والسلام هو الإطار النهائى لكل الطرق السابقة، وهنا نجد كلمنت ينصح أتباع العقيدة المسيحية أن يتسلحوا بسلاح السلام، وهى وسيلة يرى كلمنت أنّ المجتمع الرومانى كان يحتاج إليها، وذلك فى ظل ظروف عدم الاستقرار والصراعات التى سادت فى الفترة المعاصرة لكلمنت.

ولم يرتبط الخلاص بالجانب الإيمانى فحسب، ولكنه ارتبط كذلك بالمعرفة ومن هذا المنطلق كان الحديث فى الشوط الأخير من هذا القسم عن الخلاص وفكرة المعرفة (الغنوصية) حيث أن المعرفة المقصودة هنا هى معرفة الطريق الذى يوّصل إلى الله، ومن يصبح متمكناً فى هذا النوع من المعرفة يستطيع بذلك أن

يصل إلى الله ومن ثم إلى الخلاص.

وقد كانت هناك العديد من المحاولات الفلسفية قبل ظهور المسيحية للوصـــول إلى المفهوم الحقيقى للإله عن طريق عدد من وسائل المعرفة. وهناك أمثلـــة علـــى هذه المحاولات فعلى سبيل المثال نجد أفلاطون يستخدم المعرفة فى الوصول إلـــى حقيقة الوجود وخالقه، عن طريق تحويل الإنسان انتباهه نحو الداخل، حيث يمكـــن تجريده من الإدراك العقلى والعاطفى، وبذلك تكون الروح أو الناحية الإيمانية هـــى الوسيلة للوصول إلى المعرفة عند أفلاطون. وهناك العديد من الأمثلة الأخرى على المحاولات التى قدمها الفلاسفة من أجل الوصول إلى معرفة مفهوم الله الحقيقى.

أما عن الجزء الثانى من هذه النقطة وهو ما تحـــدثت فيـــه عـــن المـــسيحية والغنوصية (المعرفة) قبل كلمنت حيث ظهرت محاولات بعض المدارس الغنوصية مثل المدرسة المصرية والمدرسة الغنوصية الهرمسية، وقد كانت هذه المحـــاولات تتركز فى ضرورة معرفة الإنسان لنفسه ومعرفة الله، مـــع تفـــاوت النـــسبة بـــين المعرفة والإيمان من مدرسة إلى أخرى.

أما عن الجزء الأخير من هذه النقطة فهو يدور عـــن الغنوصـــية فـــى فكـــر كلمنت. وهنا نجد كلمنت يؤكد على ضرورة التوازن بين الإيمان والمعرفة، حيـــث انه كان مؤمناً بتلازم العلم والإيمان فى التوصل للخلاص.

المصادر والمراجع
العربيـة والأجنبيـة

أولاً: قائمة المصادر:

- الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد).

- Aristotle: Metaphysica: LCL.
- Clement of Alexandria: L (oeb) C (lassical) L (library)

هذا وعند الرجوع إلى الملاحظات التى كتبها مترجم هذا المجلد وهو G. W. Butterworth فسوف أشير إلى الملاحظات المذكورة تحت اسم المترجم (وليس تحت اسم Clement).

- Dio Cassius: Roman History: LCL.
- Eusebius: Historia Ecclesiastica: LCL.
- Herodotus: The Histories of Herodotus of Halicarnassus, (Translated by Harry Carter): London: 1962.
- Hesiod: Works and days: LCL.
- Homer: Iliad: LCL.
- Homer: Odyssey: LCL.
- Menander: The Principal Fragments: LCL.
- Minucius Felix: Octavius: LCL.
- Pindar: The Odes of Pindar Fragments: LCL.
- Plato: The Dialogues of Plato: (translated by B. Jowett, M.A.): New York: 1937.
- Pliny: Naturalis Historia: LCL.
- Sophocles: Oedipus Rex: LCL.
- Strabo: The Geography: LCL.
- Tertullian: Apology: LCL.
- Thucydides: Histories: LCL.

مراجع باللغة العربية:

- أدولف إرمان، ديانة مصر القديمة، نشأتها وتطورها ونهايتها فى أربعة آلاف سنة، (مترجم)، القاهرة، بدون تاريخ.
- إميل برهييه، تاريخ الفلسفة (الفلسفة اليونانية)، (مترجم)، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٢.
- أميرة حلمى مطر، محاورات ونصوص لأفلاطون (فايدروس- ثياتيتوس)، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٦.
- إبراهيم نصحى، مصر فى عصر البطالمة، ج٢، القاهرة، ١٩٩٥.
- أنطون فهمى جورج، القديس يوستين والآباء المدافعون، سلسلة آباء الكنيسة، بدون تاريخ.
- تادرس يعقوب ملطى، آباء مدرسة الإسكندرية الأولون، سلسلة علم الباترولوجى، الكتاب السادس، ١٩٨٠.
- -----------، الكنيسة القبطية الأرثوذكسية والروحانية، كنيسة الإسكندرية، ١٩٨٦.
- توفيق الطويل، قصة الاضطهاد الدينى فى المسيحية والإسلام، الزهراء للإعلام العربى، ١٩٩١.
- حسين الشيخ، دراسات فى تاريخ الحضارات القديمة- اليونان- دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٨.
- -----------، ديانات الأسرار والعبادات الغامضة فى التاريخ، دار العلوم العربية، بيروت، ١٩٩٦.
- حنا جرجس الخضرى، تاريخ الفكر المسيحى، المجلد الأول، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨١.

- رأفت عبد الحميد، الفكر المصرى فى العصر المسيحى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠.
- روستوفتزف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعى والاقتصادى (مترجم)، القاهرة، ١٩٦٠.
- سيد أحمد على الناصرى، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى، دار النهضة العربية، ١٩٧٥.
- عبد الرحمن بدوى، فلسفة العصور الوسطى، الطبعة الثالثة، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٩.
- عبد اللطيف أحمد على، مصر والإمبراطورية الرومانية فى ضوء الأوراق البردية، دار النهضة العربية، ١٩٦٥.
- عبد المعطى شعراوى، أساطير إغريقية، ج٢، القاهرة، ١٩٩٥.
- لطفى عبد الوهاب يحيى، العرب فى العصور القديمة (مدخل حضارى فى تاريخ العرب قبل الإسلام)، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩.
- ------------، اليونان (مقدمة فى التاريخ الحضارى)، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩١.
- ليلى حليم عطية، فن التصوير فى أوائل العصر المسيحى فى مصر، ١٩٦٩، الإسكندرية.
- محمد السيد عبد الغنى، أضواء على المسيحية المبكرة، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٧.
- محمد عبد الفتاح، المتغيرات التاريخية فى مصر خلال القرنين ٣، ٤م، وأثرها فى الفن المصرى، رسالة غير منشورة، الإسكندرية، ١٩٩٨.

- ---------، المصريون والمسيحية حتـى الفـتح العربـى، الإسـكندرية، ٢٠٠١.
- -----------، ملاحظات عن أسباب هجرة كل من كلمنت وأوريجينـيس من مصر إلى فلسطين فى القرن الثالث الميلادى، مـن أعمال المؤتمر الدولى، فلسطين عبر العصور، جامعـة عين شمس، القاهرة، ١٩٩٨، ص ص ١: ١٠.
- مصطفى العبادى، الإمبراطورية الرومانيـة (النظـام الإمبراطـورى ومـصر الرومانية)، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨.
- منسى يوحنا، تاريخ الكنسية القبطية، مكتبة المحبة، القاهرة، بدون تاريخ.
- وهيب عطا الله، الفلسفة المسيحية، بدون تاريخ.
- يوحنا النيقيوسى، تاريخ العالم القديم ودخول العـرب مـصر، مكتـب النـسر للطباعة، ١٩٩٦.
- يوسف حبيب، كلمنت السكندرى، ١٩٧٠.

مراجع باللغة الأجنبية:

- (A.D.), Nock : Oxford Classical Dictionary, 3rd ed, 1996.
- ----------------: Early Gentile Christianity and Its Hellenistic Background, New York, 1964.
- A. Andrews: The Greek Tyrants, Hutchinsons University library, London, 1956.
- A. Deiber: Clement D'Alexandrie et son Oeuvre, Mémories, Tome Dixiéme, Le Caire Imprimerie De L'institut. Francais D'Archeologie Orientale, 1904, pp. 1-12.
- Antony, Flew: An Introduction to western Philosophy , Thames and Hudson, London, 1971.
- Barnes, Jonathan: The Pre Socratic Philosophers, London, 1982.
- Battles, Ford Lewis: Irenaeus, against Heresies, Clement of Alexandria, The Exhortation to the Greek and Quis Dives Salvetur?, U.S.A, 1993.
- Bell, David. N.: A Cloud of Witnesses, Michigan, 1989.
- Bell, H. Idris: Cults and Creeds in Graeco Roman Egypt, Liverpool, 1954.
- Bevan, Edwyn: A History of Egypt Under The Ptolemaic Rule, London, 1927.
- Boardman, John: The Oxford History of Greece and The Hellenistic World, New York, 1991.
- Broek, Van Den: Religion in The Graeco-Roman World, Netherlands, 1996.
- Buell, Denise Kimber: Making Christians, U.S.A, 1999.
- Butterworth, G.W.: Clement of Alexandria's Protrepticus and The Phaedrus of Plato, Classical Quarterly, X, 1916, pp. 198-205.

- Buxton, Richard: Oxford Readings in Greek Religion, Oxford University, 2000.
- C.W., Griggs.: Early Egyptian Christianity From its Origins to 451- C.E., Leiden, 1993.
- Cary, M. and Scullard, H.: A History of Rome, London, 1979.
- Chadwick: The Early Church, London, 1974.
- Clarke, G.W.: In Ancient Christians Writers, New York, 1974.
- Daley,Brian. E.: The Hope of The Early Church, Cambridge, 1991.
- Douglas: Dictionary of The Christian Church.
- Ferguson, John: Clement of Alexandria, Twayne publisher, New York, 1974.
- ----------------, The Religious of The Roman Empire [Aspects of Greek and Roman Life]. (Thames ad Hudson), London, 1970.
- Dowd, Mathew. F.: The Attitudes of Clement of Alexandria Towards Greek Medicine, Notre Dame University, 1996, pp. 1-12.
- Fowden, Garth: The Egyptian Hermes, A Historical Approach to The Late Pagan mind, Princeton University, Princeton, New Jersy, 1993.
- Fox, Adam: Plato For Pleasure, West House, Great Britain, 1945.
- G.C. Tead: Rediscovery of Gnosticism, Vol. I, Leiden, 1980.
- Grant, Michael, Myths of The Greeks and Romans, Weidenfeld and Nicolson, London, 1969.
- Grant, R.M.: Gnosticism and Early Christianity, New York, Columbia University Press, 1959.

- Graves, Robert: The Greek Myths, Great Bretain, Vol. I, 1983.
- Guerber, H.A.: Greek and Rome (Myths and Legends), London, 1996.
- Hardy,E.R.: Christian Egypt, Church and People, New York, 1952.
- Hoffmann, R. Joseph: Celsus (on The True Doctrine), New York, 1987.
- J. Doresse: The Secret Books of The Egyptian Gnostics, London, 1960.
- Kerényi, C.: The Gods of The Greeks, (Thames and Hudson), Great Britain, 1982.
- Knight, Kevin: Catholic Encyclopedia, Vol. Iv, XIV, New York, 1999.
- Kraft, H.: Early Christian Thinkers, 3rd ed., London.
- Liddell & Scott's: Greek Lexicon, 7th Edition, Oxford, Britain, 1968.
- M.A. J. Grafton Milne: A History of Egypt Under Roman Rule, London, 3rd ed, 1924.
- Malaty, Tadros: The School of Alexandria, Bookone, Before Origen, Jersey City, 1995.
- Parke, H.W.: Greek Oracles, London, 1972.
- Patrick, J.: Clement of Alexandria, London, 1914.
- Pinsent, John: Greek Mythology, U.S.A., 1973.
- Price, Simon: Religions of The Ancient Greeks, Cambridge University, 1999.
- Rorty, A mélie Oksenberg: The Pre-Socratics, New York, 1974.
- Rose, R.J.: A Hand Book of Greek Mythology, London, 1945.
- Russell, Bertrand: History of Western Philosophy, London,

1961.
- Sordi, Marta: Christians and The Roman Empire, New York, 1994.
- Teeple, Haward: The Cult of Mithras, Religion & Ethics Institute, Evanston, U.S.A., 1988.
- Tollinton, R. B.: Clement of Alexandria, A study in Christian Liberalism, Vol. I, II, (William and Norgate), London, 1914.
- Valentin, Pierre: Clement D'Alexandrie, Eglise D'hier et D'Aujourd'hui, Paris, 1963.
- Vernant, Jean Pierre: Myth and Society in Ancient Greece, Great Britain, 1980.
- Witt, R.E.: Isis in The Graeco-Roman World, Britain, (Thames and Hudson), 1971.
- ----------------: The Hellenism of Clement of Alexandria, Classical Quarterly, XXV, 1931, pp. 195-204.
- Yehya, Lutfi. A.W.: Alexandria and Rome in Classical Antiquity, A Cultural Approach, Cairo, (1989), pp. 355- 3641.
- -----------------: Clement of Alexandria Versus, Rome. An Historical Introductory Note, pp. 167-173.

الفهرس

الفهرس

الموضـــــوع	الصفحة
الآلهة)	
(ب) الممارسات الهمجية التى تتسم بها قصص الآلهة.	٨٣
(ج) ضعف الآلهة التى تتسم بها قصص الآلهة.	٨٤
(د) الممارسات التى تدعو إلى السخرية التى تتسم بهـــا قـــصص الآلهة.	٨٦
(هـ) أشياء قائمة على الخداع فى العبادات السرية.	٨٩
(و) شهادة الفلاسفة ضد عبادات الأسرار.	٩١
(ز) رفض بعض الحكام للعبادات السرِّية.	٩٣
الفصل الثانى : نقد كلمنت لعبادات الأشخاص والآلهة اليونانية	٩٥
١- رأى كلمنت فى نشأة العبادات الوثنية.	٩٧
(أ) تأليه الظواهر الكونية.	٩٧
(ب) تأليه الظواهر الطبيعية.	٩٩
(ج) تأليه الظواهر الاجتماعية.	٩٩
(د) تأليه العواطف والانفعالات البشرية.	١٠٠
(هـ) تأليه ذوات الأشخاص (الأبطال).	١٠١
٢- الأسباب التى يفند بها كلمنت عبادة الآلهة.	١٠٤
(أ) وجود عدد من الآلهة يشتركون فى الاسم نفسه.	١٠٤
(ب) هناك نقائص بشرية تتصف بها الآلهة الوثنية.	١٠٦
(ج) عجز الآلهة عن ضبط أنفسهم أو الشهوات غيـــر المحـــدودة للآلهة والإلهات.	١١٢
(د) الاجتماعات ولاحتفال بشخصيات فانية.	١١٥
(هـ) خضوع بعض الآلهة للعبودية.	١١٧
(و) للآلهة شعور واحتياجات مثل البشر.	١١٨
(ز) شهادة الكتَّاب الإغريق ضد آلهتهم.	١١٩

الموضـــــوع	الصفحة
٣- هل الآلهة اليونانية شياطين (أرواح حارســة) أو معبــودات مــن الدرجة الثانية؟	١٢٢
(أ) البشر أفضل من الشياطين (الأرواح الحارسة).	١٢٤
(ب) معابد الآلهة مقابر حقيقية.	١٢٥
الفصل الثالث : نقد كلمنت لعبادة التماثيل	١٢٧
١- الأسباب التى يفند بها كلمنت عبادة التماثيل:	١٣٠
(أ) الصور الأولى (التماثيل المبكرة) كانت عبارة عــن خــشب وحجر غير مشكّل، كما أنها من صنع الآدميين.	١٣٠
(ب) شهادة كلّ من النبوءات والفلسفة ضدّ عبادة التماثيل.	١٣٥
- التماثيل تخلو من الشعور والإحساس تماماً والتضحية لها لا فائدة منها.	١٣٧
- أدنى الحيوانات أفضل من التماثيل.	١٣٧
(ج) عجز تماثيل الآلهة عن ردّ الإهانات وعجزها عــن حمايــة نفسها.	١٣٨
(د) تماثيل الآلهة لا تمثل الآلهة.	١٣٩
٢- سحر الفن هو الذى يؤدى إلى عبادة التماثيل.	١٤٠
الباب الثانى	
نظرة كلمنت إلى التراث القديم كمهد لظهور المسيحية	١٤٣
الفصل الرابع : شهادة الفلاسفة والشعراء	١٤٥
١- أفكار الفلاسفة:	١٤٨
(أ) تأليه العناصر الأساسية للكون.	١٤٨
(ب) ظهور فكرة التعددية فى الآلهة بجانب العناصــر الأساســية للكون.	١٤٨
(ج) فكرة الثنائية الإلهية.	١٤٩
(د) الاقتراب من فكرة الوحدانية.	١٥٠

الموضـــــوع	الصفحة

رقم الإيداع : ٨٧٠٨ / ٢٠٠٦
الترقيم الدولى : I.S.B.N
977-5125-10-3